ميدان الدعوة

الشيخ محمد الغزالى
منهجه وقضاياه الكبرى

تأليف

أ.د. محمد أبوزيد الفقى

الطبعة الثالثة

2017

"مُقَـدَمــة"

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله النبى الهادي الأمين، اللهم صلى عليه وعلى آله واصحابة، ومن نهج نهجه وسلك طريقهم الى يوم البعث العظيم.

وبعد

فقد كان الشيخ محمد الغزالى يرحمه الله تعالى من أبرزالدعاة الى الله تعالى فى العصر الحديث. فقد كان فريدا فى جهاده وفكره، ولا أغالى إن قلت: إن كل عالم فــى مجــال الدعــوة الإسلامية، يوصف بالاستنارة، قد نهل من نبع الدعوة عند الشيخ، ورشف من فكره، وقــد طال عمر الشيخ، وكثر عمله وتعددت مؤلفاته، ومواقفه فــى الدعــوة الإسلامية.

وحينما طفقت أجمع المادة العلمية لهذا الكتاب أخذتنـــــى الرهـــبة، فكيف لى أنا من الذين يشرفون بالانتساب إلى مدرسته فــى الدعوة، أن أجمع فكره، وأقيم منهجه، وأضعه فى ميزان الإسلام الحنيف، وقد تغلبت على هذه المشاعر الوجدانية بسبب رغبتى فى تقديم مناهج الشيخ فـــــى صورته العلمية الدعوية لأن الشيخ يرحمه الله تعالى -انشغل بالجهاد فى الدعوة وكثرة الترحال لهذا الغرض، عن تنظيم كتبه، والفصل بين الموضوعات فى هذه الكتب، وأدى هذا الى كثرة التكرار، وطمس معالم المنهج البحثى للشيخ،

وأصبحت الفائدة التى يحصل عليها القارئ من كتب الشيخ تتوقف على جهده وصبره فى متابعة الفكرة الواحدة فى عدة مؤلفات للشيخ، ولما كان الدعاة فى حاجة الى معرفة منهاج الشيخ، بطريقـــة

واضحة كى، يقتدوا به على بصيره فى دعوتهم حاولت تجليــة هــذا المناهج، وتحديد معالمه على النحو التالى:-

1- لجأت لأسلوب الجمع النسقى: حيث قمت بتحديد القضايا الكبرى التى اهتم بها الشيخ، وجمعت كل مـاسجله فى كتبه عن كــل قضيـــة، ووضعت ذلك فى نسق واحد، ثم عقبت بعد كل قضية بمتابعة تــهدف الى مقابلة فكره بما جاء فى الكتاب والسنه، وفهم العلماء لهما، ثـم بيان مناهج الشيخ.

2- حاولت الوصول الى المنهج الذى على أساسه تصدى الشيخ لكل قضية فى مؤلفاته، واتضح لى - بعد لأي أن الشيخ رحمة الله تعالى قــد ركز فى تناوله لكل قضاياه على منهج فريد فى مجال البحث فقد كان يدرس كل قضية من خلال بعدها المكانى والزمانى، والمحلى، والعالمى وهذه الأبعاد الأربعة كونت تميز الشيخ عن غيره فى مجال البحوث الدعوية، لان الباحثين فى الأزهرالشــريف وفى غــيره يسجلون رسائلهم العلمية على أساس بحث الموضوع المسجل من زاوية واحدة، أو زاويتين على الأكثر، اما الشيخ يرحمه الله تعالى فقد كان يبحث قضيته التى يتصدى لها من أبعادها الأربعة، ويمكن فهم هذا المنهاج وتجليته إذا ماتابع الباحث قضية واحدة عند الغزالى فى كل

مؤلفاته. وسوف يجد بعد البحث أن التكرار- المظنون – فى مؤلفات الشيخ، ليس تكراراً بغرض التكرار، أو بسبب النسيان، وانما كل تكرار لقضية ما، هو إضافة لبعد من أبعادها.

3- أخذت من تراث الشيخ أربع قضايا رئيسية، وطبقت هذا المنهج – النسقى –

عليها فأتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً، وتتجلى فيها منهاج الأبعاد الأربعة عند الغزالى-

وهذه القضايا هى:

- الاستعمار الأجنبى عند المسلمين.
- الاقتصاد عند المسلمين.
- قضية المرأة.
- قضية موقفه من السنة النبوية الشريفة.

هذه هى القضايا التى اهتم بها الشيخ وأوقف عليها جزءا كبيرا من وقته ومؤلفاته وهذا لالايعنى انه لم يتصدى لقضايا أخرى، بل ناقش كل القضايا التى تهم المسلمين وقد أخذت هذه القضايا لكثرة حديثه عنها ولتحقق منهاجه- دراسة الأبعاد الأربعة لكل قضية منها.

إن مثلى ومثل الشيخ محمد الغزالى كمثل سباح صغير يسبح فى محيط كبير. ليبحث عن

لآلئه وصدفاته فإن عثر على مبتغاة فقد فاز، وإن خرج من غير شئ فقد نجا وإن أدركه الغرق، فحسبه شرفا انه سبح إلى حين فى هذا المحيط العظيم.

د. محمد محمد أبى زيد الفقى

الباب الأول

قضية الإستعمار فى بلاد المسلمين

(الباب الأول)

قضية الاستعمار فى بلاد المسلمين

قضية القضايا عند الشيخ – يرحمه الله تعالى – قضية احتلال بلاد المسلمين والسيطرة عليها من الغرب، وقد خص الشيخ هذه القضية بكثير من البحث والدراسة، والحديث عنها فى معظم كتبه، وكان الشيخ حس يقظ تجاه هذه القضية، وكان يعى أبعاد الصراع بين المسلمين وأعدائهم من نقطة البداية فى يثرب الى بداية النهاية فى القدس فى فلسطين المحتلة، وكان يعتبر هذا الصراع صرعاً حياً متجدداً

متمحوراَ حول مستقبل الإسلام والمسلمين.

وقد عالج الشيخ قضية الاستعمار من زوايا متعددة: أحقاد وأطماع الاستعمار فى بلاد المسلمين والسيطرة الاقتصادية على المسلمين وعلى مصادر ثرواتهم، والقضاء على الإسلام من ناحية العقيدة عن طريق التبشير والاستشراق، وهيكلة الدين وإعادة صياغته عن طريق بعض الحكام العملاء ومن يدور فى فلكهم، من اعوان الاستعمار ومعتنقى فكره، ومنتهجى أسلوبه فى الحياة.

وقد تصدى الشيخ لهذه القضايا بالقوة، حاملاَ روحه على كفه واضعاَ عنقه تحت السيف إذا جد المسير، مبرهناَ على حيوية الدعوة اذا تصدى لها داعية أصيل، ولانستطيع أن نقدر الأثر الذى أحدثه الشيخ فى مواجهة الاستعمار، إلا إذا تخيلنا وجود الاستعمار بمكره ودهائه من غير داعية مخلص يكشف هذا المكر ويعرى ذلك الدهاء.

لو حدث هذا لوجد الاستعمار بلاد المسلمين لقمه سهله يأكلها أنى شاء ومتى شاء.

ولكن الشيخ ومن على شاكلته من الدعاة المخلصين قد صعبوا مهمة الاستعمار فى بلاد المسلمين إن لم يكونوا هم حجر الزاوية فى القضاء عليه وعلى الصفحات التالية تتضح جهود الشيخ فى مقاومة الاستعمار.

الفصل الأول

(ماهية الاستعمار)

ذلك بقوله: إن الصليبية التى تهيمن على الأوربيين والأمريكيين شئ آخر يغاير

عيسى أشد المغايرة، وإن كان جمهور القساوسة والرهبان يمارى فى هذه الحقيقة لأنه ينسج صلته بعيسى بن مريم على النحو التالى يوائم الصليبية المحدثة الجامحة، ثم ينسب هذا الدين المحرف الى عيسى نفسه.. وعيسى برئ من هذه الشرور، أن الله تعالى يقول فى رسالة عيسى:(وآتيناه الانجيل فيه هدى زنور ومصدقاَ لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)[1]

وتلك كلها معان فقدت أوضاع منبعها فى الصليبية التى تعرف الأن، والتى يزعم انها النصرانية الأولى،.

ولهذه الصليبية الغالبة خواص لابد من كشفها:

أ- أنها أنسجمت مع طبائع الغربيين الذين اعتنقوها وأرخت العنان لما يكمن فيها(الطبائع)من قسوة.

ب- أنها نقضت الإحساس بمعنى الجريمة وعقابها السيئة، وذلك أن نظرية الفداء وماتضمنته من أن عيسى قتل كفارةلخطايا بنى آدم، جعلت الألوف المؤلفة من مصدقيها يستهينون بالآنام المحظورة، ويقدمون عليها وهم آملون أن تحمل عنهم، وهذه العقيدة كانت سبب مصائب كثيرة حلت بالامم المهزومة.

ج- أن الصليبية كانت تعانى مايسميه علماء النفس(عقدة الضعة)فهى تعرف مجافاتها للعقل وبعدها الساحق عن منطقه السليم.

---

[1] المائدة: 46.

ومن ثم فهى تستعير عن الهدوء فى عرض نفسها، والجدال بالتى هى أحسن، بغضب ظاهر على الأديان والمذاهب الأخرى، كأن عاطفة الحنق على المخالفين، سوف تضفى عليها حقاً فاتها من ضعف الدليل وانهيار الحجة. وهذا يفسر سياسة البطش الشنيع التى أتبعتها الصليبية ضد غيرها، بل التى أتبعتها ضد الإسلام خاصة. وقد التقت الطبيعتان، طبيعة الغربيين الهمجية وطبيعة الصليبية هذه، التقتا فى العغزو الاستعمارى الأخير للأقطار الإسلامية..

وبعد أن يتحدث الشيخ عن الظلم الفادح الذى وقع على المسلمين فى الجزائر

من الفرنسيين يقول: مطلوب من المسلمين(فى الجزائر أيام الاحتلال)أن يكفروا بدينهم.. ان النفس ليست سواء بازاء الضغط الذى يعرض لها، وكم يختلف رد الفعل للعمل الواحد.. وجماهير المسلمين تحت ضغط الاستعمار الصليبى العاتى، تفاوتت معادنهم فى تلقى أوصابه، وتحمل فتنه، منهم من زادته البأساء قوة يقين، فنفخ الاضطهاد فى روحه، كما تنفخ الرياح فى الجمر المتقد، لاتزيده لا لهيباً وأولئك والحمد لله كثير.. ومنهم من أصابه الوهن، وأخذت شكيمته تنتشر تحت اللطمات التى تناولته من كل جهة.. ومنهم من رأى الابتعاد عن الإسلام إن ظاهراً وأن باطناً، يحسب أن هذا الابتعاد يخفف البلاء النازل به.."ولم ينفعهم ذلك"

يقول ممثل فرنسا فى الجزائر فى المسجد الذى تحول إلى كنيسة: أما العرب فلن يكونوا ملكاً الى فرنسا الا اذا اصبحوا مسيحيين جميعا.. أى أنهم إذا تنصروا فسوف يسمح لهم أن يبقوا فى الجزائر رقيقا لفرنسا.. إن الفرنسيين قد يتفضلون على العرب اذا تنصروا بأن يجعلوهم ملكاً لهم وهذا شرف عظيم، وهذا هو منطق الصليبية والصليبيين، هو منطقها فى كل مكان.[1]

طبيعـــــــة الغـــــدر والفتـــــك

يقول الشيخ: هذه الفظائع المروعة ليست فى الصليبية الغربية سجية محدثة، إن القوم يسيرون على المنهج الذى سلكه آباؤهم من قبل فالخلف والسلف على

[1] الشيخ محمد الغزالى: الاستعمار أحقاد وأطماع ص 21 وما بعدها

اختلاف الأمكنة والأزمنة تحركهم طبائع واحدة، وتحدهم غاية واحدة، أنهم مع خصومهم لايعرفون للحرب أدباً، ولا للرحمة موقعاً، إلا إذا تكافأت القوى وخافوا الثأر العاجل، فهم عندئذ يعاملون العدو بحذر، اتقاء للعقوبة لا اتقاء لله تعالى، أما إذا أمنوا الثأر، فلن يتوقع منهم الا بطش الجبابرة، هل استخدام القنبلة الذرية يومئ إلى ذرة امن الحس الانسانى؟ أن هذه القنبلة تنزل فتحصد الرجال المقاتلين، ثم تحصد معهم الشيوخ الفانيين، وجماهير النسوة والأطفال ممن لاشأن لهم بالحرب ابدا، ثم قطعان البقر والغنم والدواجن التى تعيش لسوء حظها مع هؤلاء، بل الحشرات وأنواع النبات، أنها تجتث الحياة اجتثاثا حيث تنزل بلعنتها الماحقة ومع هذا الشر المستطير فإن الأمريكان أنزلوه بمدينتين يابانيتين فى الحرب الأخيرة، وهو نوع من القتال لم يعرفه أدب الحروب من بدء الخليقة، ولولا أن سر الذرة فضح، وعرفه الآخرون

لاستخدام هذا التفوق فى قهر الناس، وتغليب الهوى،(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض).[1]

إن وحشية الفرنسيين فى الجزائر لاتزيد ولا تنقص عن وحشية غيرهم فى شتى المستعمرات، وخاصة التى يعيش فيها المسلمون وهى تجديد للأساليب القديمة التى أتبعها آباؤهم فى إبادة الأجناس، واستئصال المخالفين فى الرأى والعقيدة.

وهل محى الإسلام من الأندلس محوا إلا بالحديد والنار، وما سجله التاريخ لمحاكم التفتيش من همجية وعار؟ هل حدث مثل ذلك أو بعضه أو شئ منه فى تاريخنا.

الطبيعـــة الوحشيـــة الداخليـــة:

ثم يتحدى الشيخ وحشيتهم مع بعض فيقول:(محاكم التفتيش التى قامت فى بلاد عديدة من أوربا، مثل أسبانيا وإيطاليا وفرنسا والبرتغال وألمانيا.. وإصدار أحكام منها: الإماتة حرقاً فى احتفالات عامة يحضرها الملوك والوراء والأعيان والدفن بالحياة بوضع المحكوم عليهم فى مقابر، تترك فيها فتحات صغيرة

---

[1] البقرة: 251.

ليراهم الناس منها وهم يدنون من الموت رويدا رويدا،.. فان كان المحكوم علية امرأة، عريت

وشدت الى مقبرة وتركت ليلا ونهارا حتى تموت أو تجن.

ومن الأساليب أيضا:

= استعمال السياط فى الاقضية.

= التعليق فى السقف وربط كل يد وكل قدم الى حبل يشدها فى اتجاه مضاد.

= غرز المسامير الرؤس.

= سل اللسان من الحلق بالآت خاصة.

= تهشيم بأجهزة معينة.

وضع الإقدام فى أحذية حديدية عرضت للنار حتى حميت واحمرت.

= االكى فى أى مكان الجسد.

= استعمال أحذية ذات مسامير داخلية حادة.

= مشانق تشنق المتهم نصف شـــــــــنق.

= تسديد حربتين الى عينى المتهم تنفذ ان من مؤخرة الجمجمة:

= توجيه حرية الى القلب، وأخرى الى المعدة او الأمعاء.

= كى الجسم وكسر عظامه بآلات خاصة.

= سلق مواضع من الجسم او سلخها بوضع إسفنج مغموس فى ماء مغلى عليها.

= تعريض الرؤوس لمطارق ثقيلة ساحقة.

= صب الماء فى الجوف من الفم اثناء الوخز بالدبابيس فى الاعصاب والشرايين.

= وضع الة على فم المذنب حتى لايخرج انينة، فإذا اغمى عليه انعش بشراب معين، ثم أعيد إلى التعذيب من جديد، وإذا مات فى أثناء التعذيب ألقى به بين المعذبين الاخرين زيادة فى ايلامهم وإرهابهم

هل صنع انسان فى الشرق مثل هذا؟ ان الانسان لم ينحط فى الشرق قط، كما انحط فى الغرب فى أزمنة مختلفة، وفى دورات متعددة من التاريخ، ولا علا فيه جانبه الحيوانى المفترس، كما علا فى ربوع الغرب واستبد وسيطر.[1]

الهجـــــــوم علـــــي الإسلام:

يقول الشيخ: الواقع ان الحملة الصليبية علي أرض الإسلام فى هذه الأيام النحسات استخدمت أسلحة جديدة، وحققت أهدافنا رهيبة واستغلت أسوأ استغلال الفوضى الثقافية والاجتماعية التى تسود عالمنا الإسلامى لقد اختبأت وراء الشعار القومى لتفتك بالإسلام[2]

الأهـــــداف الحاقـــــدة:

يقول الشيخ والأعداء إذا شنوا غارة على بلد ما، فهم ينزلون به سائحين عابرين ولا زائرين متفرجين، وإنما ينزلون به مستبيحين بيضته، وكاسرين شوكته فان كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره ولم يدعوا لأهله إلا الفتات، وان كانت لهم أغراض دينية أو اجتماعية أوضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة، وتغير ملامحها وكما ينقل النهر من مجري الى مجري

آخر، تنقل الأمة رويدا رويدا من مجراها الفعلى الأول إلى مجري أخر يرسمه خصومها ويدفعونها اليه دفعا.

والاستعمار الغربى الذى هاجم العالم الإسلامى من بضعة قرون كان مزدوج الهدف، فهو طامع فى خيرات لشرق الكثيرة، يراها ميراثا لاصاحب له، وهو فى الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة يكره الإ سلام كراهية شديدة ويضيق بكل من ينتمى إليه، ويشتد ضيقه بالعرب خاصة، فهم قوم محمد وحملة رسالته، وماتزال

---

[1] المصدر السابق ص 32.

[2] الشيخ محمد الغزالى: جهاد الدعوة ص111 دار الصحوة 1987م

لغتهم مستودع كتابه وسنته، فلما واتته الفرصة وضع يده علي أقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكر، ومضى دون هوادة يجهز على قلوله الثقافية الخائرة بعدما دحر جيوشه العسكرية فى مواطن كثيرة.[1]

***اليهودية تستفيد من عداء الصليبية والمادية للإسلام:**

يقول الشيخ إن الأمانى – عند اليهود – التى دفنت فى تراب الذل نحو ثلاثين قرنا، انتفضت بالحيا بغتة، وجرت معها عداء الصليبية لرسالة التوحيد، وعداء المادية لرسالات السماء، ولوحى الله تعالى جملة وتفصيلا، ثم هجمت على العرب المنقسمين على أنفسهم، الزائغين عن رسالتهم، واستطاعت أن تكسو وجوههم بالقار، أو أن تملأ ديارهم بالعار، تلك حال اليهود ومن والاهم.[2]

***الصليبية والإسلام فى العصر الحاضر:**

وعن خطورة الصليبية على الإسلام فى العصر الحاضر يقول الشيخ:

(أما الصليبية فقد قررت الإجهاز على هذا الدين والخلاص منه بأى ثمن وقد مضت القرون وهى تحاول ونحن نقاوم ولا نستعرض الآن الماضى وإنما ننظر فى حاضرنا الدامى، ومايتربص بنا من أحداث جسام، فالعالم الصليبى الآن راجح الكفة، بالغ القوة، تسود أرجاؤه حضارة بشرية متفوقة فى ميادين الصناعة، بعيدة السبق فى إستغلال التقدم العلمى لخدمة مآربها المادية والمعنوية.. وصادف ذلك كله أن الأمة الإسلامية كانت تتلوى مكانها من علل فادحة برحت بها وعطلت حراكها، ومن ثم أخذت تتلقى الضربات من كل ناحية.. والذى يدعو للغرابة أن الضربات لاتفتر، والكميان لايسقط، ترى كم سيبقى؟ إن العداء ماضون فى الهجوم، وقد أصابهم فى الأيام الأخيرة لون من الهوس لأنه خيل إليهم أن الدين الضحية غالب آلامه وعاودته العافية ولذلك فإن العدوان زاد.. ولايزال الدين الجلد صامدا بل بدا كأنه يتأهب لأمرها..

***مصادر الحقد على الإسلام:**

---

[1] الشيخ محمد الغزالى الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا ص 44 دار الشرق 1985م

[2] الشيخ محمد الغزالى: حصاد الغرور ص 19 ط مكتبة وهبة 1987م

إن انسلاخ المرء عن ماضيه صعب مهما ارتفع مستواه الثقافى والعالم الصليبى ضائق بالإسلام منذ ظهر، وقد اشتبك معه فى حروب طويلة، اشتركت فيها حروب أوربا جمعاء وترادفت حملاتها حينا من الدهر، واذا كانت هذه الحروب لم تقض على الإسلام. فإن مخالفتها الدامية رسبت فى نفوس الصليبيين، والتصقت بأفئدتهم، وأمست ذكريات متعمقة فى السرائر.. ورؤساء الكنيسة يسرهم بين فترة وأخرى أن يصبوا الزيت على النار لتزداد اشتعالاً، ولاتدع مكانا لتراحم أو سماح... بل إن أولئك الرؤساء تدخلوا فى صياغة التاريخ ودفع العلاقات الدولية فى مجار رسموها بعناية حتى لاتتاح فرصة يلتقط الإسلام فيها أنفاسه، ومنطق الصليبية هنا يصرخ بالثأر، وينادى بالموت على عكس منطق النصرانية القديمة القائم على العفو والرحمة.

***كراهية اليهود للإسلام:**

وكراهية اليهود للإسلام معروفة، فهم يرون مغتصبين للنبوة التى كانت حكراً فى بنى اسرائيل كما يرونهم المطاردين الأوائل ليهود الحجاز ووارثى أملاكهم، وقد وجد هذا الضغن متنفسه عندما تمهدت ميادين العمل لليهود فى العالم الصليبى.. فتلاقى الحقد اليهودى على الحقد الصليبى فى تشويه سمعة الإسلام، وتحريف قضاياه كلها.

***اليقظة:**

إن كل ساعة تمر دون يقظة منا ندفع ثمنها باهظا، وتتحقق لخصومنا االنتصارات رخيصة، وما أظن العالم – فى عصرها هذا -أمتهن حقوقا ولا ازدرى قضايا مثل مافعل فى حقوقنا وقضايانا، وخطته الموضوعية ألا تقوم لنا قائمة.[1]

يقول وزير المستعمرات البريطانية عن سياسة بريطانيا فى الدول الإسلامية: إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية ـن تحذوه وتحاربه.. وليست انجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضا. ومن دواعى فرحنا أن الخلافات الإسلامية زالت، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إالى غير رجعة، إن سياساتنا تهدف دائما وأبدا إلى منع

[1] الوزير"اورمسى غو"في رسالته الحكومة البريطانية 1938/1/9

الوحدة الإسلامية، أو التضامن الإسلامى ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك. أن خطة العالم الصليبى تدولتها أجناس شتى وفى هذه الأيام انتقلت من قارة الى قارة، بيد أن الخطة هى هى، ومن ورائها حقد رهيب، وتربص عنيد، والشئ الذى يدعو للأسف أن الفريسة غافلة، لاتعرف مايبيت لها ولا ماتكاد به – يدبر لها فى النهار نحن المسلمين نجنى العلقم من أقوام لايعرفون فى معاملتنا إلا الفتك والاستئصال، فإذا لم يباشروه بأيديهم، أعانوا من يباشر ذلك من اليهود والوثنين والملاحدة ووضعوا فى أيديهم السلاح وأشاروا عليهم بالرأى.

علينا أن نعتمد على الله تعالى، ونيأس من طهارة هذه النفوس، فإن صدقنا الله صدقنا[1].(والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا). [2]

***تنوع أدوات الحرب ضد الإسلام**

يقول الشيخ عن أدوات الحرب المختلفة ضد الإسلام:(ولا بأس من كل وسائل البطش والفتك حتى يمكن الخلاص من هذا الدين، والمتشبثين به وشرعت الأمة اليتيمة المهزومة تجابه حرب الاستئصال وحرب الخيانة، واشترك فى ضربها الشيوعيون والصليبيون والوثنيون واليهود، و الذين يغتالون فى المنافى والسجون، أكثر من الذين يغتالون فى البيوت والشوارع، والحرب تبدأ لتندلع، وقد مر أكثر من قرن على هذا البلاء الموصول، ومع هذا كله فقد أبى المسلمون نسيان ربهم ونبيهم، ولاتزال بين الأنقاض والآلام جماعات غفيرة تعلن بقاءها على الإسلام، واستمساكها بكتابه وسنته ولغته وقيمه.. إن المدافعين لم يستكينوا ولكن المهاجمين مصرون على الحدث العظيم، وماضون فى طريق العدوان كأى وحش مفترس لايوقفه إلا العجز أو الموت)[3].

تنوع عناوين الحروب ضد الإسلام:

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: هموم داعية ص91 ومابعدها ط دار الاعتصام 1983م

[2] سورة النساء: 45.

[3] الشيخ محمد الغزالى: هموم داعية ص100.

يقول الشيخ:(أما الصليبية فإن مقاومتها للإسلام ظلت متقدة النار خلال القرون التى عاشها، منذ ظهر إلى الآن، أربعة عشر قرناُ والخصام لاتقتر حدته، ولاتنقص شدته، أخذ هذا القتال عنوان الحرب مع الروم، ثم أخذ عنوان الحروب الصليبية، ثم أخذ عنوان الحرب بين الأتراك وأوربا، ثم أخذ عنوان الاستعمالر العالمى.

واختفت العناوين وبقيت الحقائق فى الكشوف الجغرافية، التى قادتها المصادقات الى الأمريكيتين من ناحية، وقادت إلى الهند وشرق آسيا عن طريق رأس الرجاء الصالح من ناحية أخرى. ثم جاء العصر الأخير ومعه الغزو الثقافى والتيارات الدولية المختلفة، والتفاف الكنيسة حول الإسلام، تريد أن توجه إليه الضربة القاتلة.. أربعة عشر قرناً تساقطت حولنا نحل شتى وبقيت الصليبية وحدها تحاول إخماد أنفاسنا.. والدول الاستعمارية هى التى صنعت ولاتزال تصنع اسرائيل إن الجحر الذى نلدغ منه لم يتغير

والعدو الذى قاتلنا أيام الرسول فى(مؤتة)[1] هو الذى يقاتلنا الآن،

وقد أمسى لايخفى ضغائنه ولا أغراضه استهانة بنا.[2]

***حرب الابادة**

يقول الشيخ: أن حرب الإبادة قد وضعت خطتها لإفناء الجنس العربى، و؛لال بنى اسرائيل مكانه، والحقيقة ان الاإسلام بالنسبة للعرب مليس فقط البداية العليا لعباد الله تعالى، ولكنه طريق النجاة العاصم من الغرق بالنسبة إلى هؤلاء العرب والخيط الباقى ليظللوا على قيد احياة، أن أرادوا الحياة.[3]

***اختلاف طريق الابادة**

يقول الشيخ:(استغل الغرب تفوقه السياسى والعسكرى وسقوط أغلب الأقطار الإسلامية فى قبضتهليمحو من النفوس والأذهان كل إعزار لهذا الدين، أو إحياء

---

[1] دارت الحرب فيها بين المسلمين والروم وبعض العرب المشركين وكانت فى السنة الثامنة للهجرة

[2] ابن كثير: البداية والنهاية 632/4.

[3] الشيخ محمد الغزالى: الطريق من هنا ص97 دار البشير 1987

لتعاليمه، ورسم خطة شاملة واعية للقضاء عليه نظرياً وعملياً، واجتثاث جذوره، عنواناً وموضوعاً، وتوهين روابطه فى الأفراد والجماعات، وأثارة فوضى عامة فى كيانه العادى والأدبى تنتهى – حتماً – بزواله وان أستغرق زمناً طويلاً أو قصيراً.

واختلفت دول الغرب فى طرائق اجهازها على الإسلام، فمنها المتعجل الذى يريد ذبحه بالسكين والقضاء على أهله بالسرعة التى تقرب الغاية المنشودة، ومنها المتأنى الذى يذبح بغير سكين، ويقتل من غير أن يسفك الدماء، ويلجأ الى العنف فى الفترات التى تستعص فيها الضحية ولايبقى التكشير عن الناب بد.[1]

***علاقة التدين بمقاومة الاستعمار:**

يقول الشيخ: اندفعت الصليبية الغربية فى غل دفين وتوحش مريع، اندفاع العواصف المدمرة، ورجفت شتى بلاد الإسلام من عنف الويلات التى

إنزالها بها أولئك الغزاة السفهاء، وانتصبت مصر أمام هذا الروع، وظللت

مائتى عام تقاوم حتى ارتد خاسئا ذليلا. إن التدين هو مفتاح الشخصية المصرية، فإذا وجدت هذه النفس الطيبة متنفسها العميق فى الإسلام من حيث أنه عقيدة وسياجها المتين من حيث أنه نظام. وإذا وجد الإسلام من هذه الأمة الطيبة أفئدة تهوى إليه، وتنفذ تعاليمه وتحقق أهدافه، فانتظر نهضة ناجحة ومستقبلاً مشرق وخيرا غزيراً، لا لمصر وحدها ولا للعروبة وحدها، ولكن للعالم أجمع... والمستعمرين للشرق الإسلامى يعرفون هذه الحقيقة، ولايتوجسون شراً من شي توجسهم من قيام حركة إسلامية تصل ما انقطع من تاريخنا، وتتصل اتصالا مباشرا بفطرتنا وميولنا وترشحنا للقيام بواجبنا العتيد... ومن ثم ركز الانجليز والفرنسيون، وغيرهم من كهنة السياسة، وزبانية الاستعمار ركزوا قواهم فى فصل الدين عن الدولة، وإبعاد الإسلام عن ميادين التشريع والتنفيذ... ولاننسى جهود الاستعمار الداخلى- أعوان الاستعمار- فهى تعمل دائبة على إفساد معنى التدين، وخلق جيل يأكل بالإسلام ويعين عليه، ويصرف عواطف الشعب المؤمن

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: حصاد الغور ص 49

الى مجال الخرافة والبدعة والجهل، وكما تضيع مياه النيل هباء في أعماق البحر الأبيض، لايستفاد منها فى إخصاب ولا إثمار، تضيع مشاعر الإيمان المستكن فى قلوب العامة والخاصة[1]

***الشر المتربص:**

يقول الشيخ أن ألف مليون مسلم بدءوا القرن الخامس عشر من تاريخهم فى ظروف عاصفة، اعداؤهم يعانون حيناً، ويواريون أحياناً بنيتهم، أنهم يريدون القضاء عليه، وقد رسموا الخطط وبدءوا التنفيذ والليالى الحبالى تتمخض عن أحداث كئيبة فأطرافنا تنتقص يوما بعد يوم، بل صميمنا مهدد بالضياع والاستعمار الثقافى ملح فى محو شرائعنا وشراعنا، يعينه كتاب مرتدون او ساسة مبغضون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أن كل مسلك يجعل المجتمع الإسلامى أضعف من نظيره الشيوعى أو اليهودى أو الصليبى بعد خيانة أو ارتداد، كل تفريط مدنى أو عسكرى فى

خدمة الإسلام فهو عصيان.

رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أجدر بالحياة، واقدر على النجاح.[2]

حاول المستعمرون بكل وسائل البطش، فتنة المصريين عن دينهم، رسالة الدم غزيراً فى المدائن والقرى، ومع ذلك كله تكسرت أمواج القوة أمام صلابة المعتقد، وبقى المصريون على دينهم الذى ارتضوا به.[3]

***الحقـــــد والقتـــــل:**

يقول الشيخ: أن كراهيتهم – الصليبين – للإسلام ترضح من معين لايفيض، وجمهرتهم تود لو خسف بنا وخلت الأرض منا، هؤلاء الصليبيون، ماإن تمكنوا قديما من دخول بيت المقدس حتى ذبحوا سبعين ألف مسلم، وحديثاً أحتموا بالجيش

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: من هنا نعلم ص 10، 11 ط دار الكتب الحديثة بدون ط 5

[2] الشيخ محمد الغزالى: مشكلات فى الطريق الحياة الإسلامية ص14، ص15 ط دار البشير 1989.

[3] الشيخ محمد الغزالى: نظرة على واقعنا الإسلامى ص5دار ثابت 1983

اليهودى وقتلوا بأفحش الأساليب أربعة ألف مسلم فى مخيمات الفلسطينيين بصبراً وشاتيلا ولم تتحرر الجزائر من ارجاسهم الا بعد ان ضحت بمليون ونصف مليون شهيد كى تستعيد المساجد التى حولها الفرنسيون الى كنائس، وتستنقذ جيلاً من البشر سرقت عقائده ومعالمه جهرة، واغتيالاً، لقد أشترك المستعمرون الفرنسيون ورجال الجيش والشرطة فى قتل قريب من أربعة آلاف مسلم، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى مدينة(سطيف)ثم جاء دور اليهود ليبيدوا شعباً، وينشئوا على أنقاضه دولة لهم تحت سمع المؤسسات العالمية وبصرها، وبين موافقتها ومعاونتها.[1]

الصليبية خطر على الروحانية فى العالم:

يقول الشيخ: ولو أن المسيحية بقيت كما بدأت– لاريب فيها ولادخيل عليها-

لما أمكنها أن تقوم بالوظيفة التى ندبت نفسهم لها وظيفة توجيه العالم أجمع وإرشاده، وذلك لانها ديانة محلية موقوتة بزمان ومكان.. ولو استعرضنا أدوار الصراع بين المسيحية واتجاهات البشرية الخاطئة أو الصائبة، لوجدنا أن تصرف المسيحية أضر بالأديان، أكثر مما أضر بهذه الاتجاهات... إننا حريصون على أن يأخذ الإسلام نصيبه الكامل فى عرض حقائقه وبيان مناهجه... وإن كنا نذكر- فى معرض السخط والاشمئزاز- أن الصليبية الغربية تأبى ذلك كل الأباء، وتوحى إلى أوليائها من الحكام فى الشرق الإسلامى، أن يقفوا بالمرصاد، لكل دعوة من هذا القبيل... ومن الظلم القبيح للمسلمين، بل من الإساءة البالغة لهذا العالم المسكين، أن يحرم من وجود أمة تحترم كتاب ربها وسنة نبيها، وتحتكم إليهما فيما يعرض لها من أحداث وشئون، وتعتبر التدين شرفاً لا عاراً، والإيمان بالله واليوم الآخر جداً لا لغواً، أن أوربا تأبى علينا ذلك، ونحن نأبى إلا ذلك، وسنرى مايكون والسلطة القائمة.. ولكن الحاجة ماسة إلى عمل منظم قوى، يخضع سياسة الحكم وسياسة المال لتعاليم الدين، خضوعاً لافكاك لها منه مهما أختلف الأوطان، وتطاولت العصور.[2]

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: سر تأخر العرب والمسلمين ص60ط دار الريان1987

[2] الشيخ محمد الغزالى: الإسلام المفترى عليه ص30 ومابعدها ط مكتبة وهبة

الصليبية تتربص بالإسلام:

يقول الشيخ / أن كل عمل لتوهين قوى الإسلام وإضعاف العلاقة به، وجعل الأمة مضطربة فى الأخذ من الكتاب والسنة يتملكنى شعور بأن هذا العمل خيانة عظمى، ومشاركة لأعداء كثيرين يلتفون حولنا ويتربصون بنا، إن قارب النجاة الوحيد وسط طوفان من البلايا التى تهب على العالم الإسلامى من يمين، ويسار، هو الإسلام...

هناك خمس جهات تقاتل الإسلام الآن:

الجهة الأولى: ~~جهة الفاتيكان أو الكاثوليك~~.. أن الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى أو عزوا إلى عميل لهم هو مصطفى كمال أتاتورك فرمى بالخلافة التركية فى البحر.. كانت رمزاً وكانت تمثل أبوة روحية وثقافية للمسلمين.. ولقد روا بالخلافة الإسلامية فى البحر.

الجهة الثانية: جهة العالم البروتستانتى.. وهذه الجهة من وراء مجئ اليهود

الى فلسطين، البروتستانت هم الكثرة الكاثرة انجلترا والكثرة العظمى فى

الولايات المتحدة الأمريكية، واثر هؤلاء فى قيام اسرائيل معروف.

الجهة الثالثة: هى الجهة اليهودية: ان عدد اليهود فى العالم ستة عشر مليونا، ولهم قدرات علمية ومالية ودعائية وفنية، تجعلها يصنعون الاعاجيب.

الجهة الرابعة: هى الجهة الشيوعية: وهى جهة ورثت الأملاك التى كسبتها روسيا القيصرية، وهى ـ الاملاك ـ نصف العالم الإسلامى الشرقى، والعرب فى غفلة.(كأنهم يبلعون حشيشا او بنجا).

الجهة الخامسة: هى الجهة. جهة عباد الصنم، وعباد الصنم لهم قتلى من المسلمين كل سنه بالمئات والألوف فى الهند وفى أيام التقسيم الى باكستان وهند قتل نحو مليون مسلم.[1]

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: محاضرات فى إصلاح الفرد والمجتمع: وإعداد قطب عبد الحميد ص 43 ومابعدها ط دار البشير 1989م.

الصليبيون يكرهون الخير اذا جاء عن طريق الإسلام:

يقول الشيخ: ان المسيحيين لا يريدون ان يأخذوا حكما إسلاميا، يدفعهم الى تحريم الخمر مع انهم يعرفون أن أخطار الطريق أغلبها من السكارى، حوادث الإجرام والحوداث الأخلاقية اغلبها من السكارى، فساد الالات فى المصانع أغلبها من السكارى هم يريدون تحريم الخمر، ولكنهم يكرهون ان يأخذوا حكما من الإسلام، وتعدد الزوجات: كانوا يتمنون لو ابيح هذا عندهم، لكن كرههم للإسلام جعلهم ـ ف اوربا ـ يرفضون هذا. وهى تعرض المسيحية على زنوج افريقيا.. وتتغاضى الان عن الجيل القائم بحيث انها تستدريجهم للمسيحية ثم تبدأ تعمليمهم المسيحية الكاملة.[1]

لا قانون لعلافقات الصليبية بالعالم:

يقول الشيخ: الناس يعرفون عن دول اوروبا انها كل اثارة للشرف والخق، فى علاقتها السياسية بأمم الشرق. وان الحضارة الغربية قد اسقطت جملة ماكنة الضمير الانسانى سواء فيما يدور بينها من منزاعات، ام فيما يدور بينها وبين غيرها، من مشاكل

وخصومات. واسيساة الاوربية هى صاجبة مبدأ الويل للمغلوب، ومبدأ الغابية تبرر الواسطة ومبدأ المعاهدات قصاصات ورق ونحن نقول ان انجلترا فى ذلك تمثل النفسية العامة لدول الغرب فليست خيرا ولا ششرا ن فرنسا وايطاليا.. وامريكا.[2]

الاستمعار يزرع الطائفيثة ف بلاد المسلمين: يقول الشيخ: جاء الاستعمار الحديث فشرع يحشن افئدة الطوائف الدينية ف العلم الإسلامة، بالحقد والغش ع اخواتهم الطيبين، ويختلق حكايات مفتريات عن ظلم الاكثرية المسلمة للأقلية الدينية، ويغرى نفرا من الغلاة بمطالب مجنونة لحصيلة لها الا زرع القطن

[1] الشيخ محمد الغزالى كيف نتعامل مع القرآن ص 96، 97 ط: دار الوفاء 1992.

[2] الشيخ محمد الغزالى: تأملات فى الدين والحياة ص54 ط دار الدعوة 1990.

*** لا للخضـــــوع:**

يقول الشيخ: مما يثير قلق الامة الإسلامية ويحرج كبرياءها، هو خضوع المسلمين واحتلال اراضيهم فى بعض اجزار معينة من العالم وان اشد ما يؤلمها واقساه مرارة ف نفسها هو احتلا مدينة القدس الشريف' واغتصاب مقدساتها ان على الامة الإسلامية ان تعبى قواها من اجل الجهاد المقدس لاستعادة مدينة القدس الشريف وتحرير كافة الاراضى الإسلامية المغتصبة)[1].

تحذير من اليهود:

يقول الشيخ: ما انتهت الحروب الصليبية.. وانما هى الأيام مد وجزر،عاد هؤلاء ليسلموا الأرض مرة اخرى الى اليهود.. والغدر اليهودى طبيعة جنس وخصائص امة وميراث اجيال، وحقيقة لايمكن انكارها، ولا التغاضى عنها، واليهود يعلمون من انفسهم هذا.. وهم يؤكدون انهم اذا كانوا قد ضربوا مفاعلا ذريا عراقيا.. فهم مستعدون ان يضربوا اى بلد عربى له قاعدة يخشونها، اوله قوة يرهبونها، هذة طبيعتهم ولست الومهم، لكنى الوم الصف المختل الوم العين النائمة وسط العيون الخائنة، الوم العرب الذين نسوا الله فأنساهم انفسهم)[2].

(متابعـــــة):

كان الشيخ يرحمه الله تعالى يملك احساسا كونيا، وافقيا عالميا فى معالجته لمشاكل الدعوة الإسلامية، وهذا ما يجب ان يتحلى به كل داعية يتصدق لقضايا الدعوة الإسلامية، فالرؤيا المحدودة ن والافق الضيق، والمحلية ف الفكر، كل هذا يؤدى الى ضعف فى حركة الدعوة فى حاضرها، ويؤثر سلبا على مستقبلنا ولذلك كان للمكانة التى تبؤأها الشيخ اسبابها، ومن اهم هذة الاسباب تركيزه على ما ينف فى داخل البلاد الإسلامية، وفى خارجها والتحذير مما يضر بها ف الداخل والخارج.

ومن خلال معالجة الشيخ لقضية الاستعمار تتضح عالميته الفكرية التى بؤأته مكانة لم يصل إليها داعية ف العصر الحديث.

---

[1] الشيخ الغزالى: الإسلام والطاقات المعطلة ص 112

[2] الشيخ/ محمد الغزالى: خطب الشيخ محمد الغزالى ص 76 ط دار الإعتصاد 1988م

فقد عالج قصية الاتعمار من زوايا متعددة تتجلى فيما يلى:

1- ماهية الاستعمار الصليبى:

عندما يتحدث الشيخ فى الدعوة الإسلامية فإنه يستحضر سنن الله تعالى ف الكون، ويستحضر التاريخ، وينظر بدقة الى حركة الحياة، وتضارب مصالح الناس فيها، من ثم فإنه يحدد علاقة الاستعمار الغربى الصليبى بالمسلمين ويردها الى اصلها الأصيل وهو الحقد على الإسلام والمسلمين من بداية الصراع فى يثرب وفى نهاية الحياة على الارض، ثم يزواج بن احقاد الاستعمار القديمة المتجددة، وبين اطماعه فى بلاد المسلمين، ويرى انه من واجب كل داعية يتصدق لتوجية الجماهير المسلمة ان يضع نصب عينيه هذا الترازوج - احقاد واطماع - لتحديد علاقة الاستعمار بالمسلم محددا الهوية ملما بالماهية، ومن خلال ذلك يستطيع ان يوجه الجماهير المسلمة توجيها نافعا ينفعها فى يومها، ويؤمن لها غدها التى تتزاحك عليه دول العالم الغربى لسرفته اقتصاديا وعسكريا ومحوه من سجل الزمن لفظا ومعنى، واثرا وتأثيرا.

يقول د/ قاسم عبده عن امتزاج الحقد على الإسلام بدم الصليبين كما ظلت للحروب الصليبية جاذبيتها فى اوروبا الغربية حتى القرن الثامن عشر. فبالنسبة لخمسة عشر جيلا من ابناء الغرب الأوروبى كانت الحرب الصليبية تشكل جزعا حيا وحيويا من عالمهم، ا ان مئات الألوف منهم قد شاركوا بأنفسهم فى حملة او اكثر من الحملات الصليبية، كما ان آلاف عديدة من ابناء الغرب الأروبى ساهموا بأموالهم فى تمويل حملة او اكثر من هذة الحملات، ومن ناحية اخرى كانت احداث الحروب الصليبية تشغل بال الكثيرين ممن لم يشاركوا بالنفس او المال[1]

فى الفقرة السابقة يصور المؤلف حقد اوربا الصليبية على الإسلام، فمنهم من مول هذه الحملات بالمال، ومنهم من شارك بالنفس من قتل منهم كان له ابناء يرجون ثأره، مضافا إليه الحقد العالم على الإسلام والمسلمين.

---

[1] قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية ص10 المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت 1990.

وعن التزاوج بين الأحقاد والأطماع يقول د/ قاسم عبده:(ولما كانت الحركة الصيبية فى التحليل الأخير إفرازا للتفاعل بين الكنيسة والإقطاع، فإنها كانت تسعى بالضرورة الى تحقيق الإهداف الكنسية التى كانت البابوية قد بلورتها من خلال نزاعها مع الإمبراطورية وهى اهداف كانت تتركز اساسا حول السيادة المطلقة للبابا على العالم المسيحة، كما ان الحركة الصليبية كانت من ناحية اخرى محاولة لتحقيق اهداف الناس العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعى سواء كانوا من النبلاء وفرسانهماو من الفلاحين، لقد كان الفرسات يرغبون فى توسيع سلطانهم واملاكهم.

اما البرجوازية الناشئة، ممثلة فى القوى التجارية الإيطالة على وده الخصوص، ففقد رأت فى المشروع الصليبى فرصة هائلة للسيطرة على تجارة البحر المتوسط وتجارة العالم، ولذا سارعت بالإضمام للمشروع بعد ان صار حقيقة واقعة).[1]

وبهذا تستكمل حلقات الصراع ـ صرع الاحقاد والأطماع أدى فيما بعد صراعات طويلة ومريرة قضت على عافية الأمة الإسلامية وعلى دروها المنوط بها ف إقامة العدل فى العالم،والرقى بالمستوى الأخلاقى والحضارى

وبداية الحقد على الأمة الإسلامية سجلها القرآن الكريم عند مزوله، وليس شيئا ابتدعه الشيخ من عنده، يقول الله تعالى:(ود كثيرا من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم...)[2]

ولمذا اهل الكتاب بالذات؟ لان الحضارات تقوم داخل سياج من الإيمان والأخلاق وهزيمة اهل دين، وتحويلهم عن دينهم تعتبر قضاء على حضارتهم وهذا هو جوهر الصراع بين اهل الاديان ظاهرة الدين، وباطنة السياسة والاقتصاد والثقافة، ومن العجبان بعض المسلمين يتسامح فى هذه الأشياء، ويظن ان الصراع مع الأعداء ينصب على قضية الإيمانلا يعنى الصليبين فى

---

[1] المرجع السابق ص 57، 58

[2] سورة البقرة الآية: 109

شئ لانهم قاتلوننا على الدنيا لا على الآخرة، وانما يستهدفون الدين لا السياج الذى يحمى دنيا المسلمين وحضارتهم وبعض

الناس فى العالم الإسلامى يظن ان التسامح فى القيم الإسلامية نوع من التقدم والتحضر، ولا يعلم ان هذا التسامح سوف يدمر له التقدم والتحضر وكل ما يبتغيه من خير.

طبيعة الغدر والفتك:

يرى الشيخ ان الحقد الذى يسكن قلوب الصليبين على الإسلام والمسلمين، ويؤدى بهم الى نوع من الشراسة والقسوة ليس معهودا من البشر حين يتغلبون على المسلمين فى اى صراع، وكتب التاريخ حبلى بالمذابح التى جرت للمسلمين من الصليبين والتنكيل الذى حدث لهم، ومع هذا فالحاضر يشهد بقسوة ما يحدث للمسلمين من الصليبين فى كل مكان فى العالم يدور فيه صراع بينهما وتكون الهزيمة فى صف المسلمين، وما حدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك خير شاهد على هذا، فهم لم يكتفوا بالمذابح الجماعية وبقر بطون النساء الحوامل انما اضافوا الى الصراع الوانا جديدة من القتل المعنوى، فقد اغتصبوا كل امرآة وقعت ايديهم عليها، وبعض الناس يظن ان هذه الشهوة عند الجند واحدث فرديه،زلكن التحقيقات كشفت ان هذة سصياسة الغرض منها قتا معنويات المسلمين فى الداخل والخارج على السواء، واعتقد انهم وصلوا الى شئ مما يريدون، فقد كان كل ذلك يحدث والحياة تسير طبيعية فى بلدان العالم الإسلامى، باستثناء بعض العقول التى استشعرت الخطر، وبعض القلوب التى وجلت رحمة وخوفا على مستقبل الإسلام والمسلمين.

وفى كوسوفا حدثت مجازر للمسلمين واغتصاب لنسائهن، وحدث ذلك للمسلمين فى الفلبين ويحدث للفلسطينين من اليهود ما يشيب له الولدان، ويكفى فى ذلك رفض إحدى محاكم اسرائيل للقسوة التى تتعامل بها الشرطة الإسرائيلة مع الفلسطينين.

وقد سجل الشيخ كل ذلك فى كتبه ورصده رصدا دقيقا، وقد سبق ذكر جانب من ذلك فى هذا الفصل. ويرى الشيخ ان طبيعة الغدر والفتك طبيعة متصلة عند الصليبية فى كل صدام مع الغير فقد استخدم الامريكيون القنابل النووية ضد

اليابان وقتوا مئات الألوف فى لحظات. ويرى الشيخ ايضا انهم فى صراعهم الداخلى لا يترجمون، وقد وضعوا قوانين لذلك منها"ويل للمغلوب"والشيخ بذلك لا يقدم تاريخا مسليا للناس ـ على عادة العرب ـ بل يقدم انذار صادقا للمسلمين يحذرهم به من عدو لا يملك اى مشاعر انسانية تجاة الصغير، خاصة اذا كان هذا الغير من المسلمين،ويستنهض همه المسلمين لتحصين انفسهم من يوم يقعون فيه تحت طائلة هذا العدو الشرس الذى لا تعرف الرحمة طريقا الى قلبه"ن ولا يعرف العدل طريقا الى عقله، انما رحمته وعقله سياسة، فإذا انتفت اسبابهم انقلب وحشا شرسا مدمرا قاتلا مغتصبا، ويحذر الشيخ الذين يخدعون انفسهم بالألفاظ المعسولة التى تصدر عن العدو متربص، واذا تركنا نغيش فى سلام فترة، فليس معنى هذا انه صافى القلب وخالى الذهن وانما معناه ان الوقت الذى حدده للانقضاض لم يحن بعد.

3ـ تنوع العناوين واختلاف طرق الإبادة:

من القضايا الهامة التى ابرزها الشيخ قضية ذكا الغربيين فى تعاملهم مع المسلمين، ويضاف لهذا الذكاء ربح الغدر والخداع التى يملكونها، ولذلك فهم يقسون دول العالم الإسلامى طولا وعرضا ولا تجد لذلك معارضة، ويستخدمون العناوين الخادعة، فتحت عنوان التعاون الاقتصادى يتم استخراج البترول ونقلة الى بلادهم بواسطة شركاتهم تاركين لأصحاب البترول الفتات، والعناوين البراقة التى يعيشون عليها وينخدعون بها، والمحصلة النهائية لموضوع البترول فى بلاد العالم الإسلامى، ان هذة البلاد تعتبر ـ علميا ـ محطات تقوية تساعد على نروح ثروة المسلمين وكنوزهم التى اودعها الله سبحانه وتعالى ارضهم، ونقلها الى اعدائهم، بحجة التعاون الاقتصادى والتجارة العالمية الى آخر هذة العناوين،"الشعوب الإسلامية زمنا طويلا ومازالت تغتصب ثرواتها من الشعوب الاستعمارية".[1]

وفى بداية هذا القرن هجم الغربيون على كنوز مصر بحجة الثقافة والبحث العلمى عن الآثار وسرقوها، وهى موجودة فى معارضهم ومتاحفهم الى الآن،

---

[1] د/ مصطفى محمد رمضان: العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث ص8 مكتبة الجامعة 1983.

وهم الآن بحجة الثقافة والتبادل الثقافى يرسلون إلينا الأفلام والمسلسلات التى تحمل أفكارهم وحضراتهم وتوطن لهم فى المشاعر والنفوس، وكل ذلك مخصوم من ديننا واخلاقا، وهى سرقة من نوع جديد وبعنوان جديد.

د/ وختلقت ايضا طريف الإبادة المستعملة ضد المسلمين، فقدكانت قديما بالسلاح، ولكنهم اككتشفوا السلاح يشحذ همه الأمة، ويقوى اخلاقها ويعظم دينها، فلجأوا الى طرق جديدة منها:

تهريب المخدرات بكل انواعها، وتهريب افلام الجنس المكشوف، وتخريب برامج التعليم فى البلاد الإسلامية، وتسليط بعض حكام هذه البلاد على اهلها، وتوريد اغذية محملة بالهرمونات والكيماويات الضارة التى تسبب الأمراض القاتلة بعد فترة تطول او تقصر.. وهكذا

4ـ علاقة الدين الإسلامى بمقاومة الاستمعار:

من اهم القضايا التى اثارها الشيخ فى تصديه للاستعمار، قضية اهمية الدين فى مقاومة الاستعمار، وهو بذلك يقف على طرفى نفيض مع بعض حكام البلاد الإسلامية الذين تربوا فى الغرب، او الذين تم عسل عقولهم، لانهم لا يرون فى الدين قوةتحمى اممن اوطانهم، ومع ذلك فان الحقائق تثبت ان حماية الدين حماية الجيوش، لان الجيوش تتناثر وتتلاشى ان تعرضت لقوة اكبر منها او لخطط احكم من خططها وهذا ما حدث فى مصر فى هزيمة عام 1967. لقد تلاشت الجيوش وبقى للمصريين إيمانهم يدفعهم للعمل والتخطيط وبذل الغالىوالنفيس حتى اذن الله تعالى بالنصر فى عام 11973 وكان الدين عنوان النصر وجوهره.

الشيخ يعتبرالدين أمنا قوميا للدول الإسلامية، وامنا اساسيا لحماية كيان الأمة الإسلامية التى يجب ان تقوم بدورها المحلى فى حماية المثل العليا س والاخلاق الكريمة، ودورها

العالمى فى حماية الحق والعدل والسلام. ولذلك فالشيخ ـ يرحمه الله تعالى ـ يضع نصب عينه المؤامرات التى يصنعها الاستعمار ضد الدين الإسلامى تارة بحجة التقدم، وتارة بحجة البحث العلمى، والجموع الغافلة

تصدق، وتشرب السم الزعاف على انه دواء، وقد منح الله تعالى الشيخ ذكاء نادرا، وخيره غظيمة، فى فهم ألاعيب الاستعمار فكلما دس الاستعمار فكرة فى البلاد الإسلامية ظاهرها يخفى ما تحته من حقد وكراهية، كشف الشيخ هذه الفكرة.

وكشف اسبابها، والاهم من ذلك كله انه كان يبين للناس، ما يؤدى إلية تطبيق هذه الفكرة على المدى القريب والبعيد ـ اى الفكرة فى بعديها التكتيكى والاستراتيجى ـ ثم فضح اساليب الاستعمار فى حربه للدين الإسلامى خاصة، ولكل الآديان بصفة عامة، ووضع ذلك تحت عنوان الصليبية تحارب الروحانية فى العالم اجمع، لان الدين هو اقوى سلاح لدى الشعوب مهما كان هذا الدين الإسلامى لما فيه من قوة تأبى الخضوع ومن إيمان يأبى الرجوع.

يقول د/ماجد عرسان الكيلانى:(ان استمرار الأمة فى الحياة مرهون باستمرار حملها للرسالة، وما يتفرع عنها عن تطبيقات فى مجالات الحياة المختلفة، فإذا ضعفت عن حما هذه الرسالة، او توقفت فاعليتها، او تقلصت تطبيقاتها، انتهى وجود الأمة)[1]

ويربط المؤلف بين التمسك بالإسلام وبقاء هذه الأمة ومن الغريب ان هذه الحقيقة تغيبب احيانا عن بعض المسلمين، ولكنها لا تغيب أبدا عن ذهن اعداء الإسلام، لقد استمعت الى مقدم برامج تليفزيون المصرى يبشر الجماهير الصائمة فى شهر رمضان ان مائة حلقة اخرى قد وصلت هدية من التليفزيون الأمريكة لمسلسل يزيد على مائتين من الحلقات.. هذا المسلسل يكلف عشرات الملاين فلماذا تأتى هدية؟ تحصل عليه البلاد الإسلامية وفى معظم بلاد العالم المختلف بدون مقابل، لأنه يحمل نوعا من الهمجية فى الدين والأخلاق، ونوعا من الإباحية فى العادات والتقاليد، يعلى من الغريزة على حساب الدين والعمل والإنتاج، ربما يقول قائل إن هذه المسلسلات تذاع فى بلاد إنتاجها فالضرر واحد، ونجيب بأن هذه الشعوب تقدس العمل وليس لديها وقت لمتابعة هذه المسلسلات، وهم على كل حال لا يتأثرون بها، لأن لكل شعب ظروفه الأخلاقية والتاريخية والجغرافية والمناخية، انها تؤخذ هناك على سبيل التسليه، ولكنها

[1] د/ماجد عرسان الكيلانى: اخراج الأمة الإسلامية وعوامل صحتها وضعفها ص ٢١ اخبار اليوم ١٩٩١م

تؤخذ هنا كقدوة فى الفعل والسلوك وهى مقدمة لمزيد من التحلل والتلاشى هنا، ولمزيد من السيطرة والغلبة هناك، وهذا ما كان يخشاه الشيخ ،ألف فيه اكثر من كتاب، وطاف عمرا يحذر المسلمين من عمليه نوعين العقيدة فى قلوبهم لآت هذه العقيدة هى جوهر حياتهم وستتم أمرهم ووجودهم، يقول د/ البهى:(يفرض علينا الأجنبى موضوع التفكير)وجرنا الى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا، ويدفعنا فى متاهات ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتها، و نتركها عن قصد، وربما نتركها متحدين إياها، مجاهدين فى حمل الآخرين مما على الترغيب عنها، فرض علينا(العلمانيه)فى تعليمنا وفرضها فى تشريعنا، وفرضها علينا فى تفكيرنا وسوكنا، وفرضها علينا فى سياستنا وفرضها علينا فى اقصتادنا، ففصل بين الإسلام وحكم الدولة، وابعد الإسلام عن مجالات الحياة العامة، وتركه داخل المسجد وفى قلوب الناس يمارسونه اعتقادا، ويملأ ينزلون به إلى التطبيق.. ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية أن يفرض علينا(علمانيه)من نوع اخر منطرف يحاول أن يفرض علينا إلغاء الدين عقيدة، بعد أن طمست متألمة عملا ى اوضاع المسلمين، ويحاول أن يصل بنا الى ما يكسر ،، الإلحاد العلم، وهو مرحله من مراحل العلمانيه)[1] والاستعمار حين يوهن عقيدة المسلمين فى نفوسهم، لا يضمن بذلك انهيارا فى الاقتصاد ونظم التعليم فحسب، بل يحصل على نتائج ملموسة

فى قتل العزة فى نفوس المسلمين لأن الإيمان الكامل بالله تعالى يضمن للفرد العزة الكاملة(أن عبادة الإنسان لله تعالى تضمن له الحرية التى ينشدها، فهى تحرره من عبودية هواه، وتحرر أن إيمانه بالله الخالق الرازق يحرره تماما من أى لون من ألوان العبودية، لا يخشى إلا الله تعالى ع رزقة، ولا يخاف من أحد على حياته، فينطلق حرا ما دام عبد الله تعالى)[2]. فالدين له عناصر تحكى المجتمع الإسلامي من السقوط، وتأخذ بيده من عثراته، ولذلك يحاول الاستعمار محاربة الدين بطرق مختلفه وتحت عناوين متغيرة ولا فتات براقة، حتى يتم خداع الجماهير المسلمة بهذه العناوين وتلك اللافتات، لأن موضوع الدين حساس لدى الشعوب ولا يمكن اختراقه الا بالحياة الذكية والفرصة السلنحة.

---

[1] د/ محمد البهى: الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ص ٦ مكتبة وهبة ١٩٧٨.
[2] يوسف كمال: الإسلام و المذاهب الاقتصادية المعاصرة ص ٦ دار الوفاء ١٩٨٦.

٥- الاستعمار يزرع الطائفية فى بلاد الإسلام:

من الأعمال الخطيرة التى يقوم بها الاستعمار فى بلاد الإسلام ليفسد أمنها وامنيها، موضوع خلق الصراعات الطائفية والعرقية فى مجتمعات المسلمين، فتراه يوقد النار ويضع عليها الزيت فى كل بلد مسلم بحجة أن طائفية تغلبت على طائفية اخرى

اقل منها عددا أو عدة، يحاول ذلك فى مصر، وان كان الشعب المصرى بوحدته وتلاحمه قد خيب امله واحبط عمله، ولكن الاستعمار لا يأس،وربما عادة الكرة فيلزم الحذر، والشيخ يحذر من هذا الأمر لمعرفة الخطر الذى ينتج عن صراع ابناء الوطن الواحد، وفى لبنان أيضا يوقد الاستعمار نار الصراع بين أبناء الوطن الواحد، وفى أفغانستان يوقد صراع عربى، وهذا الصراع أدى إلى استمرار الحرب وانهيار الاقتصاد وفساد النظام الأمن داخل الدوله لان الاستعمار يخشى من استقرار افغانستان تحت حكم اسلامى واحد، وهكذا.. وهذه امثله ليست على سبيل الحصر، ولكن من يقرأ كتب الشيخ يراه قد حصرها ونبه عليها فى كل بلد ذاكرا الأسباب والنتائج

٦- تحذير من اليهود:

يحذر الشيخ من اليهود، ولا يصدر تحذيره هذا عن هوى، بل يصدر عن عقيدة وتاريخ ودارسة صراع

بالنسبة للعقيدة يقول الله تعالى"لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا.."[1] ومن ناحية التاريخ فقد

شارك اليهود فى الصراع ضد الإسلام من بدايته حتى الان ومن ناحيه دراسة الصراع فقد جاء الدور الان على اليهود، فقد قام الصليبيون بسرقه حاضر المسلمين وازاجوهم خارج التاريخ من فترة ليست بالبعيدة ودور اليهود الان هو سرقة مستقبل هذه الامه وما المعاهدات والمصالح التى تجرى اليوم الا مقدمة لذلك، ولن تتم الهزيمة اليهودية على بلاد الإسلام بالحديد والنار كالامس القريب - وان كان هذا موجودا وجاهزا وانما يمكن تخيل الصراع نتائج بين العين النائمة والعين الخائنة كما يقول الشيخ بين من يملك العلم والمعرفة فى كافة المجالات ومن يتسول ذلك بين من يعتبر العمل العمرانى عقيدة لإ قامة مملكة الرب، ومن يعتبر العمل العمرانى لهوا ولعبا، بين أمة تعشق العمل ولما تحب العمل وتقيم مجدها على الصراع اللفظى والخيالى الشعرى، أن نتائج هذا الصراع محسوبة لصالح العدو، ولكل تمنع الكارثة لابد أن نعود الى حزم

---

[1] سورة المائدة: ٨٢

وعزم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، حين ملكوا الدنيا بالعمل فى اقل من مائة عام، وكان الشيخ - يرحمه الله تعالى - يحاول لفت نظر المسلمين الى الخطر الكامن فوق ارضهم الجاسم على صدورهم خطر اليهود، وهو لا ينظر الى الحاضر فقد بل ينظر الى المستقبل القريب البعيد، فإذا اتقى المسلمون هذا الخطر كان ذلك ايذانا بميلاد أمة جديدة تحيا مجد الإسلام من جديد وما أحوج العالم الى هذه الأمة لو استفيظت.

٧- لا للخضوع:

كأى رجل مؤمن لايستلم الشيخ، رغم فهمه العميق لخطورة الصراع بين الصليبية والإسلام، ويضع عنوانا فى مؤلفاته يقول فيه:"لا للخضوع"وهو لا يضع هذه العبارة على لغة الطلب فتكون الخطة إنشائية. بل يقصد لا للخضوع فناء وليس معناه استسلاما كما يظن البعض بل هو فناء لهذه الأمة التى تعبد الواحد القادر القاهر وتقوم عقيدتها على رفض الخضوع لغير الله تعالى، فإذا جاء الوقت الذى تخضع فيه يكون قد جاء وقت فنائها، وهذا الفناء لا يتم مرة واحدة، بل ينشب فى كيانها شيئا فشيئا حتى تكون النهاية وكأننا يجب أن نهتف جميها مع الشيخ"لا للخضوع"ولا نقف عند الهتاف، بل يجب أن نعمل لتحقيق هذا الشعار الكريم ونستلهم قول الله تعالى ' ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون وان كنتم مؤمنين"[1]

وسنكون الأعلين بإذن الله تعالى فقط أن تحقق الشرط الذى وضعه الله تعالى فى نهاية هذه الآية:

- ان كنتم مؤمنين - يجب الإيمان فى ذواتنا إيمانا يبنى العقيدة والحضارة التى تحمى هذه العقيدة فى آن واحد

[1] ال عمران:١٣٩

الفصل الثانى
التبشير والاستشراق

يرى الشيخ ان التبشير والاستشراق من نتائج استعمار البلاد الإسلامية، ومقدمة ضرورية لإحكام السيطرة النهائية على تلك البلاد لأنه يرى أن الصراع مع اعداء الإسلام ممتد وان الحرب لم تضع اوزاها بعد معها، ورغم اختلاف الوسائل وتنوع الاساليب.

يقول الشيخ: الغزو الثقافي الذى يحتاج الأمة الإسلامية صنو العز العسكرى الذى جاس خلال الديار من بضعة قرون وأثر لابد الهزائم التى اصابتنا، والحقت بنا خسائر ماديه ومعنوية فادحة، والاعداء اذا شنوا غارة على بلد ما، فهم ينزلون به سائحين عابرين ولا زائرين متفرجين، وانما ينزلون بن مستبيحين بيضته، وكاسرين شوكته فان كانوا كباب مغانم استنفزفوا خيره، ولم يدعوا لأهله إلاهله إلا الفتات، وان كانت لهم اغراض دينيه، أو اجتماعية، وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة، وتغير ملامحها، وكما ينقل النهر من مجرى الى مجرى آخر، تنقل الأمة رويدا رويدا من مجراها الفعلى الأول، الى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعا.

فلما واتته الفرص ووضع دة - الاستعمار - على اقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكر، ومضى دون هوادة يجهز على فلوله الثقافية الخائرة بعد ما دخر جيوشه العسكرية فى مواطن كثيرة.

وانطلقت طلائع الغزو الثقافى تطارد الدين المغلوب على أمره فى ميادين التربية والتعليم والتشريع، وتطوى تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية، وافلحت او مخلفات ينبغى أن تستخفى ليحل محلها البناء الجديد الذى وضع الغرب حقيقته وصورته.[1]

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: الغزو الثقافي يمتد فى فراعنا ص ٤٥ ط دار الشرق ١٩٨٥.

وعن وسائل الخصوم فى الهجوم على الإسلام يقول الشيخ تغيرت وسائل الإعلام، وصناعة المشاعر والأفكار، وأضحت الكلمه والصورة والخبر، والتعليق والكتاب والصحيفة والراديو والتلفاز، بل الأفغانى والفكاهات اصحى كل ذلك موجها ببراعة الى غايات مرسومة، ووفق خطط موضوعة.. وقد نجح خصومنا فى شن غاراتهم على الأمة الإسلام واستعانوا لآخر ا بلغة العقل الإنساني من ابداع كى يفتتونا عن ديننا ويسرقوا ارضنا.. ترى ماذا اعددنا للدفاع عن مقدساتنا؟ والذود عن مواريثنا، وعن ديانا واخرتنا؟ لا شأن لى بالحروب الساخنة

فلست من رجالها، وانما اهتم بالإعلام دفاعا وهجوما، وبالاقتصاد توجيها وهيمنه، فان الاستعمار العالمى ملح فى اغتيال ديننا، والاجهاز عليه روحا وبدنا، واستغل الضوائق وازمات الجفاف وسنة القحط والمستغبة، لساوم المستضعفين على بيع ضمائرهم وترك عقائدهم.. أن الدعايات المضادة تستخدم الجهد الجماعى لا الفردى، والخدمات المسداة للفقراء والمساكين، ومن ورائها سياسات بصيرة، والدول الاستعمارية لا تظهر وسعا فى ذبح الإسلام بغير بالحياة.. الغزو الثقافي صنع الألوف من الغافلين، وربما كان عن تواطؤ متعمد، والغزو الثقافى صنع الألوف ممن يخدمون المنصرين على حساب الإسلام والمسلمين.[1]

وعن الاستعمار الصليبى التبشيري يقول الشيخ: الاستعمار الصليبى بشقية - الثقافى والسياسى - أمسى راجع الكفة، بعيد النفوذ، فان لم تكن له جيوش تحتل الارض، فله جيوش تحتل الفكر والفؤاد والسلوك.. أن مواريثهما الدينيه المستحدثة أن ارض الميعاد توشك أن تتحقق، ونبوءات العهد القديم انى طال عليها الندى قد جاء اوانها.. والمقاولات أن مستقبل الإسلام كله

فى مهب الرياح مع هذا البلاء الوافد، وجهد الاستعمار الثقافي والسياسي أن يمهد الارض الإسلامية كلها لقبول هذا الواقع.[2]

وعن المساعدات التى تقدم للمسلمين لتنصيرهم، وايعادهم عن دينهم يقول الشيخ: فى بقاع كثيرة من دار الإسلام وجد البائسون، ووجد الأغنياء المستعان وقد استغل التنصير هذا التفاوت لمصلحته، لا سيما بعد أن تلقى التعليمات مشددة أن يبتعد عن الجدل الدينى، وان يكتفى مثلا بتقديم العون الصحى

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: مستقبل الإسلام خارج أرضه ص ٩٠،٩١ ط دار الشروق ١٩٩٧.

[2] الشيخ محمد الغزالي: جهاد الدعوة بين عجز الادخال وكيد الخارج ص ١٥٥ وما بعدها ط دار الصحوة للنشر ١٩٨٧م.

والاجتماعى للمحتاجين، مؤكدا لطالبية من عون مجرد من(يسوع)الذى يجير المستجيرين، ويعطف على المساكين، وقد قامت مؤسسات ضخمة نسدى العون لطالبية على هذا الأساس، وترقب فى امل رد الجميل.. كما أن عددا من ابناء المترفين فى الداخل والخارج عاش العربدة والتسول الجنسى، وكان ظهيرا ضد بلاده ودينه للغداه المتربصين والأقليات الإسلامية فى العالم تتاكل تاكل اليابسة امام اللجج العاتية ونكاد تعجب عن المقاومة وهى لا تجد عونا من لحد و كأن القدر حكم على اغنيائنا لإنفاق المليارات فى البلاء عقوبة لهم على الضن بها فى سبيل الله، وجاية إخوانهم المنكوبين.. اننى ارقب قادة التنصير وهم يدرسون - على مهل - خططهم فى تدويخ أمتنا وزحزحتها

عقائدهم، بيد انى اكاد انفجر حين رأى حصوننا مهددة من الداخل.[1]

وعن خطط الاستعمار فى البلاد الإسلامية يقول الشيخ: عندما سقطت الدوله الإسلاميه(الخلافة)فى القرن الماضى بعدما قامت بها الادواء الخلقية والاجتماعية، وتفشت فيها العلل النفسية والسياسية اهتبل الغرب الفرصة السانحة، واستطاع خلال مدة وجيزة أن يضع يده على اغلب الأقطار الإسلامية، وان يوقع الشعوب المذعورة فى الحبائل التى نصبها، فأضحت له فريسة سهلة.. لجأ الاستعمار الصليبى الى ثلاث طرق لمحاضرة الإسلام ومحاولة الاجهاز علية..

١- منع الحكومات الإسلامية من الاعتماد على التشريع الإسلامي وللاستعمار حيل دقيقة وسلطات مرهوبة تجعل ايماءاته فى هذا الشأن اوامر منفذة بل اوامر يصدع بها العبيد، وكانها تفكيرهم الخاص، ووجهة نظرهم التى اقتنعوا بها.

٢- التبشير بالنصرانية نفسها عن طريق المستشفى والمدرسة والملجأ واساليب النشر المختلفة.

٢- ومن اخطر الوسائل للنيل من الإسلام، وتذويب حقائقه حكومات مواليه للإستعمار عاطفة على إمانية ومراميه.وهذه الحكومات تكون مسيحية لحما ودما، بينما تتكون جمهرة الأمة المحكومة من مسلمين تائهين. وقد تكون الحكومة خليطا من وزراء وآخرين غير مسلمين ولكن الصبغة الإسلامية باهتة او معدومة.. وقد تكون الحكومة اسلامية الاسماء بيد أن العهد المأخوذ عليها يوم استقلت عن التبعية الأجنبية المكشوفة، أن توالى الصهونية وان تناصر دول الغرب الصليبى وان تعيش هادئة داخل هذا القفص الخبيث[2]

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: صيحة تحذير من دعاء التنصير ص ١١٥،١١٦ ط دار الصحوة ١٩٩١.

[2] الشيخ محمد الغزالي: معركة الصحف فى العالم الإسلامى ص ٣٩، ٤٠ دار الكتب الحديث ١٩٧١.

وعن فلسفة وجود اسرائيل يقول الشيخ: يزحف اليهود على فلسطين ونيتهم المعلنة إعادة هيكلة سليمان على أنقاض المسجد الاقصى، وتشريد وإذلال العرب، وانتهاز الهزيمة الإسلامية للقضاء على تراث محمد ﷺ كله.[1] وكما ينتهز اليهود الهزيمة الإسلامية للقضاء على تراث محمد صلى الله علية وسلم ينتهز الصليبيون ايضا الهزيمة الإسلامية للقضاء ع الإسلام فى قلوب أصحابه.
يقول الشيخ: طالما شكوت من أن الهجوم على الإسلام منظم والدفاع عنه مرتجل.. فتمزيت الإسلام فى هذا العصر تدرس له خطط، واقعد له مؤتمرات ويعرض بدقة حساب الأرباح والخسائر، ولا حرج من الاستعاضة بمشروع عن مشروع ويرحل عن رجل..

يقول احد دعاة النصرانية: لقد دربت الدعوة إلى النصرانية فى أرجاء كثيرة من ديار الإسلام، وان تجارية تخولنى أن أعلن بينكم على رءوس الاشهاد أن الطريقة التى سرنا عليها الى الان لا توصل الى الغاية المنشودة، قد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا، واتفقنا من الذهب قناطير مقنطرة، والفنا كتبت ورسائل وخطبنا ما شاء الله أن تخطب ومع ذلك فنحن لم ننقل من الإسلام الى النصرانية الا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى او مصابا سافلا لم يكن ظاخلل فى دينه من قبل حتى نعده قد خرج منه، ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول: أنه دخل فيه، ومع ذلك فالذين تتصروا لو يبعوا بالمزاد لايساوى ثمن احذيتهم...)
وقرر كبير المنصرين أن الخطو المثلى هى إفساد المسلمين على دينهم وتونبن الروابط التى تصلهم له، وخلق اجيال فارغة من عقائد الإسلام، وتعاليمه، وتشجيع حملة الاقلام، الذين ينشرون الادب الغث والمقالات الهابطة، والذين يكتبون فى كل شئ، الا لا الإسلام وقضاياه ومطالبة، وتبنى رجالا يزورون التاريخ ويجعلون أمتهم دون ماضى تستند إليه، او تراث تعتمد عليه، وتشجيع المسلمين المخرفين الذين تكمن فى دمائهم جراثيم البدع والمفيدة والانقسامات الهدامة وتشجيع"المفكرين"الذين يلمزون الإسلام ويغمزون أصوله وفروعه.. ودفع العلمانيين الى
صدارة المجتمع، ووضع مقاليد الأمور فى أيديهم وتدويخ المسلمين المخلصين وإقامة السدود فى وجوههم..

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: الحق المر ص ١٤١.

والظاهر أن الاسلوب الجديد هو الذى تقرر اتباعه وان لم يهجر الاسلوب الاول هجرت تاما، ولعل اخطر شئ فى الحملة على الإسلام رفض الانتماء له محليا وعالميا.[1]

وعن مطاردة العلماء الذين يتصدون للفكر الصليبى يقول الشيخ: ان الجهود مبذولة لمطاردة الدعاة المخلصين من العلماء الأصلاء والفقهاء الحكماء،والقضاء عليه، وترك المجال البوم والعربات من الأميين والجهلة والمسطحات يتصدون للدعوة ويتحدثون باسم الإسلام ووراء ذلك مخطط استعمارى مدروس بدهاء، تنفيذية الحكومات المدنية بدقة، حتى لا يبقى للاسلام لسان صدق، وحتى تبقى العقول المحتلة هى التى تحتكر الحديث عن الدين المظلوم.[2]

وعن خطوات الصليبية فى القضاء على الإسلام فى مرحلة ثانية بعد المرور بمرحلة المودة بين المسلمين وغيرهم من البلاد المسيحية يقول الشيخ: أن للصليبية الحديثة مارب واضحة انها تحاول أن تجعل من انكسار المسلمين عسكريا ارتدادا عاما عن الإسلام.. ولما كان تنصيب هذا الجيل من المسلمين مستحيلا،

فهى تعمل ابتداء على خلخلة بثينة وتشكيكه فى فكرة التدين على العموم، والمرحلة الثانية تقوم على حركة تقرب وموادة بين جيل منسلخ عن عقائد الحلقه، وبين ابناء الدول المسيحية الغالبة.. أما المرحلة الأخيرة فالمفروض فيها أن تمحى معالم الإسلام من اقطاره العديدة، وان ينصرما يمكن تنصيره ويستأصل ما يستعصى على الردة.. وبهذا الاسلوب تنجح الصليبية الحديثة حيث عجزت جزثومتها فى القرون الوسطى.[3]

وعن مصير العرب والمسلمين يقول الشيخ: الموت الذى انزله الاستعمار الصليبيى بسكان امريكا واستراليا الاصلاء، والذى يجب أن ينزل بالعرب كذلك،فما ينجو منهم احد وان زعم أنه أصبح مسيحيا من.يدرى لعله مسلم فى قرارة قلبه؟ ما حمله على اظهار تنصيرن الا النجاة من الفناء. لقد قال ناقد فرنسى يشرح مسلك قوم - فى التعالى على المسلمين:"والاحساس بالتفوق المتأصل فى نفوس المستوطنين الفرنسيين ربا - زاد - حتى حد"مركب

---

[1] المصدر السابق ص ١٠٧، ١٠٨

[2] الشيخ محمد الغزالي: هموم داهية ص ١٦٠، ١٦١ ط دار الحرمين للنشر ١٩٨٣.

[3] الشيخ محمد الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحيه والإسلام ص ٢٥.

الاستعلاء"ويصفهم اخر بقوله"انهم يشبهون القاهر الذى يخشى بأسعار، القادر الذى ترجى حمايته،او العدو الذى لابد من صداقته.[1]

وعن أهمية التبشير الدول الاستعمارية يقول الشيخ:

يكاد المراقبون والنقاد يطعطون على أن الاوربيين والأمريكيين ليسوا مولعين بالتدين، ولا مبالين الى التقوى، وان صلتهم بالله تعالى لا تتجاوز الشكل دون الموضوع، ولن اختفائهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل ايام الأجساد، ومختلف الاعياد الى فرص للاستحمام وشباط للهو والمرح بريئا كان او غير برئ.. والأوربيون والأمريكيون - اجمالا - يجنون تمرات تقوم عملى رائع.. رقة معايشهم ونعم حضارتهم، وربما استطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم، ويهذب غرائزهم، إلا أن بيئات كبيرة فى القارتين لم يرفع العلم الانسانى مستواها الا فى الكلمات والملابس اما ما وراء ذلك فهناك القتل والخطف والاغتصاب، والفوضى الجنسية والكبرياء العنصرية وعبادة الحياة الدنيا، والتجهم او الإنكار لما ورائها.. ومن هذا السلوك الهابط، فان الاوربيين والأمريكيين يتهمون بالتبشير ويريدون لرجاله وأغراضه اموالا طائلة، وبتابعون نشاطه ونتاجة بيقظة.. ومع أن الحكومات فى كلتا القارتين لا تبالي أن يؤمن أبناؤها او يلحدوا، الا انها تولى الدين فى أفريقيا وآسيا قدرا ملحوظا من رعايتها.. وتنزيل الى تذليل الصعاب وتحطيم الخصوم ولننظر الى فلسطين فى ظل الانتداب البريطاني، لنرى اثار هذا الإتجاه فى تحقيق الاغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر....

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعاة المسلمين يسمى"الكلية الصلاحية"نسبة لصلاح الدين الايوبى - امر الانتداب البريطاني بالأجهاز عليه عشية باشر الحكم فى البلد.

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين: أولهما: العنوان الذى يستر خبيثته ويجعل له - فى الظاهر - وظيفة اخرى ثقافية اجماعية او طبية - يمضى تحت شعارها الى هدفه.

والثانى: وهو فى نظرنا شديد الخطورة: تكون الظروف التى تشغل الشعوب بحوار مفتعل، او قضايا وهمية، او مسالك محيرة تبدد فيها الطاقة وتتشعب الاراء والأهواء.

ان هذن الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان التى تتحرك خلفها الجيوش الزاحفة، فلا يوضع أمامها عائق، ولا يوقفها استعداد او خذر. وما اشك فى ان

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: كفاح دين ص ٢٣.

التبشير العالمى جند أفلاما - كتابا - كثرة فى الامة العربية الإسلامية، لفعل الاتى:-
* تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيدة نافعة لتقدم اخرى ضارة نافعة.
انهم قوم يعتمدون على التخطيط لكل عمل يقومون به خاصة التخطيط البعيد، انهم يقومون لبناء مدرسة فى اى بلد اسلامى، مدرسة للتعليم الاساسى لانهم يشترطون تطبيق نظمهم او بعضها فى التعلم فى المدارس التى يبنونها وفى هذه المدرسه يبقى الولد من البنت الى نهاية التعليم الاساسى، وتذهب المدرسات بملابسهن الغريبة الى اماكن نائية للتدريس فى المدراس، فوجود الولد مع البنت الى بدايه فترة المراهقة، ووجود المدرسات مع المدرسين فى نفس المدرسة هذا الوضع من الممكن أن يمضى بسلام عاما او عاميين او عشرة، ولكنه ولكنه على المدى البعيد يكون قد انتقل بنظام التعليم والحياة الإسلامية إلى نظام اخر وحياة اخرى، وهذا مايرجوه الصليبيون من وراء الغزو الثقافي للبلاد الإسلامية، وهكذا فى المستشفيات والنوادى والمؤسسات التى يقومون بإقامتها فى البلاد الإسلامية.

٤- خطة تمويت الإسلام:

اهتم الشيخ بهذه الفكرة، لانها تعد بحق محور حركة الاستعمار الصليبى فى البلاد الإسلامية وقد ردها الشيخ لأهميتها - فى كل ما كتب فى الموضوع وقد سبقه إليها الاستاذ / محب الدين الخطيب فى كتابه(الغارة على العالم الإسلامى)[1] ونقل هذه الفكرة منظفم اصحابها، فقد صرح بها القديس"زويمر"حين قال: انما بذلنا جهودا كبيرة لتنصير المسلمين ولكننا لم موفق فى هذا المضمار، فعلينا أن نحاول اخراج المسلمين من دينهم فقط، لما نضعف مقاومتهم لنسائنا ولحضارتناط ولأفكارنا.

لذا اهتم الشيخ بهذه القضية واولادها عناية خاصة وجعلنا من اهم النقاط التى يجب أن يلفت إليها عند الدراسة أو إلى بلد اسلامى فرقة مسرحية او فرقة راقصة وقضت الليالى الطوال ترقص والناس يسهرون ويمرحون، والبعض يرى أن هذا العمل ترويحى لا شئ فيضه ولكن من يملك النظرة العالمية الامور التى ميزت الشيخ عن غيره من الدعاة، يرى أن كل عمل يساعد على حب الفاحشة إماته للفضيلة فى المجتمع المسلم هو تمويت للإسلام فى النفوس المسلمين، وليس هذا فحسب بل يعد ذلك مقدمة وتميهدا لضياع المسلمين شكلا وموضوعا فى نهاية الأمر.

---

[1] محب الدين الخطيب: الغارة على العالم الإسلامى ص ١٩ ط المطبعة السلفية ١٣٩٨ هـ

يقول جب: الواقع أن الإسلام كعقيدة لم يفقد الا قليلا من قوته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه، فهناك مؤثرات اخرى تعمل الى جانبه، وهى فى كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضا صريحا، ولكنها تشق طريقها - بالرغم من ذلك - الى المجتمع الإسلامي بقوة وعزم..

فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، واخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا، حتى انحصرت فى طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا من غير وهى وانتباه. فإماتة الإسلام فى نفوس المسلمين بالبعد عن تعاليمه، ودفع المجتمع فى حركته بعيدا عن الروح الإسلامية، يعتبر هدفا صليبيا وان ظنه البعض تقدما وتطورا، وقد احسن الشيخ بتركيزه على هذا الهدف وتعريته وكشف ما يعد له من قبل الاستعمار.

٥- المودة وبعدها النهاية: يثير الشيخ هنا نقطة هامة، بل لعلها الاهم فى هذا البحث فهو يرى أنه فى الوقت الحاضر ستتم مصالحه بين الاستعمار الصليبى والمسلمين وستختفى مظاهر الخلاف القديمة، وسيعمل الاستعمار الصليبى على كسب تعاطف الاجيال الحاضرة من المسلمين ثم بعد ذلك يجهز عليهم نهائيا، كما يفعل الجزار مع الحيوان قبل ذبحه فهو يقدم له ما يحب من الف ثم يسقيه ماء، وفى هذه الحالة يشعر الحيوان بحب تجاه ذابحه، بينما الجزار يبادله شعورا مختلفا فهو لا يحبه ولكن يحب ذبحه فالشعور هو شعور الحب ولكن مختلف لدى الفريقين واذا صحت نظرية الشيخ هذه فإننا نتوقع نهاية الصراع العربى الإسرائيلى وتترك جنوب لبنان، وتترك هضبه الجولان لسوريا، وسوف تقوم علاقة ود ومحبة بين العرب واليهود كالأتى أشرنا إليها بين الحيوان والجزار محبة ولكنها مختلفة البواعث والغايات. وربما فى زحم هذا الحب وتلك المودة ينسى المسلمون قول الله تعالى(لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا..)[1]

وعندما ينسى المسلمون ذلك يكونون قد اقتربوا كثيرا من النهاية، بل لعلهم دلخوا الى سرادقها بالفعل وأحيط بهم.

والذين يفسر نظرية الشيخ فى المودة والنهاية طول مدة الصراع بين المسلمين واعدائهم من يثرب فى القرن الأول الهجرة إلى الان، مرورا بدماء وضحايا من كلا الطرفين فتصبح المودة القادمة حلقة من حلقات الصراع، وأسلوبا من أساليب الاحتواء، ووسيلة من وسائل القتل الشديد والشيخ ينظر لهذا المستقبل الكتب يقول: ولما كان تنصير هذا الجيل من يقينه وتشكيكه فى فكرة التدين على

---

[1] سورة المائدة ٨٢.

العموم.. والمرحلة الثانية تقوم على حركة تقرب ومودة بين جيل منسلخ عن عقائده الحقة وبين ابناء الدول المسيحية الغالبة.. أما المرحلة الأخيرة
فالمفروض فيها أن تمحى معالم الإسلام من اقطار العقيدة، وان ينصر ما يمكن تنصره، ويستأصل ما يستعصى على الردة[1] والشيخ يكتب هذا ومتابعه بهدف إيقاظ أمتنا وجداننا، فلا شك أن فى الامة الإسلامية مخلصين وحكاما مخلصين لا يرضون لامتهم الدونية، ولكن ربما اخذهم العمل الصالح الأمة فى ميادين اخرى غير الدعوة، وجعلهم يأمنون جانب عندهم ولا يلتفون الى فلسفة الصراع وعمقه مع العدو الصليبى، والى قوانين الله تعالى فى الكون.[2]

٦- المشروعات التبشيرية واستقطاب الشخصيات العامة

(أ)يقصد بالمشروعات التبشيرية كل المؤسسات التى يقيمها الغرب الصليبى فى ديار الإسلام سواء كانت مؤسسات مباشرة مثل المستشفيات والمدارس، او غير مباشرة مثل المؤسسات فى البلاد العربية الإسلامية لخدمة الاستشراق ظاهريا، لكن هدفها فى الحقيقة خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكى والبروتستانتى فمثلا فى مصر قاعدة من قواعد الإسلام الثابتة

أنشأ المعهد الشرقى بدير الدومينكان بشارع مصنع الطرابيش بالقاهرة والمعهد الفرنسى بالمنبرة بالقاهرة، وندوة الكتاب بشارع طلعت حرب بالقاهرة، ودار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة بالقاهرة وهذه المؤسسات لها مسحة بروتستانتية.. وفى لبنان جامعة القديس يوسف وهى جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف الان بالجامعة اليسوعية، والجامعة الأمريكية ببيروت، وكان من قبل تسمى الكلية السورية الانجليزيه أنشئت منذ ١٨٦٥م.ثم دأب القائمون على الاستشراق الى عقد المؤتمرات العامة لتنظيم نشاطهم منذ ١٨٧٣ م ونشر المقالات فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية او الشهرية او السنوية، وتأليف الكتب التى تطفح حقدا وسما على الإسلام ونبيه، وتوهين القيم الإسلامية وتفتيت وحدة الشعوب الإسلامية.

انهم وان كانوا قد غلفوا الاستشراق بطابع البحث العلمى الاكاديمى إلا أنه فى الحقيقة يحمل فى جنباته سموما ضد حقائق الإسلام الثابتة[3] وبقيت هذه المؤسسات تعمل تحت سمع وبصر الجميع وتحقق نتائج ملموسة - فى حساباتهم

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحيه والإسلامية ص ٢٥.

[2] منذ اكثر من اربعة عام وفى حين وجهها الى ولده كتب الفرعون(نسب كاورع الملك المصرى القديم:"من رغب فى السلم استعد للحرب"من كتاب صليبية للابد: تأليف عند الفتاح عبد المقصود ص ف ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م.

[3] المستشار: محمد عزت اسماعيل الطهطاوي: التبشير والاستشراق ص ٤٣، ٤٤ م ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٧م.

_ ولولا ذلك ما ابقوا عليها، وحين ينتظر بعض المسلمين الى هذه المؤسسات ينتظر إليها نظرة على، فلا
يستطيع أن يلمس أثرها او يدرك خطرها، وذلك لحسن الحيلة ودقة الحركة وحساب الخطوات. أن الخطة العدائية التى أنتجتها الشبان المسلون المتعلمون، اضطرت المبشرين فى القطر المصرى الى محاوله إعادة ثقة الشبان المسلمين بهم، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات فى موضوعات اجتماعية وخلفية وتاريخية لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين، رغبة فى جلب قلوب المسلمين إليهم وانشاوأ بعد ذلك فى القاهرة مجلة أسبوعية اسمها ،،الشرق والغرب من ،، افتتحوا فيها بابا غير دينى يبحثون فيه بالشئون الاجتماعية والتاريخية، واسسوا ايضا مكتبة ليبع الكتب بأثمان قليلة، والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم فى أثناء البيع[1]
والتبشير يقوم على أسس علمية ويرضى المبشرون بالقليل اذا ضرب فى الزمن يصبح كثيرا،"أن من المتعذر تعيين نتائج هذه الأعمال الخيرية إلا أن مما يدعو الى الاغتباط والسرور اننا اقتطعنا ثمرات اعمالنا فى كل منطقة من مناطق التبشير، فالأوهام تبددت وحل محلها التسامح، والاهتمام الحقيقى بالتعاليم النصرانية"[2]
وهكذا يحقق التبشير اهداف بالصبر والعلم
ب- استقطاب الشخصيات العامة:
ومن النقاط التى أبرزها الشيخ عندما تصدى لجهود الاستعمار فى البلاد الإسلامية من هذه النقاط استقطاب الشخصيات العامة فى المجتمع المسلم وجعلنا ابواقا لدعايته. تردد ما يقول وتفعل ما يريد وخطورة دور الشخصيات العامة انها مسموعة الكلمة بين قومها مستغرب منها أن ترودهم موارد الهلاك، ومن ثم كان دورها مؤثرا وخطيرا للغاية، يجب أن يكون الاهتمام الاكبر منصرفا الى خلق رأى عام، والسبيل الى ذلك هو الاعتماد على الصحافة، ويقرر"جب"ام الصحافة هل اقول الادوات الاوروبية واعظمها فى العالم الإسلامى.."كما يقرر أن مديرى الصحف اليومية ينتمون فى معظمهم الى"التقدميين، ولذلك كان معظم هذه الصحف واقعا تحت تأثير الاراء والأساليب الغربية ويقول: انهم لا يلعبون دورا مهما فى التشكيل الرأى العام بالقياس إلى الأحداث المحلية فحسب، ولكن صحفهم تحتوى كذلك على مقالات مترجمة من الصحف الأوروبية، ثم انهم فى الوقت نفسه يطلعون الرأى العام على ما يجرى فى الغرب من احداث.[3]

---

[1] محب الدين الخطيب: الغارة على العالم الإسلامى ص ٢١
[2] المصدر السابق ٣٦.
[3] د.يوسف القرضاوي: الحلول المستورد ص ٣١، ٣٢

وقد تتوالى
وقد تتوالى هذه الشخصيات خاصة التى تربت فى الغرب، وحصلت على القدر من التعليم فيه قم تتولى الدفاع عن الحضارة الغربية ولا يخفى أن فى ذلك خطورة على وجدان المسلم العادى، لحالها من تأخر وخداع.
٧- التنبيه إلى نجاح المبشرين:
ينبه الشيخ الى نجاح المبشرين وياتى بالمصادر التى تريد ذلك بالارقام وتحدد النتائج، وهو بذلك يصل الى نهاية متابعته الاستعمار بالمنهاج الشامل، الذى يتقصى الظاهرة من بدايته لنهايتها، وهذا يعكس التزام الشيخ بالمنهاج العلمى فى البحث الا ان منهاج الشيخ لم يأخذ شكله الاساسى لتفرق المعالجة فى كثير من كتبه وربما اراد بذلك كثرة التذكير لخطورة الأمر ولم يشأ أن يجعل ذلك ف كتاب واحد وربما لجأ إلى ذلك بسبب ظروف الدعوة واعبائها كما ذكر فى بعض كتبه، إلا أن المستقضى لأفكار الشيخ يراها ترسم منهاجا كاملا اذا اجتمعت جواهرها وانتظمت فى عقد واحد. فبالنسبة للإستعمار، فقد بدأ الشيخ بتذكيرنا ببدايات الصراع فى يثرب ثم انتهى شرحه لقضية الاستعمار بذكر الثمار، والنتائج، التى يراها بعض الذاهلين عن مصير أمتهم وكأنهما امر عادى عن طبيعة التطور، ومن تضاريف الحياة.
ان قضية الصراع بين الاستعمار الصليبى والعالم الإسلامي يجب أن تبقى شاخصة فى العقول وامام العيون، الإسلامى يجب تعالج جذورها ضعفنا وقوتهم وآثارها التى ترتب مستقبل اولادنا وامتنان وعقيدتنا، ودورنا فى الحياة، اننا اخرجنا للناس بالعدل ولا يجب أن نغض الطرف عن الظلم خاصه وانه يقع عليها دون غيرنا بسبب عقيدتنا، التى لا تعيش بدونها، ولا حياة انا بدونها.

الباب الثانى

قضية الاقتصاد فى العالم الإسلامى

الباب الثانى: قضية الاقتصاد فى العالم الإسلامى

الفصل الاول.اشكال الاقتصاد المختلفة

تناول الشيخ فى بداية حياتى اشكال الاقتصاد المختلفة ودعا فى التخلى عن الاشكال النى غرسها الاستعمار فى البلاد الإسلامية، سواء كان النظام الرأسمالي او النظام الشيوعى، الذى دخل الى بعض البلاد الإسلامية تحت مسمى الاشتراكية، وبين الشيخ مسالب كل نظام على حدة، ثم بين مزايا النظام الإسلامي فى الاقتصاد.

ولإحساس الشيخ بأهمية الاقتصاد فى الإسلام، وكتب أول كتاب فى حياته عن الإسلام والأوضاع الاقتصادية فى الإسلام،كتب اول كتاب فى حياته عن الإسلام والأوضاع الاقتصادية،وهذا يؤكد منهاج الشيخ رحمة الله تعالى فى الدعوة إلى اللة تعالى فهو يهتم باصلاح الدنيا للمسلمين جنبا إلى جنب مع اصلاح الآخرة والقرآن الكريم يؤكد هذا المناهج فى قول الله تعالى(ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنه وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[1]

فالله تعالى يبين منهاج عبادة الصالحين واهتمامهم، وطلبهم منه سبحانه وتعالى أن يعيطهم فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنه وقد بدءوا بحسنة الدنيا لان حسنة الاخر تترتب

عليها قال تعالى:(ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الخروج اعمى واصل سبيلا)[2].

ومن ثم كانت بداية قرآنية منهجية دعوية، لأن الداعية الذى لا يهتم بدنيا المسلمين وتفوقهم الحضارى لأداء رسالتهم، هو داعية يعيش فى الخيال وينفصل عن الواقع، وقد احسن الشيخ إذ بدأ بالاوضاع الاقتصادية فى بلاد المسلمين.

يقول الشيخ: الفت هذه الرسالة، ورتبت فصولها المحدودة لغاية واحدة، هى إعطاء القارئ صورة صادقة عن الفكرة الذاتية للدين والروح العامة لمبادئه، والموقف الذى قد يقفه بإزاء الافكار الاقتصادية المختلفة.

أنكرت الشيوعية الدين، لانها حسبته مخدرا للشعوب ومسكنا لآلام الطبقات المظلومة، وصارفا لهمم ابنائها عن المطالبة بحقوقهم المضيعة.. واحتقرت الرأسمالية الدين، إذ توسلتبه إلى إشباع المطامع الجشعة، وإقرار الفوارق الجائرة.. والدين مظلوم بين من كفروا به، ومن حجدوه، بين الشيوعية المتطرفة والرأسمالية المتعجرفة[3] وعن الرأسمالية وكيف تفعل بالناس يقول الشيخ: للترف تاريخ يضرب فى أغوار

---

[1] البقرة:(٢١)

[2] سورة الإسراء:(٧٢)

[3] الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١٧ ط دار الصحوة ١٩٨٧ ط 71.

القوم، ولمظاهره المادية والأدبية آثار عرفها المتقدمون والمتأخرون من سكان هذه الارض على اختلاف أقطارهم، وللبؤس كذلك تاريخ تمتد جذوره فى ماضى الإنسانية البعيد، ولصوره المادية الكئيبة معالم عرفها الأسلاف والإخلاف جميعا.. وفى ظهور الترف والبؤس توجد الطبقات المترفة، والطبقات البائسة، ويولد نظام الطبقات ويحدث التظالم الفردى والاجتماعى والسياسى.. وتنشأ معانى السيادة والرق، والقداسة والضعة.. ووقر فى النفوس أن تفاوت الناس فى الأرزاق سنه إليهة، وان انقسام الامم- تبعا لذلك- الى طبقات تتفاضل بحسب ما تملك من متاع الحياة وخيراتها، امر طبيعى، قصد إلية الدين.. ونحن نقول: بأن الدين منذ فجر الخليقة- حارب فكرة انقسام الناس الى طبقات، على أساس ما يمتكلون من امثله مادية جليلة او قليلة.. على أن الملاحظ فى البيئات التى يظهر فيها الترف والبؤس ويوجد فيها نظام الطبقات. ان يقوم التفاوت المالى مقام التفاوت العقلى و يستنكر بروز النابغين من الطبقات الفقيرة، او توضع العقبات الكثيرة لعرقلة نموهم واخماد نارهم.

وبديهى أن تكون الثروة او السلطة محاول لهذه الطبقة المتمردة فتجد من بعض الناس استجابة لا معنى لها، واستهانة بالآخرين لا إنصاف فيها، وتجد شعورا عارما بحقوق خاصة، وذهولا عن اى واجب مطلوب، فى الوقت الذى يفرض فيه هؤلاء على الآخرين واجبات لا حصر لها دون مقابل معروف وقد عمل الإسلام على عدم هذه الكيفية، واعلاء القيم الإنسانية وحدها

وعن الاوضاع المعنوية فى المجتمعات الإسلامية يقول: شتان بين ماهو كائن وما يجب أن يكون فى بلاد الإسلام البائسة المنكوبة بأفانين من الاستعمار الخارجى والداخلي.. إن الغني والفقر وحدهما ميزان الطبقات هنا وهناك.. الغني الذي لا يعرف من اين جاء، والفقر الذي لا يعرف كيف حل.. وفي مصر شعب تضطرب به سهول الوادي الفسيحة، يمدح وينصف ليرتاح علي ثمار جهوده نفر من الأعيان والوجهاء.. شعب اقعده الشقاء واضره الحرمان، وقله أبطرها النعيم، وأغواها الطغيان ما هذه الفوضي الشاملة وكيف تستقر هذه الحماقة.[1]

وعن تشجيع الاستعمار لهذا التفاوت الطبقى يقول الشيخ: وقد أدرك المستعمرون هذه الحقيقة، فمهدوا لبقائهم فى البلاد التى احتلوها بإنماء نظام الطبقات، وضمنوا للمترفين ما تصبوا آلية شهواتهم، من حياة رغدة، وتركوا كتل الشعب الكبرى يموج بعضها فى بعض، تطلب الضرورات الكبرى للجسم والنفس

---

[1] المصدر السابق ص ٣٢

والعقل، فلا تجد من ذلك الا جرعات، تسكن ثوراتها أن ينفجر. او تبقى للعبيد الرمق الذى يحيون به لخدمة السادة.. فحسب.[1]

وعن اثر الاقتصاد السيىء فى خلق الرذائل فى المجتمع المسلم

يقول الشيخ: أنه من العسير جدا أن تملأ قلب انسان بالهدي إذا كان معدته خالية، او ان تكون بلباس التقوى،إذا كان بدنه عاريا انه يجب أن يؤمن على ضروراته التى تقيم أوده كأنسان، ثم ينتظر منه بعدئذ، اه تستمسك فى نفسه مبادئ الايمان.. كثيرا ما وجدتني أعالج وعظ الناس فى بيئات صرعها الفقر و المرض والجهل فكنت احار ماذا اقول لهم؟ هل اقبح لهم الدنيا.. أن الدنيا لن تكون اقبح مما هى عليه فى أعين هؤلاء التعساء..

وحاجاتهم الى من يعرفهم اركان الحياة،امس من حاجاتهم الى من يعرفهم اركان الإسلام. ان الشعور بالهوان والحرمان قد شل تفيكرهم، فإنى يعرفون ربهم؟ او يشعرون لما قدموا بهم.. انهم أعجز من أن يقدموا الحساب عن يومهم فهيهات أن يأخذوا الاهبة الحقة الدار الآخرة؟ انا لا أنكر أن وراء حناياهم الضامرة، قلوبا فيها ايمان ما، لكن قيمة هذا كله تافهة، لاتجدى على أصحابها كثيرا. فى الدنيا او الآخرة.. والدين الحق لا يؤدى رسالته فى هذا الجو الخانق، ولا تثمر عثائده فى هذه البيئات العقيمة.. فلا يد من التمهيد الاقتصادى الواسع، والاصلاح العمرانى الشامل، اذا كنا مخلصين حقا. فى محاربة الرذائل والمعاصي، والجرائم باسم الدين، او راغبين حقا فى هداية الناس لرب العالمين.. اما ان نترك الظروف التى تلد الجريمة حتما، تنمو وتتكاثر، ثم تكتفى فى خدمة الدين بالنصائح المجردة العواطف المفتعلة، فهذا فى الحقيقة هو العبد المبين.. أن النسبة الكبرى من الراذئل تعود الى واحد من الثالوث المتوطن فى ارجاء أمتنا من زمن بعيد، ثالوث الفقر والجهل والمرض.. أن زوال هذه الآيات الإنسانية يخفض نسبة الجرائم فى بلادنا ٩٠٪

ونحن نعرف أن فى مصر الآفا من العلماء الذين ينتمون إلى الدين وينبثون فى معاهده ومساجده، وينطلقون فى المدائن والقرى يلشرون ويخبطون، فهل وصلنا- بعد هذا المجهود المادى والادبى الواسع _ الى درجة من الرقى والسلامة الاجتماعية؟.. والعلاج الأصلية فى هذا أن اختلال التوازن المادى والأدبى مكن لشياطين الإجرام أن تعمل وتنجح، فكيف لا يتدخل الدين فى تغيير هذه الحال تم اراد لنفسه البقاء، ولرسالته التحقيق؟[2] وعن ضغط ضرورات الحياة علي الناس يقول الشيخ: إن المآكل والملبس وما إليهما من ضرورات العيش، اذا عزمنا لها طال التفكير فيها، واشتد السعي إليها عظمة قيمتها وغلت

---

[1] المصدر السابق ص ٥٣

[2] المصدر السابق ص ٦٢، ٦٣

حقيقتها، فإذا كلفت طائفة من الناس بأن تقضي عمرها فى تحصيل هذه المطالب المادية وأن تقف تفكيرها واحتيالها على توفير هذه الضوروات الإنسانية فمعني هذا اننا كلفناهم بأن يعيشوا ليأكلوا، أو ليأتوا بالاكل لأهلهم وأولادهم.. وقد حكوا أن فقيهاً إسلاميا كبيرا فاجأته خادمته وهو ذاهب لإلقاء الدرس، بأن الدار ليس بها دقيق فطارت من رأسه مسائل العلم التى أعدها.. ثم العيب كذلك على طوائف من المتدينين لا ترى مواطن العباد الا فى مواطن المسكنة والدمامة والقلق.[1]

وتحت عنوان: نظريات مختلفة يتحدث الشيخ عن الرأسمالية والاشتراكية فيقول: الفكرة الرأسمالية تقوم على حرية العمل والاستثمار والتملك، وترى أن الفرد مادام واسع الذكاء والحيلة، جم النشاط والسعى، فله أن الفرد يحوز ما يشاء من مال، مادامت سوق المنافسة حرة ومادامت طرائف الجمع مشروعة، ومن الظلم أن توضع القيود والعوائق امامه، لتشل انتاجه فى ميادين العمل المختلفة، وهذا كلام وجيه فى ظاهره ولكن يؤخذ علبه ما يلى:

(أ)تستبد بالرأسماليه شهوة جمع المال من كافة الوجوه الممكنة فلا يبالون باستغلال جهود العمال، وانتقاص حقوقهم وتسخير مواهبهم.

(ب)ينسى الرأسماليون حقوق الله والناس فى أموالهم ويتهربون من أداء الواجبات الدينية والاجتماعية المنوطة بهم[2]. ويحولون ثرواتهم على عجل الى كنوز ميته يقل انتفاع الأمة بها أو ينعدم.

(جـ)اذا كان من بين هؤلاء من يعين فى مشروعات الخير، ويساهم فى نواحى البر، فأن ثرواتهم تنتقل بنظام التوارث الى أقوم لا عمل لهم ولا غناء فيهم.

(د)وجد أن البيوت المالية الكبرى تتعاون على قتل صغار الرأسمالية الناشئين، وترصد من مصروفاتها ما يفسد الأسواق أمام النشاط الاقتصادى لهؤلاء.. وبهذا يضيع التنافس الحر.

(هـ)ظهر ان مجتمعات الرأسماليين تغص بفنون اللذائذ الرخيصة وتنضح بعوامل الفساد العريض.. على أن هذه المآخذ تختلف نسبتها من قطر إلى قطر، ويقل الإحساس بخطورتها بين شعب وشعب.. وعن الفكرة الشيوعية.

يقول الشيخ: أما الفكرة الشيوعية فى طورها الأخير فتقدم أساسا للتنظيم الاقتصادى يعتبر سليما من الناحية النظرية اما الناحية التطبيقية فلم تتح لنا

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والمناهج الاشتراكية ص ١٦، ١٧

[2] ليست هذه صفة أساسية عن الراسماليين ما يفهم من كلام الشيخ،فالراسمالية الوطنية فى مصر الان يقوم معظم اصحابها بأداء حق الله تعالى وحق الناس عن طيب خاطر ورجاء البركة والنماء وربما انصب حديث الشيخ على فترة معينة من حياة الرأسمالية فى مصر.

أسباب دراستها، حتى يتيسر الحكم عليها، وان كنا نلاحظ عموما أن ثمة مبالغة فى سيطرة الدولة على الفرد، وفى مصادرة الملكية الخاصة، مصادرة عنيفة شاملة مع ان الحاجة ماسة إلى جعل المرافق العامة وحدها ملكا للدولة، اما المرافق الخاصة التابعة الملكيات الخاصة فلا ضير على الشعب من بقائها تحت ايدى اصحابها.[1] وعن النظام الاقتصادى فى مصر قبل الثورة يقول الشيخ: وهذه الأفكار التى سقناها عن الرأسمالية والشيوعية لا تخدم بها الا البحث العلمى المجرد، أما واقع الحياة فى مصر فإن الصراع فيه ليس بين نظام رأسمالى وآخر شيوعى، كما هى الحال فى بعض أمم الغرب ولكن الصراع هنا بين نظام إقطاعى موجود، وعدل إجتماعى منشود، اى بين بقايا من ظلمات القرون الوسطى بين طلائع التطور الانسانى الحديث، ونحن اذا استعرضنا تاريخ التملك الزراعى فى مصر، فى العصور الأخيرة، لم نجد الا ظلالا سودا لفوضى التمليك والتملك والاستهانة بالحقوق، والمحاباه للمحاسيب والأجانب والتجاهل لقيم العمل والعمال والغفلة عن مستقبل الأمة ومصاير بنيها.[2]

وعن ضياع اموال المسلمين نتيجة لتبذير الحكام يقول الشيخ: ومن خصائص الحكم السرف الشديد على شخص الفرد الحاكم، وعلى كل من يمت إلية بنسب، او يواليه بنصر، فترى شهوات الغى فى البطون والفروج مشبعة، ومضلات الهوى مسيطرة على المشاعر والنهى،وعبء هذه النزوات يقع على عائق الخزانة العامة وحدها فأن الاستبداد السياسي لا يبالي من اين يأخذ المال، ولا اين يضعه وقد نكب المسلمون من قديم بنفر من قطاع، وقعت فى أيديهم غنيمة الحكم فتقاسموها نهمين. ولم يعرفوا من المناصب التى سقطت فى أيديهم الا انها منابع ثروة للشباب الجامح، والنزق والافراط أما مصالح الأمة فلا وزن لها..[3]

وعن منهج الإسلام الخاص فى الاقتصاد يقول الشيخ: وليس معنى عدم وصف الإسلام بأنه اشتراكى أنه رأسمالى، او معنى عدم وصفه بأنه ديمقراطى، أنه دكتاكورى، بل المقصود أن للإسلام أوضاعه الخاصة، التى تعلو على هذه المذاهب جميعا، وهذا حق.. والاختلاف فى التسمية لا ضير فيها، انما للضير فى ان نوهم الناس، بأن الإسلام دين رأسمالى، وانه يحافظ على الأوضاع الاقتصادية الظالمة ويأمر بسفك الدم فى الدفاع عنها.

فالدفاع عن الرأسمالية لا معنى له البتة فى صدد الدفاع عن الإسلام، ثم إن تصور الحياة الاقتصادية، بأنها أما رأسمالية وأما شيوعية، خطأ علمى.. فإن

---

[1] المصدر السابق: ص ٤٦

[2] المصدر السابق ص ٤٨، ٤٩.

[3] الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والإستبداد السياسى ص ٣٧.

هناك مناهج اشتراكية اخرى كاشتراكية الدولة مثلا، التى يتجه إليها الإنجليز فى بلادهم وعداؤهم للشيوعية معروف، وهناك نظم تعاونية ليس الان مجال تفصليها، والمهم أن المذاهب الرأسمالية، أبشع ألوانها، وتلفت أقسى ضرباتها وسقط الشعب فيها صريعا للتلوث المدمر المعروف، ثالوث الفقر والجهل والمرض.[1]

لا يميل الشيخ الى النظام الرأسمالي او النظام الاشتراكى إنما يميل الى النظام الإسلامى فى الاقتصاد، وهو الذى يقوم على حرية التملك بالحلال ثم أداء حق الله فى هذا المال مهما اتسع حيز هذا التملك وعدده او كميته.

ولكن الشيخ- بسبب ظروف عصر الإقطاع الذى عاش فية فى بداية حياته يرى إمكان او جواز تقييد الملكيات الخاصة ويقول: ومسألة تقييد الملكيات لا تهدم نصا ولا تعطل قاعدة، بل هى- فى الحقيقة- عون فعال التنفيد النصوص التى جاء بها الإسلام، وتدعيم للقواعد التى بنى عليها فقهه العريق.

وعن أسباب نزع الملكية، او تقييدها يقول الشيخ: هل صحيح أن المسلمين يعيشون فى هذا السلام المأمول؟ وان بلادهم آمنة، فليس يلوح فى افقها تدمير حروب لا اخر لها، ام انهم عزل فى هذه الحياة المتقلبة على فم بركان، اللهم لا سلام و لا استقرار فتلك مزاعم الحمقى.. وعند التلويح بالحرب وخطر الحرب، ترتفع عن الأملاك صغراها وكبراها ايدى اصحابها، وتتولى الدولة انفاق اخر مليم لديها ولدى الشعب، فى الدفاع المقدس عن البلاد.. لعل تشريعا لو صدر خالصا لن يكون ابرك نتائج، واعمق آثارا من تقييد التملك والحكم فى أسبابه على مقتضيات المصلحة العامة، وفوق ما توصى به تعاليم الشريعة وما أحسب الإسلام يصيب لمبادئه نصرا، أو يكسب لاتباعه خيرا، أو يمهد لرسالته مستقبلا، أو يمسح عن حقيقته شهباً، إلا بسن هذه القانون، وتطبيقه فى اوسع دائرة، وسحب آثاره على الماضى والحاضر والمستقبل جميعا.. وإنمايجنح الإسلام إلى هذا المسلك اليوم، لطبيعة البلاد التى استقر فيها، وأحوال الملاك الذين يسكنونها، فهو مسلك خاص.. ذلك أن اغنياء المسلمين مع الاسف العميق ذا قورنوا بأغنياء البلد الاخرى يعتبرون اخس اغنياء العالم.

ولقد رأينا مسلك أغنياء اليهود تجاه قضاياهم القومية الاجتماعية والإنسانية فوجدناهم رجالا يرعون شعوبهم، وينصفون أتباعهم،وينهضون بالأحمال الثقال، التى تلقى عليهم.. أما اغنياؤنا، فهم أشد الناس إسراقا فى ملذاتهم الشخصية، واشدهم ضنا على شئون الوطن والمجتمع.. وكأن واعزا خفيا يوحى إليهم: انهم جمعوا ثرواتهم من باطل فينبغى ان تنفق فى مصارف السحب والفجور وحدها..

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: الإسلامى المفترى علية بين الشيوعيين والرأسماليين ص ٢.٢، ٢.٣ مكتبة وهبة ١٩٦٠ م ط /٥.

ولذلك قلما تظفر بها نواحي البر وجهات الخير على طول الانتظار وحرقة الضما.[1]

ويعدد الشيخ الامور التى استند عليها فى حكمه بالتقييد فيقول: وقد اسلفنا القول أنه-حول الملكيات المطلقة تتكون عصبيات جاهلية متغطرسة.. هذه العصبيات المعتزة بأملاكها تحتكر الحكم والجاه فى أقطار الشرق الإسلامى المضطهد فى الداخل والخارج، بأفانين المظالم الاجتماعية والسياسية.. أن الفين الإنسانية فى بلادنا تحتاج الى من يرد لما احترامها، حتى لا نرى المواهب الكريمة تدفن وتذوب، لانها نبتت فقيرة، وحتى لا نرى اقزاما يتحولون بين عشية وضحاها- عمالقة كبارا، لماذا.. لانهم اتحدوا من أسر واسعة الثراء.[2]

ويرى الشيخ ان الملكيات المطلقة تجلب الظلم وتعكر صفو الحياة يقول فى ذلك: والإسلام يدير شئونه التشريعية كلها على الحلال والحرام، ويوجب أن تقوم الحياة على رعاية هذه الأصول الدقيقة وان كانت الطبقات المأكولة. ويقصد الفقراء.فى الشرق الإسلامى هى وحدها التى تسمتع فى المساجد، الى الوعظ العام فى الحلال والحرام، فإذا اطاعت ما سمعت نفذته فى دائرة القروش والمليمات اما الطبقات الاكلة الأغنياء- فلا تبالى ما تفعل وما تترك، ولعلها تستغرب أن يسألها الدين عن حجز تلك القصور المشيدة وعن قيراط من هذه الارضيين الزهرة، أمن حلال هو أم من حرام؟ والحق أن هذا التساؤل من صميم الدين ولا يعد المجتمع نقيا نظيفا الا اذا فسر تصرفاته المالية كلها تفسيرا لا خفاء فيه ولا حوارية أن جامعة الثورات من الغصب والسرقة والرشوة واستغلال النفوذ، قوم مجرمون من عناية السماء، وان كانت لهم فى الارض وجاهات، وكثير منهم قد يغطى وهذه السيرة الدنيئة بركعات يؤديها، وكلمات طيبة يرددها أن الافتيات على أموال الفقراء القلية، و ترك الناعمين والمترفين يأكلون كما تأكل الانعام، فذلك ما لا يرضى به الإسلام.

وفى لفته بارعة ينتقل الشيخ من ظلم الأغنياء الفقراء فى البلاد الإسلامية إلى ظلم الدولة الاستعمارية الغنية للبلاد الإسلامية الفقيرة ليؤكد أن جعل افراد الأمة يعيشون فى ظلم وفى خنوع لحساب طبقة معينه، يجعل هذه الأمة كلها تصبح أمة خانعة فى تعاملها مع غيرها من الأمم فيقول:

بيد أن الشعوب الخادمة لغيرها، ليست إلا شعوبا ماتت فيها المواهب الإنسانية العليا وارتكست فيها الملكات الذكية اليقظة فهى تصف بالحياة كما يصف السادة

---

[1] هذا الكلام على فترة معينة عاشها الشيخ.اما الان فأن كثير من رجال الأعمال واصحاب الاموال يقومون بواجباتهم على خير وجه ولهم وربنا لا يستهان به فى نصرة قضايا الوطن وان كان البعض مازال ينطق عليهم كلام الشيخ فى الشح فى الخير والسرف اى اللهو واللعب

[2] الموجع السابق ص ١٦٣ وما بعدها.

بالحياة كلاب الصيد التى تلهث بين أيديهم، أو أبقار الحرث التى تعمل فى حقولهم،أما هم من الناحية الإنسانية المحضة فأموات.. وكل أمه تتكل عن حمل أعباء الحياة الحرة الأبية، وتنكص عن الاقدام فى ساحات الجهاد والتضحية، وتخشى عواقب المخاطرة والجرأة، فلا بد أن تصدر عليها محكمة التاريخ حكما بالاعدام.[1]

وعن عناصر نجاح الاقتصاد او فشله يقول الشيخ: والنظام الصالح هو الذى يعطى حق الحياة والنماء للجديرين بذلك، والذى يشد الى اسفل كل من يؤيدون الصعود بالتزوير والإثرة، والذى يدفع بالدناءة معترض الكفايات من اى طبقة.. وينقل الشيخ عن الصفحى مصطفى أمين قوله: فى بلادنا الدنيا كلها عندما ينجح انسان تنهال علية الورود والرياحين، أما فى منطقة الشرق الأوسط، فأن فيها وباء عربيا اسمه وباء الناجحين وتحطيم المتفوقين لا نكاد نسمع عن رجل نجح حتى تنهال عليه بالطوب وهذه طريقتنا فى إطلاق المدافع لتحية الابطال الفاتحين فإذا لم يكن الرجل الناجح عند حسن ظننا، وانهار تحت وابل الطوب أسرعنا نهدمه بالمعاول، فإذا رأينا رأسا مرفوعة طالباً بقطعه وإذا شاهدنا شركة ناجحة ابلغنا ضدها الرقابة الإدارية فإذا ألغيت الرقابة الإدارية استنجدنا بالنيابة الإدارية.

البعض مما يعتبر النجاح خيانة عظمى، يجب شنق مرتكبها المجرم الاثنين، أما الإنسان الفاشل فهو وحده الذى يستحق احترامنا لولا أنه سرق لما نجح لولا أنه اختلس لما اغتنى لولا أنه خالف كل مبادئ الأخلاق لما تقدم كل الصفوف.

عقلية العبيد هذه يجب أن نقاومها فى أنفسنا، ويجب أن تعتبر كل كفاءة فى بلادنا، قلعة لابد أن تحميها من الاقتحام بالبلاغات الكاذبة، ومن الشكاوى الوهمية، ومن الاتهامات المزيفة.أسمع عن كفايات فى بلادى تحارب، وتقام العقبات فى طريقها، كان حزب الفاشلين يريد مطاردة كل كفاية والقضاء على كل عبقرية، وتحطيم كل نجاح.. إن الذى يحدث عندما يتآمر العجزة أحد أمرين: أن يتزوى الاكفاء ويعتزلوا المجتمع وتغلب عليهم فلسفة التشاؤم وفكرة التصوف وذلك ما يتغلب على تاريخنا القديم.. او يهاجروا إلى بلد آخر يلتمسون فية العدل والنصفة فإذا وجدوا فيه ما نشدو جعلوا ولاءهم له وقصروا نشاطهم عليه وفى عصرنا الحاضر استطاعت الولايات المتحدة أن تظفر بأكبر قسط من العقول المهاجرة، فدعمت تفوقها الحضارى بعبقريات هائلة من كل قطر بعدما وفرت لها التقدير المادة والأدبى على السواء وفى إحصاء نشرته جريدة الأهرام أقرت أن ٦٦٪ من العقول المهاجرة من العالم العربي، فأدركت ان العالم

---

[1] المصدر السابق ص ٢٤٠ وما بعدها

العربى أخصب بقعه لرواج العملات المزيفة، وصدارة النفوس المريضة وانتشار الكفايات المهيضة.[1]

"متابعة"

تعتبر قضية الاقتصاد من القضايا الفاعلة فى حياة الناس، وأى تأثير فى هذه القضية يؤثر فى حياة الإنسان سلبا أو إيجابا، بحسب نوع التأثير الحادث والاثر المستهدف، ولذلك كان تصدى الشيخ لهذه القضية من الامور التى تحسب له ومن العوامل التى تؤكد أصالته كداعية تنتمى الى المدرسة المحمدية فى يثرب مباشرة.

ولقد تعود بعض الدعاة أن يقيموا منهاج دعوتهم على الاتجاه بالناس الى دار الآخرة، دون الالتفات إلى الحياة الدنيا، والعمل العمراني بها، بل يجدون فى الدعوة للعمل فى الدنيا، والكسب الحلال بها، ما يناهض السمو الروحاني والنور الايماني، والفيض البرهانى وهى العناصر التى يدعون الناس اليها، والدعوة بهذه الصورة تجاوز المقدمات الضرورية، ومحاولة لجنى الثمار قبل زرع الأشجار والنتيجة فى النهاية تقوم على المشاعر والأحاسيس بالنسبة للآخرة، وتقوم على التمهيد لسيادة طبقات من الناس، لم يلتفتوا لأقوال هؤلاء الدعاة إنما انتصبوا لجمع المال من كل وجه، ساعدهم فى ذلك ما بثه بعض الدعاة بين الناس من زهد فى الدنيا ودعوة للتخلى عنها ومن هنا بدأ تدهور مجتمع المسلمين من الناحية الاقتصادية. وكان دور الشيخ حاسما من زاويتين:

الاولى:- كشف قضايا استغلال الفقراء فى مجمتع المسلمين، من جهات عديدة، احيانا باسم الدين.[2]

الثانية:- وضع منهاج للدعوة فى العصر الحاضر، يعود بها إلى سابق أيامه الخالدة، وهذا المنهاج يقوم باعتبار الدنيا والنجاح فيها مقدمة ضرورية النجاح فى الدار الآخرة، بشرط أن يكون النجاح فى الدنيا مؤسسا على شريحة الله

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: نظرة على واقعنا الإسلامى ص ٦٩، ٧٠ دار ثابت ١٩٨٣.

[2] يقوم منهاج الشيخ، فى دراسة قضاياه - على تقسيم القضية تنظيما فيدرس كل قضية فى عدة نقاط. وتقسيما زمنيا يتيح العودة إليها فى فترات متقاربة او متباعدة، بحسب تطور هذه القضية وما تحدثه من أثر فى حياه المسلمين.

تعالى وهدى رسول الله ﷺ وقد حدد الشيخ موفقة من قضية الاقتصاد كعادته فى نقاط كما يلى:

١- الاستعمار وانشاء المجتمع الطبقى فى بلاد المسلمين:-

يرى الشيخ ان للاستعمار الاجنبي دوراً بارزاً فى تحويل المجمتع الإسلامى الى مجتمع طبقى. لان الاستعمار عندما يدخل بلداً إسلاميا يكون مرفوضا من معظم كانها ويشرعون فى مقاومتها، إلا أن هناك طائفة من الناس يجدون أن من مصالحهم

مساندة[1] الاستعمار والسير فى ركابه، ومن هؤلاء من يتخذ الاستعمار بطانة له بلاد المسلمين، ويعمل على اشتراكهم فى نهب ثروات الوطن المحتل، إلا أن نصيبهم لا يتعدى دائما نصيب من يساعد اللص فى سطوة على الاشياء، فهو يأخذ شيئا يحدده السارق، ولكنه لا يسمح له بالقسمة مهما كان سهمه ضيئلا.

ومن هنا نشأت الطبقة فى مجتمع المسلمين، وبرزت كحقيقة واقعية، ونظر اليها بعض الدعاة فلم يعيروها التفاتا، ورأوا فى ذلك نوعا من تقسيم الأرزاق، ليس من شأن الدعاة التدخل فيه ورأى الشيخ أن فى وجود الطبقات وما تسببه من ظلم أمرا لا يقره الإسلام ولا يساعد عليه، بل يدحضه، ويعمل على هدمه وتغييره.

ولم تقف الطبقات العليا فى المجتمع وفى ظل النظام الرأسمالي عند جمع المال فقط، بل تقاسمت مع الاستعمار السلطة فى داخل البلاد، ولذلك فقد تعاظم الظلم الواقع على الفقراء، ولم يجدوا للخروج من ذلك سبيلا."ولقد اكتفت هذه الطبقة الرأسمالية بمشاركة السيطرة الاجنبية فى السلطة الداخلية، بما يصاحب السلطة من حراك إجتماعى.[2]

فالراسمالية ايام الاستعمار الإنجليزى على مصر لم تكن نضجت، وكان كل همها جمع المال من أي وجه، ولو أدى ذلك للتعاون مع الاستعمار، والسير فى ركابه، وهذه هى الفترة التى عاشها الشيخ وعانى منها بإحساسه أحيانا، وعانى منها بالفعل فى أحيان أخرى، إلا أن الرأسمالية الوطنية الأن فى مصر ليست بهذا السوء ولها أعمال جليلة فى مجالات الخير وخدمة الوطن والمواطنين إلا أن الاستعمار القديم الجديد، يحاول الالتفاف حولها، والدخول معها فى مشاريع

---

[1] يرجع هذا الى ظروف أخلاقية ونفسية واحيانا تتعلق يكون الانسان شجاعا او جبانا وهذه الحالة تحتاج الى بحث آخر بإذن الله تعالى فيما نستقبل من ايام

[2] محمد حسنين هيكل: ملفات السويس ص 31ؤمؤسسة الأهرام 1986م

مشتركة، ستنتهى اذا لم نلتزم الحذر بعودة السيطرة الأجنبيه مرة أخرى والسيطرة الأجنبية تجعل طبقة تتمتع بكل خيرات الوطن مع بقاء ابناء هذا الوطن محرومين من كل شئ وهذا هو. الاستغلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي وبهذا تنشأ الطبقات فى المجمتع ويساعد الاستعمار على وجود هذا النظام الطبقى وهذا ما ركز علية الشيخ فى بداية تصديه للاستعمار، ولمن يسيرون فى ركابه.

2- الجو الطبقة يقضى على المهارات الفردية:

حين تدور عجلة رأس المال، فأنها تهمل العامل الانسانى ومن ثم يتم تجاهل الإمكانات والمهارات الفردية"ومن جهه أخرى فإن النظام الرأسمالي برغم المحاولات المتعددة لتهذيبه يهمل العنصر الإنسانى ويهتم فقط بظروف العرض والطلب، فمثلا فى تحديد الأجور ينظر إليها على أنها مسألة تعاقدية بحتة، لا تحتوى عنصرا إنسانياً كما أن النظام الرأسمالي يتسم بالمخاطرة الاقتصادية، وحدوث البطالة الإجبارية على نطاق واسع، كما أن الرأسمالية أثبتت أنها نظام لا يقدر على التحول مع التغيرات الكبرى ومن أكثر عيوب النظام الرأسمالي أنه يسمح بقيام دخول غير مكتسبة تنشأ عن حيازة السلع الاقتصادية أو القوة الشرائية من أى مصدر خلاف بذل المجهود."[1]

ويعنى هذا تجاهل قدرات وإمكانات الإنسان والاعتماد فقط على دوران رأس المال فى المجتمع وهذا هو الجو الطبقى الذى أشار إليه الشيخ بقوله: الجو الطبقى يقضى على المهارات الفردية، وقد وصل الشيخ بهذا الاستنتاج إلى قاعدة أصيلة فى الاقتصاد، لأنه إذا أصبح المال هدفاً، تلاشت قيم كثيرة من المجتمع وانعكس ذلك على صفحة الحياة فى صورة تناقضات لا آخر لها.

٣- الأقتصاد السيئ يخلق الراذائل:

لقد مس الشيخ موضعا خطيرا فى علاقة الاقتصاد بالحياة، وهذا الموضع يحتاج إلى بحث مستقل، لأنه يتعلق بتلك العوامل التى تساعد على الفضيلة أو الرذيلة وهى عوامل مساعدة، لكن أثرها حاسما فى كثير من الأحيان، أن

[1] محمد طلعت عيسى: الاشتراكية العربية والاشتراكية العالية ص ١ به طر مكتبة القاهره الدينة ه ١٩٩٩ م.

لم يكن أغلبها، فهوير كز على أثر الاقتصاد السيئ فى انتشار الرذائل فى مجتمع المسلمين، وكثيرا ما يردد: أننا يجب أن نراعى ضرورات الإنسان من مأكل وملبس قبل أن نوجهه للخير، فالمعدة الجائعة لا تمتلى بالقيم الأخلاقية، والجسد العارى يحتاج إلى كسوة عادية من القماش قبل أن يكسى بلباس التقوى. والشيخ لم يصل إلي هذا الاستنتاج من وحي خياله بل وصل إليه من فقه الكتاب والسنة، فقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن ثلاثة وقعت علي باب غار هم صخرة عظيمة حبستهم ومنعتهم من الخروج فسألوا الله تعالي بصالح الأعمال التي أدوها ابتغاء وجه الله تعالي، وقال بحدهم: لقد راودت امرأة عن نفسها في الحرام- وكانت تعول أولادا صغارا جياعا- فرفضت أمتنعت وعادت من غير طعام، وألح أولادهما في طلب الطعام،

وألحت هي في طلب العفة والعصمة، ولكنها أنهارت في النهاية تحت وطأة الجوع وذهبت إلي الرجل وقالت له أعطني مائة دينار وأفعل بي ما تشاء. فأعطاها المال، وعندما تمكن منها ذكرته بالله تعالي فرجع عنها وتركها لوجه الله تعالي"[1]

---

[1] والحديث بتمامه كما يلي: روي الإمام مسلم عن موسي بن شعبة عن نافع عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: بينما نفر يتمشون أخذهم المطر فآووا إلي غار في جبل فاتحطت علي فم غار هم صخرة من الجبل فانطلقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها خالصه لله فادعوا الله تعالي بها، لعل الله يفرجها عنكم. فقال أحدهم: اللهم انه كان لي والدان شيخان كبيران وإمرأتي ولى صبية صغار أرعى عليهم فاذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بي، وأنه نأي بي ذات يوم الشجر فلم آت حين أمسيت فوجدهما قد ناما قطبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك رأيي ودأهم حتى طلع الفجر، فأن كنت تعلم أي فعلت ذلك ابتغاء وجهك. فأفرج لنا منها فرجة نري منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الأخر: اللهم انه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت حين آتيها بمائة دينار، فتعبت حتي جمعت مائة دينار، فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتقي الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم إلى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة، ففرج لهم،

وقال الأخر اللهم أن كنت استأجرت أجيراً بغرق أرر فلما قضي عمله قال أعطني حقي، فعرضت عليه فرقة فرغب عنه فلم أزل ازرعه حتي جمعت منه بقرا يرعاها فجائني فقال: أتقي الله ولا تظلمني حقي وقلت: أذهب إلي تلك البقر يرعاها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقي.

الجامع الصحيح للامام مسلم مجلد: ح ٨ ص ٨٩، ٩٠. وفي صحيح البخاري مجلد ٢ ح4 كتاب الانبياء ص ١١٠

وفيه: وأني راودتها عن نفسها، وما ذهبنا إليه من إنها كانت فقيرة وفي اشد الحاجة إلى المال. ذكره أبن حجر العسقلان في فتح الباري بقوله في رواية أخرى قال الرجل: فامتنعت من حبي ألمت بها سنة – أي سنة قحط – فجاءتنى فأعطيتها،: وفي حديث النعمان بن بشير قال: فلما امكانتنى من نفسها بكت، فقالت ما يبكيك.؟ قالت: فعلت هذا من الحاجة فقال: انطلقي وفي روايه أخري عن النعمان: إنما ترددت إليه ثلاث مرات تطلب منه شيئا من معروفه ويأبى عليها إلا أن تمكنه من نفسها، فأجابت في الثالثة، بعد أن استأذنت روحها فأذن لها وقال لها اعي عيالك، قال: فرجعت فناشدني بالله فأبيت عليها، فأسلمت لي نفسها فأبيت فلما كشفتها ارتعدت من تحتي فقلت مالك؟ قالت أخاف الله رب العالمين فقلت خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركها.

بن حجر العسقلاني فتح الباري 588/6 ط دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ ط ثالثة

وعندما سأل الله تعالى بما فعل فرج الله تعالى شيئاً من الصخرة وأزاحها عن الباب.

وقصة هذا الحديث الشريف تدل منهاج الشيخ فى وجوب تأمين الضرورات لفقراء المسلمين لمساعدتهم على العفة والطهارة لأن المرأة التقية النقية الطاهرة أنهارت تحت وطأة الجوع وسلمته نفسها وشرفها، لرجل تعلم أنه يريدها فى الحرام، ولولا خوف الرجل من الله تعالى لانتهى كل شـــى.

فلو افترضنا أن هذا الرجل لم يهتم بتحذير المرأة ومضى فى طريقة لا يلوى على شى لتم اعدام الطهارة والعفة والتقوى تحت وطأة الجوع والحاجة، وأحسب أن رسول الله ﷺ كان يريد بهذا الحديث أن ينبهنا لأهمية الاقتصاد فى الحياة وأن الاقتصاد السيئ ينشى الرذيلة، وهى نفس النتيجة التى وصل إليها الشيخ.

فوجود رجل غنى قوى مسيطر على مقادير الناس، وعلى أرزاقهم ويكون كسب هذا الرجل مخصوما من دخل هؤلاء الناس، هذا الوضع ينمى الرذائل، وينشرها فى المجتمع، لأن الناس يتنازلون بضغط الظروف عن كرامتهم فى البداية، وعن أخلاقهم فى نهاية الأمر.

و حرى بالدعاة آن يسيروا على نهج الشيخ فى نظرته الشاملة لكل ما يؤثر على الإنسان والاهتمام بشئون الناس الحياتية، وجعل الناس يهتمون أكثر بأرزاقهم، وتأمين مستقبلهم، ومستقبل أولادهم بالعمل الصالح المنتج الذي ينشئ العمران ويطور الحياة، ثم من قبل ومن بعد بطاعة الله تعالى والسير وفق شريعته.

ومن الممكن أن يقوم أحد الدعاة بدعوة مجموعة من النسوة الأرامل اللاتي لا يملكن شيئا من حطام الدنيا لهن ولأولادهن ويطوين الأيام جوعا والليالي حسرة يدعوهن إلى العفة والعصمة والتقوى، ولكنهن حين يعدن إلى بيوتهن ولا يجدن شيئا يقتات به أولادهن، فإنهن فى هذه الحالة لن يتذكرون وعظ الداعية وبلاغته اللفظية، وسوف يقاومن كثيراً وطويلا، ولكنهن حتما سينهزمن فى يوم ما، أما لو استغل هذا الداعية دعوته فى جمع المال من الأغنياء لتوفير الضرورات لهذه الأسر، ومحاولة البحث لهن عن أعمال يؤدينها تعود عليهن وعلى أسرهن بالخير، لكانت تلك أبلغ دعوة وأعظم أجرا عند الله سبحانه وتعالى.

2- تبذير الحكام وضياع أموال المسلمين:

من العقبات التى تؤثر فى حياة المسلمين الاقتصادية تبذير الحكام وإسرافهم فى أموال المسلمين، ولقد ركز الشيخ على هذه النقطة، لأنها من النقاط البارزة فى تدهور الاقتصاد فى البلاد الإسلامية ولعل من أخطر الأمور فى السياسة الاقتصادية للمسلمين، عدم محاسبة الحكام على سرفهم و تبذيرهم، وفى الأمم المتقدمة حضاريا

يحاسب الحكام عن كل قرش يصل إلى يده، أما فى البلاد المتخلفة وأغلبها من بلاد المسلمين، فلا يجرؤ أحد على محاسبة الحكام لا الأفراد ولا المؤسسات.

لقد كان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم يهتمون بمحاسبة الحاكم بطرق عديدة، فقد كان الحاكم يحاسب نفسه ويحاسب غيره إذا لزم الأمر، وقد كانت السمة الغالبة على الحكام هى سمة الزهد والورع و التقوى، وكان لرسول الله ﷺ، أموال كثيرة تأتيه، من الغنائم، وكان ينفقها عن أخرها ولا يدخر شيئا لأهلة وكان يفعل ذلك لسببين:

الأول:- أنه كان يرغب فى متاع الآخرة ولا يجد شيئا فى الدنيا

الثاني:- أنه كان يضع سنه للحكام من بعده لكى لا يتخذ الحكم مغنما، لأن الحاكم إذا أراد كنز المال فلن يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك، ويستطيع حاكم واحد أن يستولى على ثروة بلد إسلامي بكاملها، وهذا معروف مشاهد فى بعض البلاد.

وعن الموازنة بين الدنيا يقول النبى ﷺ موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولغدوه فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها.[1]

وقد وازن رسول الله ﷺ بين الدنيا والآخرة واختار الآخرة وليس معنى هذا أنه ترك الدنيا بلا عمل على تطويرها وتنميتها لصالح كل المسلمين، وليس لمصلحة خاصة كما يفعل الحكام فى هذا الزمان.

وكان سيدنا آبو بكر رضى الله عنه وآرضاه يساير على سنه سيدنا رسول الله اصلى الله عليه وسلم فى الحكم، وكان يزهد فى أموال بيت المال، وكان يطلب من الناس فى الحكم أن يقوموه إذا أساء، وقد قال عند توليه الخلافة: أما بعد، أيها الناس، فإنى وليت عليكم ولست بخيركم، فأن أحسنت فأعينونى، وأن أسأت فقومونى، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه، إن شاء الله تعالى، والقوى فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه أن شاء الله تعالى.

وجلس سيدنا عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة يتناول طعاماً فدخل عليه ضيف فقدم إليه الطعام، فلم يستطع أن يأكل ما كان يأكل أمير المؤمنين لغلظة فى الطعام وتقشف[2]

ويروى كتاب السير: ببينما عمر بن الخطالب قد وضع بين يديه طعاماً إذ جاء الغلام فقال: هذا عتبة بن فرقد بالباب.

قال: وما أقدم عتبة؟ ثم قال ائذن له. فلما دخل عتبة رأى بين يدى عمر طعامه خبز وزيت، وقال: اقترب يا عتبة فأصب من هذا، فذهب يأكل فإذا هو طعام

---

[1] صحيح البخارى، ١١٠/٨ طر دارالفكر

[2] الامام ابن كثير: البداية والنهاية ٩٩٢/٩ طر دارالمعرفة

جشب خشن غليظ، لا يستطيع أن يسيغه، فقال: يا أمير المؤمنين هل لك فى طعام يقال له: الجواري أى الذى نخل مرة بعد مرة قال: ويلك. ويسع ذلك المسلمين كلهم؟ قال لا والله قال: ويلك يا عتبة افردت أن أكل طبيباتي فى حياتي الدنيا واستمع.[1]

هذه هى سيرة الحكم فى بداية الدولة الإسلامية، وسيرة من تبعهم، وهذا النمط من الحكم الطاهر، و من الحكام الزهاد كانت له آثار جيدة فى حركة الأمة وفى حضارتها، وفى تقدمها، وكادت الأمة الإسلامية تسيطر على العالم أجمع فى عشرات السنين.

وعندما توالت العصور وكرت الدهور، وتولى الأمر والحكم فى بعض بلاد المسلمين حكام مبذرون مسرفون، إنعكس ذلك على بلاد المسلمين وتدهور الاقتصاد، وخرابا فى الضمائر وانحسر تقدم الأمة واختزلت حضارتنا وغربت شمسها، وفنى ظلها، لذلك كان تحذير الشيخ شديدا من تبذير الحكام وخطر ذلك على مستقبل البلاد الإسلامية، وحضارتها.

ومشكلة تبذير الحكام للمال العام مشكلة متجددة مع الأيام والظروف وحسب الشيخ أنه جعلها على رأس المشاكل الاقتصادية للبلاد الإسلامية وحذر منها ومن خطورتها، ولم ينفرد الشيخ بهذه الرؤية أو يستحدثها فهى قضية معروفة فى الاقتصاد السبى، وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى يوصيان دائما بعدم وصول مساعدات الدول الغنية للدول الفقيرة إلى دوائر الحكم فى هذه البلاد، لأن ذلك يختزل المساعدات ويجعلها تتلاشى.[2] وكما أسلفنا فليس على الحاكم رقيب فيما يأخذ أو يدع، وتستطع أسرة واحدة أن تستولى على الاقتصاد قطر إسلامي بأكمله، ولا تترك لأهل هذا القطر إلا ما يضمن بقاءهم يعملون ويكدحون. وما زالت فى بعض بلاد المسلمين أسر تملك الوطن على السواء ويتوارثون هذه الملكية جيلا بعد جيل.

5- تقبيد الملكيات الخاصة:

يذهب الشيخ إلى جواز تقييد الملكية الفردية أو نزعها إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وهو مذهب يتسم بالشدة، ويمكن التماس العذر للشيخ فيما ذهب إليه من تقييد الملكية الفردية ونزعها، بما آلت إليه الأمور فى ظل الإقطاع والملكية الفاسدة، وما وقع من ظلم قبل قيام الثورة ١٩٥٢م.[3] وأن كان الشيخ يميل إلى نزع"التقييد"لمصلحة الجماعة، ولكنه يميل إلى نزع الملكية الفردية، فى حالة عجز المالك عن إثبات أساس ملكيته لما فى حيازته من أشياء، مثل الملكية عن طريق الهبة من الحاكم للأتباع والمحاسيب، ومن يوطئون لظلمه وحكمه الفاسد فى البلاد.

---

[1] اسد الغابة /٩ ه ١ و انظر الشيخان للبلاذرى ص ٢ ه ١

[2] وليس معى هذا أن هذه المؤسسات صادقة في مساعداها للبلاد الفقيرة أو أن هذه المساعدات يقصد بها التنمية في البلاد، بل يقف هذه المؤسسات عند المساعدة في حد الكفاف وأهدافها الاستعمارية لا تخفى على الغرض من الاستشهاد هنا بوصاياها هو التأكد على عالمية فكر الشيخ أصابته للحقيقة.

[3] نشأ الشيخ في قرية وتأثر من صغره بما يقع على الفلاحين من ظلم في ظل الاقطاع.

يقول الشيخ: والإسلام يعترف بمبدأ الملكية، ويضعه تحت الوصاية الدقيقة من تعاليمه المقررة. فهو يطلقه أن كانت المصلحة العامة تقضى بإطلاقه، ويقيد إن كان الأمر على العكس من ذلك.. وفى كلتا الحالتين فالإسلام واضح فى رفضه، لكل تملك باطل يسأل كل مالك من أين لك هذا؟ ليعرف أهو حق فيبقيه أم لا فيسلبه إياه.. ولو طبق مبدأ"من أين لك هذا"على الأملاك الكبيرة القائمة فى ربوع الشرق، لأصبح أكثر أغنياء الشرق فقراء، فأصول هذه الأموال منهوب يحرم الأكل منه وتحرم الصلاة فيه كما قال الفقهاء.. واستثمار هذه الأملاك مطعون فيه، لقيامه على سرقة الجهود، وظلم الأجراء.[1] هذا ما ذكره الشيخ عن الملكية الفردية، وقد كتب هذا المؤلف تحت ظروف قاسية كان يمر بها الوطن وقتها. ويصعب علينا السير خلف الشيخ إلى نهاية الطريق، لان الملكية الفردية مصانة بالشرع، لا يمكن الاقتراب منها الا فى ظروف خاصة مثل دخول البلد المسلم حربا مع الأعداء يجوز للحاكم وقتها ان يقوم بنزع ملكيات وأخذ أموال كثيرة من الأغنياء للدفاع عن هذا البلد، بشرط عدم وجود أموال داخل الخزانة العامة، وقد ذكر الشيخ ذلك وقرره.

ويرى الدكتور / يوسف القرضاوى أن الملكية مصانة بالشرع وبالشروط التى يضعها الشرع الحكيم. ويقول:

أقام الإسلام نظامه الاقتصادي على إقرار الملكية الفردية، لما فيها من إشباع الدافع الفطرى فى نفس الإنسان، ولما تثمرة من الشعور بالسيادة والقدرة ولكنه وضع للملكية أسبابا لإكسابها، و قيودا لتنميتها، وحقوقا دورية وغير دورية عليها وهي كما يلي:

أ – إتاحة العمل الملائم لكل مواطن قادر باعتبار العمل حقا له وواجبا عليه وتحريم الصدقات والمعونات الاجتماعية تحريما باتا على كل متعطل عن العمل الملائم له باختياره لقوله ﷺ:"لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى"[2].

ب – إعطاء الأجر العادل لكل عامل بما يكافى عمله، ويغطي - حاجته بالمعروف

ج – جباية الزكاة – جمعها – من أموال ظاهرة مثل: الثروة الحيوانية والزراعية، وزكاة الفكر. وباطنة مثل: أموال التجارة والنقود وذلك بواسطة

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: الإسلام المفترى عليه ص 146

[2] الحديث رواه الترمذي في الزكاة باب ما جاء فيمن لا تحل له الصدقة 1 1 / ٢٩ 1 | دار الفكر ١٩٩٦ م.

جهاز قوي أمين من"العاملين عليها"مع وجوب توسيع القاعدة بحيث تشمل كل مال نام، وكل دخل فائض عن الحوائج الأصلية وتوزيعها على المصارف الشرعية.

وبذلك تسهم هذه الفريضة في تمويل التكافل، وتحقيق العدل الاجتماعي، ومحاربة الكنز، ومقاومة الاستقراضى بالربا وانتشال المدنين من ذل الدين كما تسهم فى تنشيط الدعوة الى الإسلام.

د - كفالة المعيشة الكريمة التى تتوافر فيها الحاجات الأصلية، لكل عاجز عن العمل عجزا اصليا أو طارئا، عقلياً أو جسميا أو كان قادراً عليه ولكنه لم يجد عملا. وأكل الأموال الناس بالباطل.

و- أن يخضع موظفو الدولة - وبخاصة الكبار منهم لقانون من أين لك هذا.

ز- محاربة الإسراف والترف فى المجتمع بالتشريع والتوجيه، وقاية للأمة من الحقد الطبقي والانقسام إلى أكثرية كادحة شبه محرومة، واقلية متنعمة.

حـ - تقريب الفوارق الاقتصادية بين الأفراد والفئات، بالعمل الدائب على الحد من طغيان الأغنياء، والرفع من مستوى الفقراء.

طـ - تقريب الفوارق بين القرية والمدينة بحيث لا تستحوذ المدينة على كل شى وتترك القرية فى زوايا الإهمال والنسيان.

ى- تطهير كل المؤسسات الاقتصادية من رجلس الربا، ومن كل معاملة تخالف شريعة الإسلام.[1]

فيما سبق قدم الدكتور يوسف القرضاوى صورة للضوابط التى يجب أن نتعامل بها فى نطاق حركة الاقتصاد وهو لا يرى المصادرة ونزع الملكية إلا فى حالة حصول حائز المال عليه بطرق غير شرعية.

ويعلل تدخل الدولة فى مؤلف أخر له فيقول إن من واجبات الحكومة المسلمة، أن تنظم علاقات الناس على أساس سليمة، فتضع من الأنظمة والقوانين ما يحقق العدل ويرفع الظلم، ويشيع الطمأنينة والاستقرار بين الناس.. ولا يجوز أن تنحاز الحكومة لفئة من المجتمع ضد أخرى، بل يكون عدلها للجميع.. إن مصالح الناس ورغباتهم كثيراً ما تتعارض وتتضارب، ومهمة ولى الأمر هى المحاولة للتوفيق بين المصالح، والموازنة بين المنافع والمضار، فالقانون الذى يحقق منفعة لأكبر عدد من الناس هو الذى يتفق مع العدل.[2]

---

[1]"د. يوسف القرضاوى: الحل الاسلامى فريضة وضرورة ص 1ه وما بعدها ط دار الصحوة الإسلامية. بدون"

[2] د القرضاوى: فتاوى معاصرة ٩٣/١ ها، ٩٦ ه طا دار القلم ١٩٩٩ م

ومن خلال ما تقدم يتفق الدكتور يوسف القرضاوى مع الشيخ فى وجوب نزع الملكية، إذا كانت هذه الملكية قد تكونت من حرام، ويضع د/ القرضاوى كثيراً من الضوابط تدور حول الملكية الفردية، بهذا يختلف نهج الإسلام فى الاقتصاد عن المذاهب الاقتصادية الأخرى فالملكية الفردية لا حدود لها عند الرأسمالية، ولا وجود لها عند الشيوعية، ولها وجود مقيد فى النظام الاشتراكي لا يتسم بالمرونة، ولا يتوافق مع الطبيعة الإنسانية والحركة الطبيعية للاقتصاد ويتم هذا التوافق فى النظام الإسلامي، لأنه يقوم فى الأساس على الملكية الفردية فى ظاهرها جماعية فى نفعها و خيرها لكل المسلمين.

1- محاربة الناجحين:-

يرى الشيخ أن من آثار الاقتصاد السئ محاربة الناجحين وله كل الحق فى ذلك، لأن استحواذ الأغنياء على الدخل القومى العام يعطيهم نوعاً من الأنانية والغرور، ووضع مقايس للتفوق والنجاح، فإذا تفوق فقير فى ميدان من الميادين، وجدوا أن هذا مخالفة لنموهم العام وحاربوه وطاردوه، وهذا شأن الصراع الطبقى فى المجتمع الرأسمالي، وهذه عادة قديمة تتوارثها الشعوب، فعندما جاء رسول الله صلى الله علية وسلم بالنور المبين قال المشركون فى مكة(لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم).[1]

فهذه الحساسية الاجتماعية التي تنشأ من تفاعلات الاقتصاد السئ داخل المجتمع الإسلامي هى التي دفعت الشيخ إلى اعتبار هذا الأمر من عقبات التقدم الاجتماعي والاقتصادي ومن مدلولات نتائج الاقتصاد السئ ومتولياته تصب ظلما وجورا على الكادحين من أبناء المسلمين.

---

[1] سورة الزخره"٣١

الفصل الثاني: الفكر الأقتصادي

لعل من أهم القضايا التى تصدى لها الشيخ فى حياته، قضية الفكر الاقتصادي عند المسلمين، لأنها تؤثر تأثيرا بالغا على حياة المسلمين فى حاضرهم، وفى مستقبلهم على السواء، تؤثر على دورهم فى قيادة العالم، وتؤثر على خلافتهم لله تعالى فى الأرض، بل تؤثر على وجودهم وبقائهم فى الحياة.

والإسلام يحض على العمران ويجعل الإنسان خليفة لله تعالى فى الأرض، ويجعل الدين لتنظيم الحياة، ويجعل القوة أساسا لحماية الدين، غير أن الفكر الاقتصادي عند المسلمين قد ابتعد عن النسق الذى دعا إليه الإسلام بعد ذهاب عزة المسلمين و ضياع شوكتهم واضحى فكرا سلبيا يدعوا الى الانسحاب من الحياة، والزهد فيها، ويجعل من العمل نوعا من العبث، باعتبار أن المكتوب مكتوب والمقسوم مقسوم، وعاش الشيخ يناضل حتى نهايةَ حياته وهوا يتصدى لهذا الفكر السلبى، ويرى هذا التأخر فى جانب من الجوانب على الفكر الاقتصادي المغلوط عند المسلمين ولم يخل كتاب للشيخ الا وفيه حديث وإضافة فى هذه القضية الحساسة بالنسبة لمستقبل والحفاظ على كيان هم ووجودهم.

يقول الشيخ عن الفتور الشائع فى حركة الأمة الإسلامية فى شئون الحياة: ما سر هذا الفتور الشائع فى الأفراد والجماعات؟ ولماذا يستقبل الناس الحياة وبهم ازورار عن مواجهتها، وصدور عن مذاقها لماذا نرى الأجناس الأخرى تنطلق مع مطالع الشروق، وكأنها على أبواب رحلة ممتعة؟ فهى تدأب ولا تشعر بكلال، وتعمل وتجد من الثمر الدانى ما بيغريها بالمزيد من الإنتاج.

أن هذه الجفوة بيننا وبين الحياة مخوفة العقبى، بل هى قد وقفت بنا فى بداية الطريق على حين مضى الاخرون خفافها يكدحون ويجدون حتى وصلوا إلى خطوط من الرقي والإبداع تستشير الدهش..

إن أمتنا فى حاجة إلى أن تجديد فن الحياة.. وقبل أن تصل إلى درجة الإجادة المنشودة، لن يصلح بها دين، ولن تصلح لها دنيا فالتاجر يخرج إلى السوق وهو حامل مستكين، والفلاح يذهب إلى حقله، وهو متثاقل مجهود، والعامل يعالج حرفته وهو ضائق منكمش والموظف يجلس إلى مكتبة وهو مهدود مهزوم، والجميع لا ترتقب الدنيا منهم إنتاجا طائلا، ولا حركة جيده أن

أجهزتهم النفسية متوقفة كالساعة الفارغة.. هذا والله هو العجز الذى استعاذ رسولنا عليه الصلاة والسلام منه.[1]

1- موقف الدين من العجز في شئون الحياة:

يرى الشيخ أن الدين برئ من العجز الذى أصاب المسلمين فى شئون الحياة، لان الدين الإسلامي يحض على تطوير الحياة، وامتلاك أسباب القوة، وقد قام رسول الله صلى الله علية وسلم وصحابته الكرام، بتطبيق ذلك علميا فقادوا وسادوا وعطروا جو الحياة، ولكن هذا العجز يرجع الى أسباب كثيرة من بينها الفكر الدينى الصحيح ولذلك يتساءل الشيخ: هل المدين هو المسئول؟ قال لى أحد المتحذلقين: إن الدين سر هذا الجمود، وتعاليمة من وراء هذا الاسترخاء المنكور فقلت: إن الشخص الذى بدأ صباحه متثائبا متقاعسا، قد استفتح يومه كذلك، لأنه بات ليله راكعا ساجدا، محروما من المنام والراحة؟ إن هذا الشخص الخامل- يا صاحبى لا يعرف ربه فى ركعات الفريضة بله صلاة الليل، فهو بمنجاة من الوصف بان مطالب الدين هاى التى صرفته عن الدنيا..

ثم إن اتهام الدين إعنى الإسلام بأنه سبب فتور المسلمين فى الحياة، سخف يجرى على السنة أشباه المثقفين، ممن صنعهم التبشير الاستعماري فى هذه السنوات العجاف من تاريخنا.. قال لست أعنى الإسلام وحده عندما تحدثت، إن الأديان إجمالا تبغض الحياة للناس وتصدهم عن الإقبال عليها، وتوجه أمالهم

[1] الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والطاقات المعطلة ص 708 دار الكتب الإسلامية ١٩٨٢.

إلى الدار الآخرة قلت ما احسب هذه طبيعة الأديان على العموم، واجزم بأن الإسلام برئ كل البراءة من هذه النزعة.. إن الإسلام يقيم أركان الإيمان على فهم الحياة بصدق، والتصرف فيها بعقل وأمانة، والقيام برسالتها إلى أخر رمق.. ولعل أقرب ما يصور هذه الحقيقة قول رسول الله ﷺ"إذا قامت الساعة على أحدكم وفى يده فسيلة فليغرسها"وهذا الأمر بغرس الخضر الذى يخرج منه النبات، فى تلك الأونه العصيبة له دلالة حافلة.. أنه أمر بمواصلة أسباب الحياة فى الوقت الذى

ستحصد فيه الحياة وممن صدر؟ صدر من بنى يوجه البشر للاخرة، ويحث الناس على كره جحيمها، وحب نعيمها وقد يبدو هذا الأمر متناقصا حقا لو أن وظيفة الإسلام بناء الأخيرة على أنقاض هذه الحياة.. لكن الإسلام ليس كذلك أنه يجعل صلاح الآخرة نتيجة حتمية لصلاح الأولى أن القرآن الكريم أبان لنا أن البشر لم يطرقوا هذا العالم ضيوفا تحت أيديهم مفاتيح كل شئ، ليتقلبوا فى أرجائه كيف شاعوا.

أن الله تبارك وتعالى قال:(والسماء بنيناها بأيد وأنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون)[1]

يقول(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[2]

فإذا مرت الأيام ولم يفكر الأقوام، ولم يستخدموا ما سخر لهم هنا وهناك، فمن الملوم؟ دين الله تعالى. ان الله تبارك وتعالى أبدع هذا العالم، وشحنه بالخيرات قال للإنسان: اعرف عظمتي عن طريق التأمل فى إبداعي.. وتشبع من هذه الخيرات. واحمدني على الأتى.. والزم هذه الخطة حتى لا تضل ولا تشقى. قال تعالى(يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان)[3]. وقال(يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله)[4]

فإذا أستمع الإنسان إلى هذا النداء المبين ثم تبلد وجمد فمن الملوم؟ دين الله تعالي!

---

[1] الناريات: 47، 48

[2] الجاثية: ١٣.

[3] سورة البقرة: ٦٨ 1.

[4] سورة البقرة:١٧٢

إن الإسلام رسم خطا مشرقا للحياة الإنسانية على ظهر الأرض، وأي تال للقران يعلم أن الله تعالى استثار اعرق ما فى الإنسان من خصائص، وطلب إليه أن يديم الخطو بين فجاج الارضى وآفاق السماء وهو مفتوح العين، ذكى النظرة مرهف الحس، وأن يكون ملكا بين شتى الكائنات التى يسرت له، ومكن منها.. فإذا ارتكس ابن آدم بعد هذا البلاغ، وتعثرت خطواته، واستبدت بمسالكه أوهام غبية، فليتعلل بما شاء من معاذير. ولكن لا معنى للكذب على الدين.. فالدين يذكر الناس بالموت لا ليكفوا عن السعى أو يتوقفوا عن الحركة، بل ليكون سعيهم راشدا، إن العمل للحياتين.. الدنيا والأخيرة قد وصل الإسلام أطرافه.. وربط بعضة ببعض، فإذا رأيت طاقات معطلة وأعمالا مهملة، وواجبات مهدرة فثق أن الذى ضاع من دين الله لايقل عن الذى ضاع من دنيا الناس، وثق أن الانهيار النفسي الذى جر هذا الضياع قد أصاب الإيمان والخلق بمثل ما أصاب الحضارة والعمران.
ولكننا نتدبر القرأن كله، فلا نجد دعوة أحر من دعوته إلى الإيمان والإحسان والإصلاح.. ونتدبر سيرة رسوله، فلا نجد رجولة تدانيها فى الكفاح والدأب، والمصابرة إلى آخر رمق.. ونتدبر الأمة التى ظهر فيها هذا الدين، فنجد أمة انطلقت بغتة بعد وقوف طويل، وبرزت بعد خفاء مهين.. ولم يكن الوقود الذى أشعل حركتها و لم يكن الذى أشعل حركتها.
إلا هذا الدين نعم هذا الدين فعن طريقه أبصرت النور وأنشات المدنيات.

٢- العوامل التي أفسدت الفكر الأقتصادي عند المسلمين:

- يري الشيخ أن من العقبات التى تعرض طريق التطور العمراني فى العالم الإسلامي الفكر الصوفي الذى يدعو إلى التجرد والانسلاح من الحياة، ويقول:"جلت فرق التصوف عن أغلب الميادين الجادة، ولم تبق منهم إلا فلول توشك أن تتقرض على أن اختفاء المتصوفين من أنحاء الحياة العامة لا يعنى البتة استخفاء المبادى التى خلفوها، وغرسوها فى دماء الاجبال الأولى، وخلطوا بها أهم وجوه النشاط الديني إن هذه المبادى لا تزال باقية فى مظانها من كتاب الأقدمين..

لو أن التصوف اقتصر على شرح الجانب العاطفي فتى الإسلام والتزم فى شروحه الحدود المعروفة فى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله علية وسلم، لأفاد كثيرا.. بيد أن التصوف دخل فى موضوعات غيبية لا علاقة له بها.. وتعلق بأفكار أجنبية ينكرها الإسلام.. واشتط فى أحكامه على الأمور فنزل

عن الصراط المستقيم.. وصلة المسلم بالحياة من الموضوعات التى أصدر التصوف فيها فتاوى خاطئة.. ماذا فعل المتصوفة؟ لهو الناس عن حب الدنيا والفتنه بها، ومازالوا

يحصون مثالها ويقبحون الاتجاه إليها حتى أصبحت أيدي الناس صفرا منها فعانوا الام الجوع بعدما كانوا يعانون متاعب البطنة.. فأي طبيب ذلك الذى لا يحسن إلا نقل المريض من علة إلى علة أخري قد تكون شرا منها وأذكي..وتراث الصوفية حافل بهذا التراث المسموم.. لا يصح الإيمان عندهم إلا بنبذ الحياة ولا تخلص الآخرة إلا بهجر الدنيا.. إن الخباز الأحمق، قد يدخل الأرغفة الطرية فى الفرن ليقددها، فإذا هو يحرقها.. كان اللفح الخفيف كافيا لإنضاجها ولكنه تركها للنار حتى أتت عليها.. والمتصوفة أفلحوا فى تكوين أجيال محترقة من زمان بعيد. سلطوا عليها من اللهب باسم إنضاجها ما جعلها ترابا لا خير فيه وهم يتصورون أنها بلغت درجة الكمال.. لقد استطاعوا فيما رسموه لأنفسهم والناس من طرق أن يحدثوا تلفاً حقيقياً فى أجهزة الطبيعة الإنسانية.. ذلك أن صله المرء بالدنيا لاصقة بفطرته..واهتمامه بشئون الحياة الدنيا واهتمامه بشئون الحياة الدنيا يجرى الهواجس فى نفسه تياراً متقطعاً، ولكنه دائم.. ولذلك قلماً يفلت أحد منها.. والشارع الحكيم لم يتصور- ولم يطلب- خلو النفوس من هذه الهواجس، حتى فى أثناء الصلاة.. أما الصوفية فقد طلبوا ذلك وبينوا الوسيلة، إليه.. قالوا: مادامت شجرة الدنيا باسقة فى القلب فلن تفتأ الهواجس والخواطر تهجم على الإنسان، وتعكر علية مناجاته لربه، وتجعل صلاته مشوشة، والطريقة المثلى لخلوص القلب قطع هذه الشجرة من

الفؤاد، ومن ثم تطرد هموم الحياة من تلقاء نفسها، إذا لم تجد مكانا تحوم فيه.. وهذا الكلام ينطوي على خطأ كبير، وأن بدت مشاعر الإخلاص الحار.. و أول آثاره- فى وعى مسلم يقف خمس مرات فى اليوم أن علاقته بالدنيا سوف تضعف جدا، بل سوف تنقطع يقينا.

إن كراهية العالم الذى نحيا فيه للظفر بمحبة الله تعالى، طريقة فى الدنيا لم يقل بها نبى.. ولم تجى فيها شريعة. والمتتبع لأسلوب القرآن فى بناء الإيمان ن وتكوين الأمم، يستيقن أن مدارسة الكون.. ومعالجة الحياة، هما النهج الأوحد لاقامة الدين، الحق وأقامه الدنيا الحارسة له. أن التصوف ضل الطريق، وظلم الدنيا بهذا المسلك، وأن الأمة الإسلامية هانت فى العالم وهان معها كتابها وهداها لما سارت فى تلك السبيل.. لو أن المسلم كرس عمره لاستكشاف المجهولات من قوى الكون.. لكان تأمله تسبيحا، وانكبابه على عمله اعتكافاً.. فهذا لون من الجهاد فى سبيل الله تعالى. والواقع أن النفس الإنسانية فى ظل

التدين المعلول تعجز عن القيام بوظيفتها فى الحياة، بينما تستطيع بهذه الوظيفة نفس ليس لها من طباع وأفكار.. أي أن التدين الفاسد عطل أجهزتها الفطرية.. أما الإلحاد فقد أبقى هذه الأجهزة تتحرك، وإن طاشت حركتها حينا، وأخطأت غايتها حينا أخر.. وهذا هو التعليل لتخلف المسلمين فى القرنين الأخيرين على حين تقدم غيرها، واستبد دونهم بتصريف الأمور وفرض ما يشاء[1].

وتحت عنوان الكفر بالإنسان يقول الشيخ: ويقع الكفر بالحياة من قبل الصوفية- وجهل وظيفة المرء فيها. الكفر بالإنسان نفسه وبخس قيمته، وتشويه حقيقته.. فإن المتدين المنحرف يسئ تصور الملكات والشهوات الإنسانية وينظر إليها نظرة ازدراء.. وقد ينحصر تقويمه للانسان: فى أنه تخلق من نطفة قذرة وينتهى إلى جيفة مذرة، وهو بينهما حامل بول وعذرة.. وصحيح أن الناحية الحيوانية فى الإنسان لا تخرج عن هذا النطاق، ولكن الإنسان ليس حيواناً فقط، فأن الله تعالى- ينفخ الروح فيه- أنشأه خلقاً أخر. خلقاً مكرماً بما أودع فى بنائه المعنوي من خصائص وأسرار.. خلقاً إذا ما بلغ نماءه الصحيح فاق الملائكة وحلق فى الملأ الأعلى.. والإنسان بلا ريب محتاج للحساب الدائم والرقابة الدقيقة، ولفتة إلى عيوب، كى يتركها خير لا شك فيه.. إلا أن الأمر انقلب- مع المربين الأغرار- إلى الضد.. فعندما حاولوا قتل الغرور فى الإنسان، بلغوا فى الجور حدا جعله يفقد الثقة بما عنده.. فذهب الكبر، ثم ذهب أيضا عزة النفس ثم ذهبت كذلك الشخصية الحرة المستقلة.. والعبارة الشائعة فى كتب التصوف أن المريد بين يدى سيخه، كالميت بيرى يدى غاسلهٔ وهم يعنون بذلك الطاعة المطلقة.. الا أن هذه الطاعة الغريبة محقت الإدارة الحرة والتفكير الحر معا.

وعن أثر علماء الكلام على تعطيل قدرات الإنسان الإنتاجية يقول الشيخ: ولقد منى التفكير الإسلامي بنكسة خطيرة عندما انقلبت مباحثه رأسا على عقب فأصبح تفكيرا سلبيا، بالنسبة لمادة الكون إيجابيا بالنسبة لذات الله تعالى.. ما هذا الارتكاس المستعرب ومن أين تجد له إسنادا فى ديننا؟ وماذا أفادنا منه إلا الدمار العقلى والروحي والانهيار الإنساني والعمراني؟

أستطيع أن أقول بمنطق المفكر المسلم الأصيل: إن الرجل الإنجليزي الذى اكتشف قوة البخار، الذى ترك عقله يسرح وراء غليان الماء وضغط مادته المتحولة من سائل إلى غاز.. هذا المفكر كان اقرب إلى فطرة الإسلام من علماء الإسلام الذين تساءلوا هل صفات الله عين ذاته أم غير عين ذاته أم هى لا عين ولاغير؟ وعقدوا لذلك مبحثا قسمهم فرقا، وخرج منه جمهورهم مخبولا لا معقولا..

---

[1] المرجع السابق ص ١٩ و ما بعدها

إن المجال الطبيعي لملكات الإنسان العليا هى البحث فى هذا الكون.. ومن نتائج هذا البحث يتكون الإيمان بالله تعالى وتشرب الأفئدة طرفا من عظمته.. وكل ميدان أفسح للمجالات الغيبية كان تبديداً آثما لطاقاتنا العقلية.. وكل عائق اصطنع لمنع العقل الإنساني من التجوال فى الأفاق والاستئناس بمجالى القدرة العليا فى السماء والأرض فهو عائق افتعله الجهل أو الضلال، والإسلام برى منه.

وعن كره المصريين للحركة- ومثلهم العرب بالطبع- يقول الشيخ ونحن فى مصر. ننظر إلى طوائف السائحين والسائحات، الوافدين إلى بلادنا نظرة دهشة، ونظن أمرهم بدعا فى خلق الله تعالى.. ذلك لان المصريين مرضى بالإخلاد إلى أرضهم والوقوع فى دورهم.. وما أشد جزع أحدهم لو أكرهته ضرورات العيش على النقلة من مسقط رأسه.. أنه يلعن الحدثان ويشكو الأزمان.. والإسلام ضد هذا الخلق الواهن.. فهو يستحب أن يموت الإنسان بعيدا عن وطنه[1]، نازحا عن داره.. إن الرجال حين تطرحهم النوى فى الأقطار القصية، فأنما ذلك دليل علو همتهم وقوة عزيمتهم.

وعن الدين الإسلامى والمسلمين يقول الشيخ: الدين قوة هادئة فى قيادة البشر، ولكن ما قيمة الآلة البخارية- مقدمة القطار بخارية أو غيرها فى قطار يضم سبعين عربة، إذا كانت هذه العربات كلها قد احترقت وتلاشت؟ ماذا تقود بعدئذ؟ وماذا يصنع الدين إذا كان موضوع عمله وهو الإنسان قد ذاب واستخفى.. إنى أنظر إلى الناس حولى فنجد الدين يأوى فى نفوسهم إلى خرائب لا بشرية لا إلى خلائق سبوية.. وأبحث عن الإنسان ينزل اليقين فى قلبه، ويتجه الخطاب الإلهى إلى عقله، فأجد هذا الإنسان قد برحت علل جسيمة به، وتركته حطاما.. ومصادر هذا الشر الجائع كثيرة، ولكن التدين الفاسد أبرزها وأعمها، لأنه يحاول باسم الله تعالى الحيلولة بين الإنسان وفطرته، ويصادر باسم الإخلاص والتقوى خصائص طبيعته..

إن الدين إذا لم يسر فى النفوس كما تسرى الكهرباء فى الأسلاك فتضى بسريانها مصابيح، وتتحرك الات، يصبح وهما أو زعما لا تغنى فيهما العناوين والشارات[2] وعن استبداد بعض الحكام فى التاريخ الإسلامى وتأثيره على التنمية والإنتاج يقول الشيخ:

الحكم الذى ساد بلاد الاسلام من بضعة قرون كان طرازا منكرا من الاستبداد والفوضى.. انكمشت فيه الحريات الطبيعية، وخارت القوى المادية والأدبية، وسيطر على موازين الحياة العامة نفر من الجبابرة أمكنتهم الأيام العجاف أن

---

[1] وقد مات الشيخ نفسه بعيدا وطنه وهو يدعو إلى الله في المملكة العربية السعودية قال فصدق

[2] المرجع السابق ص ٢٨ وما بعدها بتلخيص وتصرف.

يقلبوا الأمور رأسا على عقب، وأن ينشروا الفزع فى القلوب، والقصر فى الأمال، والوهن فى العزائم.

والحكم الاستبدادى تهديم للدين وتحريب للدنيا، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعا.. وهو دخان مشئوم الظل، تختنق الأرواح والأجسام فى نطاقه حيث امتد.. فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج.. إن المستبدين ينبتون فى مناصبهم نبتا شيطانيا لا توضع له بذور ولا تحف به رغبة..

ومن هنا تطرق الخلل إلى شئون الأمة كلها، فوقعت فى براثن الاستعمار الأخير، لأن بعض الخلفاء والملوك والرؤساء كانوا فى واقع أمرهم حربا على الأمة الإسلامية، أو كانوا فى أحسن أحوالهم ترابا على نارها، وقتاما على نورها.. فلو خلوها وشأنها لاستطاعت الدفاع عن نفسها، متخففة من أعباء هؤلاء الحكام، ومن جنون العظمة الذى استولى عليهم.

يجب أن نعلم أن الناس يتهيئون للعمل العظيم، ويتجهون إليه بأفكار رتيبة مستريحة، حيث يكون الشعور بالأمن مستوليا على أقطار أنفسهم.. أما حيث تستخفى الذئاب الحاكمة وراء جدران الدواوين وتنقض متى شاءت على أقرب فريسة لها. فهيهات هيهات أن يزدهر إنتاج، أو يستقيم سعى.. الحريات الكاملة ضرورة لنشاط القوى الإنسانية وتفتح المواهب الرفيعة.

إن النبات يذبل فى الظل الدائم، ويموت فى الظلام، ولن تتفتح براعمه، وتتكون أثماره إلا فى وهج الشمس.. كذلك الملكات الإنسانية لا تنشق عن مكنونها من ذكاء اختراع، إلا فى جو من الإدارة المطلقة. والحرية الميسرة.. والشرق الإسلامى ونقولها محزونين نكتب بمن رد نهاره الضاحى ليلا طويلا..

ويتحدث الشيخ عن تابع من توابع الاستبداد السياسى، وهو محاربة الكفايات واضطهاد أصحاب المواهب فيقول:

ذلك أن المستبد يغلب عليه أن يكون مصابا بجنون العظمة.. وربما اعتقد أن كل كفاية بجوار عبقريته الخارقة صفر لا تستحل تقديما و لا تقديرا.. وفى رأيى أن حظوظ الأمم من الكفايات متساوية أو متقاربة، وأن أولى النباهة والمقدرة عند أية دولة فى الغرب، لا يزيدون كثيرا عن أمثالهم فى أى شعب شرقى.. كل ما هنالك أن قياد الجماهير فى أوربا وأمريكا أخذ طريقة الطبيعى إلى أيدى الأذكياء الأكفاء.. أما فى الشرق الإسلامى مثلا فإن القياد بأسباب مفتعلة ضل طريقه عن أصحابه الأحقاء به وسقط فى أيدى التافهين والعجرة وهذه الأسباب المستبد يؤمن بنفسه قبل أن يؤمن بالله تعالى.. ويؤمن بمجده الخاص، قبل أن

يؤمن بمصلحة الأمة.. وتأخر الشرق الإسلامى فى القرون الأخيرة مرجعه إلى انتشار هذا الوباء..

وعن أثر الكرامات المفتعلة فى تعطيل النشاط العمراني يقول الشيخ: ومرت على المسلمين أعصار كثرت فيها هذه الكرامات المفتعلة حتى وقر فى الأذهان، أنه ليست هناك قوانين يحكم بها الكون، وأن رغبات أهل الصلاح تجتاح ما أودع الله تعالى فى العناصر من طباع، وما بث فى العالم من قوى وأنظمة وكان شيوع هذا التفكير لعنة على العلوم الطبيعية ووقفا لنمائها، بل بخسا لقيمتها.. وزاد الطين بلة أن بعض المخلصين ألحق الاعتراف بهذه الكرامات بعقائد الإسلام، فمن مارى فيها شكوافى دينه.. وهذا كله ضرب من السخف يجب محوه وتنظيف الفكرالإسلامى منه.[1]

وعن طلب الإسلام من معتقنيه تجويد علوم الدنيا وتخلف المسلمين فى ذلك يقول الشيخ: والإسلام طلب من أتباعه تجويد علوم الدنيا لأمور ثلاثة:

أولها: أن تعمير الأرض جزء من رسالة الإنسان على ظهرها، وجزء من العبادة التى خلق من أجلها، وجزء من الكدح الذى يصون به نفسه وأهله وشرفه. الثانى: أن الله تعالى لم يخلق الإنسان ليشقى، أو يجوع ويعرى، بل خلقه مكرما يحمله ما فى البر والبحر، وأحل له الطيبات، ويسر له الزينة، والجمال، بما فوقه من نجوم وبما بين يديه من زرع وضرع..

الثالث: هذا الأمر لا نسأم من تكراره، فإن الجهاد المكتوب على المؤمنين لحماية الدين، لا يمكن أن يتم ولا أن ينجح بعيدا عن التفوق المدنى والحضارى. والأمة الإسلامية كى تكون على مستوى دينيها، وكى تنجح فى المحافظة عليه، وكى تستطيع إفهامه للاخرين، لأبد أن تكون راسخة القدمين فى شئون الدنيا جميعا، بل يجب أن تكون سباقة فى شتى الميادين، مسموعة الكلمة فى آفاق العلم برا وبحرا وجوا.. ومن حق الأمم الكبرى وهى أمم تحتقر الأمية العلمية والصناعية أن تنظر إلى دعاوى المسلمين وأفكارهم وقيمهم بريبة أو بسخرية ما دام المسلمون نماذج ردئية للتخلف الإنسانى، وفى ظنى أن لهذه العلة سببين:

---

[1] المرجع السابق ص 55 وما بعدها بتلخيص وتصرف.

الأول: ثانوى وهو تغلب طبائع البدو- عند بعض الناس على تعاليم الإسلام[1]، فإن البدو يكرهون الحرف، ويزدرون الصناع، وينظرون إلى الفلاحين نظره نابية.. ولا ريب أن لهذه البداوة الغبية أثرا ملحوظا فى دنيا العرب إلى اليوم..

السبب الثانى: أما السبب المهم فى التخلف الحضارى فهو شيوع التدين المزيف، ووقوع الثقافة الدينية إجمالا بين طوائف من ذوى المعادن الرخيصة أو العقول المعتلة.. ويغلب على هؤلاء التأثر بالزهد الهندى أو النصرانى، والرغبة عن الدنيا وعصيان نداء الفطرة، والغرام بالمبتدعات والنزعات العقلية.

إن كل علم يطوى مسافة هذا التخلف هو من أركان الدين، وفرائض العبادات العينية والكفائية.. وهو أولى من نوافل العبادة ومسائل الخلاف التى برع فيها الفارغون، واشتغل بها المقتطعون[2]

وتحت عنوان الدنيا؟ الخادمة للحق دين يقول الشيخ: ما معنى ايثار الأخره على الدنيا؟ هناك إجابة تبدو للناس صحيحة، أو هى فى العرب الشائع إجابة سائر المؤمنين، يقولون: الحياة حقيرة، وينبغى أن

نمرق منها كما يمرق السهم لنصل الى مستقرنا فى جنات عدن.. وأريد أن أقف طويلا عند هذه الإجابة.. ما معنى أن أعبر الحياة دون تعريج على شى منها؟ إن خالق هذه الحياة قال: أعرفوا أسمائى الحسنى وصفاتى العلا فى تضاعيف المكان والزمان، وفى مسيرة الحياة والأحياء.. فكيف يقول: أنا عارف بالله تعالى من هو جاهل فالحياة وأسرارها وقواها ونواميسها؟

السير فى الأرض لدراسة الحياة هو طريق الإيمان بالله تعالى ولقائه، لابد من السباحة فى أمواج الحياة، ومعرفة تياراتها ومدها وجزرها وشواطئها، وأسباب الغرق والنجاة.. ليست البلاهة إيمانا ولا الجهل صلاحا، إن الخبرة بالحياة والقدرة على امتلاكها وتطويعها لخدمة ربها هى الإيمان والعمل الصالح.

ما أحقر العقل الكليل والفكر القاصر، والثقافة الضحلة، أن هناك شعوبا تنتسب إلى القرآن، لا تعرف أنه كتاب حياة، ولا تستفيد من الكون، إلا ما يستفيد الضرير من أشعة الشمس، وطالما التقيت بهؤلاء فى ميدان الدعوة، فضاق بهم صدرى، وأشفقت على الدين و مستقبله من جهلهم الطامس، أوزهدهم البارد.

قلت: لأمر ما كان الشاهدين بوحدانية الله تعالى هم الملائكة وأولوا العلم[3]

---

[1] أدخلت هذه الجملة الاعتراضية لتخفيف وقع كلمات الشيخ لأن الأصل: تغلب طبائع البدو على تعاليم الإسلام

[2] الشيخ محمد الغزال: سر تأخر العرب والمسلمين ص ١١٣ و ما بعدها ط دار الريان ١٩٨٧ م.

[3] الشيخ محمد الغزالى: الق المر ٣/ه ١١، ١١٩.

وعن الخط الذى يجب أن يلتزم به المسلمين يقول الشيخ:

جهدنا يجب أن يتوزع على جبهتين متوازيتين: أحداهما: تقوم على تصحيح الوعى الدينى، والأخرى تنعشنا من الإغماءة الطويلة التى غبنا فيها عن الدنيا، فيقينا فى موضعنا وغزا غيرنا الكواكب.[1]

وعن حب الفقر وأثره على المسلمين يقول الشيخ: أن ترضية الناس بالأمر الواقع وترغيب الجماهير فى حياة الكفاف والمسكنة وحجب أبصارهم عما يجرى فى أفنية المترفين من نعمة ومتعة، وكان العمل الذى تطوع به للقيام به طوائف المتصوفين، فرغبوا الناس فى الفقر وزهد وهم فى الدنيا.. وكان هذا المسلك الطائش بيجرى على هوى الطبقات الحاكمة، فما دامت الحقول تهتز بالزراعة...، ثم نكمل والأسواق تمتلئ بالحركة وأنواع الخراج، والعكوس تجبى من هنا وهناك، فلا على هؤلاء الحكام أن يزهد العامة فيما فى أيديهم. كله أو جله، بل أن ذلك أدى إلى طمأنينتهم.. ومن ثم انتشرت طرق المتصوفة، وقيل فى تاريخها، إنها كانت رد فعل لترف الحكام واتباعهم، فأقبل هؤلاء على الدين، لما أقبل أولئك على الدنيا.. أقبل العامة بقيادة المتصوفين على الطقوس والأدوار، وأقبل الحكام ومن فى حواشيهم وركابهم على الشهوات والملذات.. وهذا الخلط الصوفى الأحمق، يعتبر أول صدع أصاب التفكير الإسلامى فى صميمه، بل أول تصدع أصلب كيان الأمة الإسلامية فيما بعد بالانهيار.. فأفكار الصوفية إذن لا مبادى الاسلام هى التى حملت الجماهير أوزار الاستعمار الداخلى، ووصدات للمظالم الخطيرة، وخذلت الناس عن محاربة الفقر، وقتلت في دمائهم الشعور، بأن الفقر كارثة يجب أن تقصى عن المجتمع ولو بدق العنق، وأن يستميتوا في دفع بلائنا بأي ثمن...[2]

والغريب أن أناسا يتخذون ما كتب في عصور الاضمحلال نبراساً، ويظنونه دين الله تعالى، وبذلك يضللون الأجيال في فهم دينها[3].

إن أمتنا في الحقيقة معطوبة في صميمها، لأنها فقدت الكثير من حسها الدقيق بالدين والدنيا معا.. احترام الإسلام حق التملك ييسر للناس أسباب التملك

ومع ذلك يجئ من ينتسب إلى العلم الديني وهو جهول، يجب طرده من ميدان العلم والدين معا.

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: الغزو الثقافي ص 158.

[2] الشيخ محمد الغزالى: الاسلام المفترى عليه ص 67، 68

[3] الشيخ محمد الغزالي: نظرة على واقعنا الإسلامي ص ٧٢ ط دار ثابت ١٩٨٢ ط ثانية

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه بعث بخراب الدنيا لا بعمارتها.. وما أكثر الأكاذيب التي تشاع باسم الإسلام، والتي جعلت المسلمين يعيشون في الدنيا على فضلات الأقوياء، وبذلك أصبحت أيديهم الدنيا، وفي الوقت نفسه أصبح دينهم في المرتبة الدنيا، لأنه ما ينتصر دين بغير دنيا، كيف تنصره اذا كنت فارغ اليد؟ كيف تحميه اذا كنت فقيرا لا ثروة لك؟ كيف؟[1]

وعن التخلف الحضاري للأمة يقول الشيخ: وكثير من المشتغلين بالثقافة الإسلامية، يحسبون أن الإسلام بعدما قضى على الأصنام في الجزيرة العربية قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وليعش الناس حسب ما يرغبون من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، فمضى الأمر متسعا وليكن ما يكون.. وهذا الجهل الفاضح أثقل الأفكار والأقدام، وأحكم حولها القيود، فكانت العاقبة أن وثب العالم إلى الأمام بخطوات فساح، وضبط شئون الحكم والمال وفق ما يرى مصلحته، أما المسلمون فوقفوا أو تخلفوا[2]

الإسلام لا يحسب القعود:

عندما عرض على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن يمتلك وأن يعيش على فضل أخيه، كان جواب عبد الرحمن دلونى على السوق.. وبهذا الخلق استطاع المهاجرون أن يزاحموا الاقتصاد اليهودى فى المدينة المنورة، وأن يجعلوا المال إسلاميا، وهذا شئ له خطورته فى كسب النصر للدين نفسه.. ولذلك كان الإسلام شديد الحرص على أن ينطلق المؤمنون فى المشارق والمغارب يكسبون رزقهم، ويطلبون فضل الله تعالى فى فجاجه المبعثرة هنا وهناك أوالمخبوءة تحت طباق الثرى[3]

وعن تحديد المسئولية يقول الشيخ: وجهلة القصاص والوعاظ يحملون تبعة تضليل الأجيال المتأخرة فى بلاد الإسلام، وصرفها عن الانتفاع بالدنيا، وعن دعم الإسلام بها، بسبب تحريفهم الكلم عن مواضعه.. أن شئون الدنيا وجميع الأعمال العادية تتسلخ من عنوانها، وحقيقتها وتتحول إلى شى آخر بين يدى الإنسان الراقى، الإنسان الذى يضفى عليها روحا من مثله العليا، وغاياته النبيلة، أنها تتحول إلى دين بعد ما نفت فيها الإنسان المؤمن من فيض إيمانه، وجهها إلى الله تعالى بحسن إخلاصه.

---

[1] المرجع السابقى صى ١٩

[2] الشيخ محمد الغزالى: الطريق من هناص: ٨ طر دار البشير ١٩٨٧.

[3] الشيخ محمد الغزال: خطاب وى شئون الدينى و الحياة ص ١٢٧ ط دارالاعتصام ١٩٨٨ م.

ما يظن الناس فى الزراعة؟ يظنونها عملا عمرانيا بحتا، ولكن الإسلام يرتفع إلى مرتبة أسمى، ما دام الغرس والحصاد يكفلان مصالح العباد، ويضمنان شبع العانى والمحتاج.. أن فلاحة الأرض والحالة هذه- إيمان وجهاد، وصلاة وزكاة، وقد جهل بعض الناس هذا المعنى، واستنكر لقصوره أن يشتغل كبار الرجال بالزراعة.

فقد روى أحمد بن حنبل عن أبى الدرداء أن رجلا مر به وهو يغرس غرسا بدمشق، فقال له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله، قال: لا تعجل على سمعت رسول الله يقول: من غرس غرسا يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله إلا كان له به صدقة..

وقد تكون الزراعة نافلة فى بعض الظروف، ولكن إذا ارتبطت بها أقوات الجماهير، ومصير الجيش، فهى فريضة من الفرائض يعتبر التقصير فيها.. خيانة لله ورسوله.[1]

وعن تقييم الإنسان بعمله يقول الشيخ: إن الإسلام يرتفع بموضوع الإنسان الفرد فى الحياة العامة ماديا وأدبيا ويأبى أن توجد طائفة بل أمة من الناس تعيش فى مستوى منحط من الفاقة والحرمان ويبين أن تفاوت الناس فى اقتسام معايشتهم، يخضع قلة وكثرة.. فى نظر الإسلام، لقيم الأعمال التى يؤدونها.[2]

وعن دور المال فى الحياة يقول الشيخ: ومعنى إيجاد المال وتحصينه، إيجاد منابعه وتفجيرها، وهل منابع المال إلا الضرب فى الأرض، واستغلال ظاهرها، واستخراج باطنها، واستثارة البر والبحر ليجودا بخيرات الله تعالى المودعة فيهما.. والحق أن المال سلاح رهيب، والسلاح لا يحمد أو يعاب الذاته، أنه وسيلة إلى الجنة أو إلى النار، بطريقة استخدامه.. وقد نظر بعض الجهال إلى المال فى أيدى الأشرار وكرهوه لأنهم يستعينون به على الفجور والفساد، ثم شرعوا ينظمون قصائد طويلة فى هجاء المال، وحسن التخلى عنه، حتى توهم العوام أن المال شر فى كل يد، وأن البعد عنه غنيمة ومعنى البعد عنه البعد عن مصادر كسبه، و أسباب اقتنائه، و شاع هذا الفكر الغوغائى بين الجماهير، فإذا المسلمون من بضعه قرون لا يحسنون استخراج معدن من الأرض، ولا إجادة صناعة من صناعات السلام أو الحرب وإذا هم يحسبون الصعلكة تقوى، والافتقار فى الدنيا هو الاغتناء فى الآخرة، ونشأ عن هذه الجهالات السائدة فى

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: كيفى نفهم الاسلام ص ٨ ه، ٩ ه طر دارالدعية ١٩٩١ م.

[2] الشيخ محمد الغزالى: الإسلام والمفاهيم الاشتراكية ص 44 دار الكتاب العربى بدون.

مصادر الثقافة الدينية انهيار شامل للعالم الإسلامى، لأن مواهبه الدينية والمدنية تبلدت وفسدت..

أن العقل الإسلامي تحيط به غشاوات سميكة، ولابد من تمزيق الغشاوات أن أردنا الحياة، ولابد من مطاردة الغوغاء الذين فرضوا أنفسهم على الثقافة الدينية، وهم لا يصلحون لا لدنيا ولا لدين.[1]

وعن هزيمة الأمة الاقتصادية والمعنوية بسبب أخطاء فى التوجيه يقول الشيخ: إن الإسلام لا ينهزم أبدا فى ميدان متكافئ، وإنما تنزل به الكوارث فى ميدان ذل فيه دعاته، واستبعد هداته، و تولى وعى الشعوب فارغو القلوب والعقول... وثم أمر آخر هو استغلال الأوضاع الاقتصادية، لاستمالة الفقراء وفتنة المترفين.. فى بقاع كثيرة من دار الإسلام وجد البائسون اليائسون، ووجد الأغنياء المستعلون.. وقد استغل التنصير هذا التفاوت لمصلحته.[2]

هنا يربط الشيخ بين سوء التوجيه وتردى الحالة الاقتصادية، ومساعدة ذلك فى تنصير بعض بعض المسلمين، وعن سيطرة الفكر السلبى على الانسان يقول الشيخ: فسلبوا الإنسان الإرادة الجزئية، ودفعوا البشرية- المسلمين- إلى الاستسلام والعطل فى هذه الدنيا.[3]

وعن العبادة والعمل يقول الشيخ: وعندما ننظر إلى العبادات السماوية نجد أداءها فى اليوم والليلة لا تستغرق نصف ساعة، ونجد تعاليمها تستغرق صفحة أو صفحتين، ويبقى الزمان بعد ذلك واسعا

والمجال رحبا لفهم الحياة، واكتشاف طاقاتها، وتسخيرها كلا وجزءا لخدمة الدين.. وكل جهد يبذل فى ذلك يسمى شرعا عملا صالحا، وجهادا مبرورا، وضميمة إلى الإيمان، توهل المرء لرضوان الله تعالى قال تعالى(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه، وإنا له كاتبون)[4] ومن المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة، إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا، عجزة فى الدنيا، والصالحات المطلوبة فى هذه الآية وغيرها- تصنعها فأس الفلاح، وابرة الخياط، وقلم الكاتب، ومشرط الطبيب، وقارورة الصيدلى، ويصنعها الغواص فى بحره، والطيار فى جوه، والباحث فى معمله، والمحاسب فى دفتره ويصنعها المعلم صاحب الرسالة، وهو يباشر كل شئ، ويجعل منه أداة لنصرة ربه،

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الاسلام ١٩٠/١، ١٩١ ط دار ثابت ١٩٨٣ ط ثانية.

[2] الشيخ محمد الغزالى: صيحة تحذير من دعاه التنصير ص ه 11 ط دار الصحوة ١٩٩١ م.

[3] الشيخ محمد الغزالى: دفاع عن العقيدة والشريعة ص ١٠٩ طر: دار الكتب الاسلامية ١٩٨٨

[4] سورة الانبياء: ٩٤

واعلاء كلمته... وأنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا فى ميادين الحياة، وحسبنا أن مثوبة الله تعالى فى كلمات تقال ومظاهر تقام.. إن هناك سبعين صناعة مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط واستخراجه والانتفاع بمشتقاته، لا نعرف منها شيئا، فهل تخدم عقيدة التوحيد وما يتبنى عليها بهذا العجز المبين..؟.. إن الله تعالى لا يقبل تدينا يشينه هذا الشلل المستغرب، ولا أدرى كيف نزعم الإيمان والجهاد، ونحن نعانى من هذه الطفولة التى تجعل غيرنا يطمعنا ويداوينا؟ ويمدنا بالسلاح إذا شاء، ولقد راقبت كثيرا من الشباب الذين يستحبون خدمة دينهم، وأفزعنى أن الموروث يهيمن عليهم، أنهم لا يحسبون عرق الجبين فى البحث عن البترول أو تلوث الجبهة وراء آلة دوارة، لا يحسبون ذلك جهادا، أن الجهاد فى وهمهم تلاوات، وتكرار ما تيسر من ذلك ما دام فى الوقت متسع.. وقد رأيت صيدليا مشغولا ببحث قضية صلاة تحية المسجد فى أثناء خطبة الجمعة، ومهتما بتزجيح مذهب على مذهب، فقلت له: لماذا لا تنصر الإسلام فى ميدانك، وتدع هذا الموضوع لأهله؟[1]

يقول الشيخ: وبهذا التعريف الجديد للتقوى أصبح المؤمنون فرسانا لا رهبانا، ورفض الإسلام الترهب الذى يدع الإثم يسير من غير نكير، وأصبح الإقبال على الحياة ومعالجة كروبها وهمومها لإثبات معروف ومحو منكر، جهادا مبرور الغدو والرواح.. وما قيمة عبادة تجعل صاحبها محايدا، أو مشلول اليد، فى حرب بين الكفر والإيمان لا ندرى نتائجها.. ومضت السنة المروية عن صاحب الرسالة العظمى تصور الحسنات التى تسجل للمجاهدين، وتذكر الأضعاف التى تتضاف إليهم من حيث لا يحتسبون حتى عدت فى موازين أعمالهم أدوات الخيل التى يمتطونها وهو يجربون الميادين إحقاقا للحق وإبطالا للباطل، إن هذه الأدوات أذكى من الحرير الذى يخب فيه القاعدون.[2]

وعن بعض موانع التقدم الحضارى فى بلاد المسلمين يقول الشيخ: لكلمة"نحن أمة أمية"تسرى كالخمر فى أبدان السكارى- دون فهم

لمعناها الحقيقى مما جعل المسلمين يتسولون لمعرفة من السنة أخرى، وأمم أخرى، لأن مصادرها فى العربية وبين العرب أدركها الجفاف.

والنشر إلى فروق بين العلم الدينى، والعلم المدنى، الاول محدد أساسه الأتباع، والآخر مطلق أساسه الاختراع والأبتداع، فالصلاة مثلا والطهارة اللازمة لها، لا يتطلب تعليمها إلا ساعة من نهار، وعلى المسلم بعد هذه المعرفة تكرار ما

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص 16، 17 ط دار البشير ١٩٨٩ م.

[2] الشيخ محمد الغزالى: من معالم الحق وى كفاحنا الاسلامى الحديث ص. ٩٩ و ما بعدها ١٩٩٣ ط ثانية

أمر به سائر عمره ليفيد من هذا التكرار أدب النفس وسكينة الروح.. أما علوم الدنيا فهى متجددة، وقد لاحظنا فى نصف القرن الأخير أن المعارف الإنسانية زادت بما يساوى أو يفوق ما حققته الإنسانية طوال القرون الماضية.. ومن المؤسف أن المسلمين لم يسهموا فى هذه الوثبة الرحبة، أعنى مسلمى القرون الأخيرة، أما آباؤهم الكبار فأياديهم على العالم لا ينكرها إلا متعصب جاحد..

إن المسلمين الأولين اخترعوا علوم المعانى والبيان والبديع، والنحو والصرف لخدمة الإعجاز البيانى فى القرأن الكريم.. وخدمة هذا الكتاب تحتاج إلى جانب ذلك حاجة ماسة إلى علوم الأحياء والفيزياء والكيمياء والفلك وطبقات الأرض.. والجهالة بهذه العلوم خيانة مخزيه للاسلام وكتابة الضخم،.. وهى مع كونها خيانة دينية خيانة إنسانية عامة لرسالة أبينا آدم الذى ألهم الأسماء كلها، وجعلت له الأرض ذلولا وسار فيها فى البر والبحر... لماذا يغواص غيرنا فى الماء ويسبح فى الهواء ونحن ننظر مشدوهين؟ لماذا يملك إلا لحاد الكهرباء والذرة ولا نملك نحن إلا الهروات؟ نهدد من يعترض أهواءنا..

أليس عجيبا أن تكلف أمة ببناء إيمانها على دراسة الكون، ومع ذلك تحيا محجوبة عن الكون، ونواميسه، وأسراره وقواه.. لو كانت أمتنا حين تكاسلت واستنامت تعيش على ظهر الأرض وحدها لكان وزر تخلفها على رأسها، تعانى منه فى شئون قلت أو كثرت.. لكن أمتنا فى سباق مع أمم أخرى لا تنام، أمم لا رسالة لها أولها رسالة مادية محدودة قوامها الباطل والهوى.. ومع ذلك فإن المبطلين يسابقون الريح نشاطا وعزيمة، ونحن ممثلى الحق جاثمون على الثرى، ننظر ببرود أو بلاهة إلى الأخرين، ولا نعى من رسالتنا شيئا ذا بال.. الأدمية فى كتابنا علم عجزت عنه الملائكة، وظفر به آدم وحده، فاستحق الخلافة فى الأرض، والآدمية فى حياتنا طعام وسفاد، وتحاسد وتفاخر، أى هى الحيوانية الهابطة.. أنا ما أشك فى أن هناك عطبا أو كسرا أو تلفا فى كياننا الفكرى والنفس جعلنا فى هذا الوضع المهين..[1]

إن الشخص الذى يسير فى الحياة مسلوب الإرادة، ميت الفكر لا شئ إلا لأن قدميه تخطوان فى طريق مهدها الأقدمون، هو شخص ناه بفكره وإرادته عن الإسلام. أعيب على العرب والمسلمين بإجمال أنهم يباشرون أعمالهم بنصف وعى ونصف جد، وأن الرغبة فى الإكمال والتجويد قد تكون شهوة عند غيرهم، يندفعون إليها بشوق وحماس، أما عندنا فإن الإتقان قد يكون واجبا عمليا من الخارج، أو تكليفا شاقا نساق إليه سوقا، وهذا الجو لا يجود فيه شى، ولا نكسب

---

[1] - الشيخ محمد الغزال: تراثنا الفكرى من ميزان الشرع و العقل ص ؛ ٢ و ما بعدها ط دارالشروق ١٩١٩ ط ثالثة.

فيه سباقا.... إنني أنظر إلى بعض الصناعات التجميعية عندنا فأدهش لأن ضم هذا إلى ذاك تتم على صورة حسنة هناك، وتم على صورة رديئة هنا، لماذا؟ قلت: إننا نعمل بنصف وعي، الهمة فاترة والعزيمة خائرة.

إن الدين يدخل النفس البشرية ليحرك المفاتيح التي تضيئها من الداخل، وليحرك الأجهزة التي تنطلق بها في دروب الحياة على بصيرة.. والذين يعيشون في غيبوبة وذهول لا تهيج فيهم إلا غرائز الحياة البهيمية، وليسوا من الله تعالى في شى، وهم أشد كفرا ونفاقا وأجدر إلا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله [1].

وعن تشخيص حالة المسلمين الذهنية والعملية يقول الشيخ: أما مع النقائص الموجودة فمن المستحيل أن يكسب المسلمون خيرا.. إن أعطابا نفسية وعقلية أصابت كيانهم بشلل لا تعرفه أمم أخرى، وألحقت برسالتهم مهانة كبيرة، أقول ذلك وأنا أقرأ كلمات لوزير الكهرباء المصري جاء فيها: أن قطاع الطاقة ظل يبحث منذ خمس عشرة سنة عن سر صناعة مادة معينة في العازلات الكهربائية دون جدوى، فقد رفضت الشركات الأجنبية- نحو سبع شركات- أن تعطي أسرار هذه التكنولوجيا حتى تبقى المصدر الوحيد لها، وحتى تبيعها وفق شروطها..

قال الوزير: ثم تطوع العلماء الصينيون بإخبارنا بأن المواد التى تصنع منها هذه العازلات موجودة فى تربتنا- أرضنا- وأنهم سيرسلون خبراءهم ليرشدونا إليها.

قلت لنفسى: إننى أعرض الدعوة الإسلامية كلاما، وهؤلاء الصينيون يعرضون الدعوة الشيوعية عملا، وخامرنى حزن عميق.[2]

إن إساءة المسلمين إلى دينهم وأنفسهم بالغة الشدة، وقد تتابعت هذه الإساءات فى الأعصار الأخيرة واتسع نطاقها، وفشت بين الخاصة والعامة جهالا غريبة أغرب بالحياة العامة، فإذا الأمة التى بقيت دهرا طليقة مرموقة ترجع القهقرى، وتلاحقنا الهزائم، ويهون وجودها عليها وعلى الآخرين.[3]

إن أجهزة الأقتصاد القومى- عندنا- تحيا على هامش الدنيا، وليس للاقتصاد الإسلامى تفوق حضارى آو صناعى بينظمه بين الدول العشر الأولى أو الثانية، بل جمهور المسلمين ينتسبون إلى العالم الثالث، العالم المتخلف الباحث عن الحياة على استحياء أو استخذاء..

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: الحق المر ص ١٠٩.

[2] الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ١/٢٦٧.

[3] الشيخ محمد الغزالى: الجانب العاطفى من الإسلام ٩٢ ط دار الدعوة: ١٩٩٥ م.

ويجى آخرون.. وبعد شرح قاصر معتل يخرجون بهذه القاعدة"الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر"ولو أنهم قالوها عزاء لفرد مصاب أوعصابة من الناس منكوبة لهان الأمر، ولكنهم أطلقوها كلمة عامة حمقاء وحاكموا إليها أغنياء الصحابة فجعلوهم يدخلون الجنة زحفا، أو بعد لأى، لماذا؟

لأن الثراء طعن فى التقوى، فكيف يقوم كيان أمة على هذا العجز والتسول؟ كيف يؤخر عن الجنة من جهز جيش العسرة وأعلى راية الايمان وهد ركن الطغيان، ليقدم عليه بائس أقعده العدم؟[1]

ويرى الشيخ آن الاستعمارله دور فى فكر المسلمين الاقتصادى فيقول: من أخلاق الضعة التى رمانا بها الاستعمار قديما، الشره فى طلب اللذائذ والرغبة فى الراحة دون عمل، ونيل المنغم القريب من غير مغرم يبذل، وقعود الهمم عن الأمال العراض، مع إدمان غريب للشهوات الدنيا، وتتبع للعورات.[2]

وعن خلافة الإنسان يقول الشيخ: جعل الله هذا العالم الصافح بالخيرات المشحون بالقوى بين يدى الانسان، وتحت قدميه ليكون ملكا فيه، وعبد الله فى وقت واحد.. على أن هذا العالم لا تنشق الأرض عن خيره، ولا يهبط النعيم من سماتة دون سعى من الإنسان، أو دون استثارة تجئ فيها النتائج على قدر الكفاح المبذول كلا كلا.. فلاحصاد دون غرس، ولا وفرة فى الإنتاج دون كثرة فى الجهود. لقد تتبعنا ما يصرف الناس عن أداء وظيفتهم العمرانية، فوجدنا لبعضه رسوما دينية مكذوبة- لا أصل لها فى الإسلام- ووجدنا بعضه الآخر مسخا عن الفطرة، وعجزا شل المواهب.. كان جيل"المبكر"فى أيدى الأردنيين أجرد المناكب مقفر الأرجاء فلما استولى عليه اليهود لم تمض أيام حتى شجروه.

وكانت بحيرة"الحولة"على حدود سوريا مجموعة من المستنقعات العفنة، فإذا اليهود يجهزونها للزراعة.. ومررت بأرض رفح وهى قلع أملس لا حياة فيها، فلما وصل إليها اليهود- مهدوها للحبوب والفاكهة.. ياغوثاه.. فهذه أرضنا فكيف نعيش فوقها هملا؟ وكيف نتحول عنها ليجى من يقدرها، و يجعلهامزدهرة بالحرث والنسل؟[3]

وعن تجربة المسلمين السابقة فى العمل العمراني، يقول الشيخ: إن نجاح الإسلام فى تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له، وقد تنادى المسلمون من كل مكان: هلموا إلى"يثرب"فلم تكن الهجرة تخلصا فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاونا عاما على إقامة مجتمع

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: دستور الوحدة الثقافية بين المسلين ص ١٨ ط دارالشروقى ١٩٩٧ م.

[2] الشيخ محمد الغزالى: كفاح الدين ص ١ ه ٢ مكتبة وهيبة ١٩٩١

[3] الشيخ محمد الغزالى: نظرات في القرآن ص 14، ه٦ ط دار الكتب الإسلامية ه1985

جديد فى بلد آمن.. وأصبح فرضا على كل مسلم قادر أن يسهم فى بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده فى تحصينه ورفع شأنه.[1]

وعن قواعد النظام الإسلامى- الذى لا يعرف السلبية- يقول الشيخ: ويتلخص نظام الاسلام الاقتصادى فى قواعد منها:

١- اعتبار المال المصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره.

٢- ايجاب العمل والكسب على كل قادر.

3- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما فى الوجود من قوى ومواد.[2]

أصيبت الأمة الإسلامية بقحط علمى مروع فى عصورها الأخيرة.. فالأمة التى تأسست على القراءة والمعرفة غلبت عليها الأمية.. والتى طوف بها البحث فى كل مجال.. قيدها الجمود والتقليد.[3]

ما الذى أوصلنا إلى هذا الدرك، إن التقدم والتأخر ليسا حظوظا عمياء.. إن هذا الكيان الإسلامى تهاوى تحت ضربات المغيرين، وأصبح بين عشية وضحاها أسيرا تدميه القيود، ويرهقه الإذلال، لقد حدث هذا وكان لأبد أن يحدث لأن المسلمين فقدوا أسباب التمكين فى الأرض، فعصفت بهم الريح الهوج.. إن الرياح مهما اشتدت لا تنقل الجبال، ولكنها تنقل كثبان الرمال.. وقد تأملت فى أحوال الناس يعملون فى الحقل الإسلامى، ويتحمسون لنصرة دينهم، ولكنهم يحملون فى دمائهم جراثيم الفوضى القديمة.. والجهالة المدمرة، فأدركت أن هؤلاء يتحركون فى مواضعهم، وأنهم يوم يستطيعون نقل أقدامهم فسيتجهون للوراء لا إلى الأمام، وسيضيفون إلى هزائمنا الشائنة هزائم قد تكون أخرى وأنكى[4]

أينتصر الإسلام بهذا التبلد العقلى والتماوت الأدبى؟ أم يدركه الخذلان فى كل موقعه؟ إن الواقع الأليم يتكلم.. كم يغيظنى أن يكلف الأنبياء بصناعات الحديد، وأن يطالبوا بتجويد آلات الحرب وإتقانها، وأن يتعلم الصالحون الرمى وإصابة

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: فقه السيرة ص ١٦٢ ط دار الريان ١٩٨٧ م.

[2] الشيخ محمد الغزالى: الاستعمار أحقاد وأطماع ص ٢٦٤.

[3] الشيخ محمد الغزالى: معركة المصحف 177 دار الكتب الحديثة 1971.

[4] الشيخ محمد الغزالى: هموم داعية ص ١:٢، ١:٣ ط دار الاعتصام ١٩٨٣.

الهدف وأن يكونوا خبراء ببناء الحصون وتشييد الاستحكامات العسكرية.. بينما صالحونا لا يدرون عن ذلك[1]

وهكذا ننهى هذه الفقرات المتتالية التى توضح وتكون منهاج الشيخ فى تصوير الفكر الاقتصادى عند المسلمين، وقد أحاط الشيخ بهذا الأمر إحاطة تامة، وشخص الداء ووصف الدواء، وجاءت كلماته لفرط عمقها العملى واتساع نطاقها المادى- تحرر العقل الاسلامى، و تمسح عنه ما علق به مع الوقت، من صروف الحياة التى تتمثل فى السلبية الداخلية والعدوان الخارجى على البلاد الإسلامية.

متابعة

كانت قضية الفكر الاقتصادى عند المسلمين من القضايا الهامة التى ركز عليها الشيخ وهى- بحق- قضية خاصة به، ومميزة لدعوته ولمنهاجه فى هذه الدعوة، فالقضايا الأخرى تناول بعضها بعض الدعاة ولكن الشيخ تميز فيها- من خلال الأبعاد الأربعة- تميزا جعله إمام الدعاة فى العصر الحديث. ولكن هذه القضية تعتبر قضية الغزالى بحق وتظهر عمق فكر الشيخ وشمولية الدعوة فى أن واحد، وقد تناولها. كعادته من زوايا عديدة ومن أوجه مختلفة، حتى ليجد فيها القارى تشخيص الداء، ووصف الدواء فى الوقت نفسه، ثم يضع القارى يده بعد مطالعة هذه القضية -على أزمة المسلمين وتخلفهم الحضارى، وإمكان العودة إلى الأيام الأولى، أيام الذين فقهوا الإسلام، وغاياته المحلية والعالمية. وسوف نورد عرض المتابعة على هذه القضية كما يلى:

1 – نظرة الصوفية للحياة وأثرها على حضارة المسلمين:

بدأ الشيخ بالمواجهة دون تردد، ولم يخش إلا الله تعالى وقال بصوت مال وواضح: أن الصوفية بأفكارها السلبية سبب من أسباب تخلف المسلمين الحضارية، وبين أنهم لم يقصدوا إلى ذلك، وكانت دعوتهم تتصلب على علاج بعض مظاهر السرف والانشغال بالحياة الدنيا عن الآخرة، ولكنهم أسرفوا فى تكديس جرعات العلاج حتى قضوا على المريض تماما، وهم يظنون أنهم عالجوه، ولما سكنت روحه فرحوا بذلك واعتبروا هذا ذروة العلاج، ونجاح المنهاج.

والصوفية لا يتبرون من مسلكهم هذا فى دعوة الناس، بل هو مبسوط فى كتبهم، ومحور أفكارهم، وقوام أمرهم.

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص ٦٨ ط: دار الصحوة ١٩٨٩ م.

يقول الطوسى: ويقال إن من سمى باسم الزاهد فى الدنيا فقد سمى بألف أسم محمود، ومن سمى باسم الرغبة المسلم فى الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم

يرى الطوسى فى هذا النص أن رغبة المسلم فى الدنيا وأن كانت لتطويرها وجعلها سياجا وحصنا للدين، فهى تجعل من يرغب يسمى بألف اسم مذموم.

ويقسم الطوسى الزهاد إلى ثلاث طبقات:

الأولى: المبتدؤن: وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم.

كما سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الزهد فقال: تحلى الأيدى من الأملاك، وتُحلى القلوب من الطمع.

وسئل سرى السقطى من الزاهد فقال أن يخلو قلبه مما خلت منه يداه وقال رويم بن أحمد عن الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا، فهذا زهد المحققين، لأن فى الزهد فى الدنيا حظا للنفس لما فى الزهد من الراحة والمحمدة، واتخاذ الجاه عند الناس فمن زهد بقلبه فى هذه الحظوظ فهو متحقق فى زهده.

وقد عملوا وتيقنوا: أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكا حلالا، ولا يحاسبون عليها فى الأخرة، ولا ينقض ذلك مما لهم عند الله شيئا ثم زهدوا فيها لله عز وجل، لكان زهدهم فى شئ منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها وكانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضه ما سقى الكافر فيها شربة ماء، فعند ذلك زهدوا فى زهدهم وتابوا من زهدهم.

و قالى يحيى بن معاذ: الدنيا كالعروس، ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها، وينتف شعرها، ويخرق ثوبها، والعارف مشتغل بالله تعالى لا يلتفت إليها. وعن الفقر يقول الطوسى قال الشيخ رحمه الله تعالى: الفقر مقام شريف وقد وصف الله تعالى الفقراء ووصفهم فى كتابه للفقراء الذين الحصروا فى سبيل الله[1]

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص: الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين،

---

[1] الآية 174من سورة البقرة والآية لا تعى بزعم الناس في الفقر ما هى تصف واقعا يجب تغييره داخل مجمع المسلمين الاستفادةبنا ميں باب لروم مالايلوم

وحصن المطيعين، وسجن المذنبين ومكفر للسيئات، ومعظم للحسنات، ورافع الدرجات، ومبلغ الى الغايات ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار والفقر هو شعار الصالحين ودأب المتقين.

والفقراء ثلاث طبقات:

منهم من لا يملك شيئا، ولا يطلب بظاهرة ولا بباطنه من أحد شيئا، ولا ينتظر من أحد شيئا، وأن أعطى شيئا لم يأخذه فهذا مقام المقربين.

وقال سهل الأصبهانى: حرام على كل من يسمى أصحابنا الفقراء لأنهم أغنى خلق الله تعالى، يقصد غنى النفس.

وقال أبو على الروزبارى: سألنى أبو بكر الزقاق فقال: يا أبا على: لم ترك الفقراء أخذ البلغة فى وقت الحاجة؟ فقلت لأنهم مستعينون بالمعطى على العطاء، فقال: نعم، ولكن وقع لى شئ آخر، فقلت: هات أفدنى ما وقع لك، فقال: لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود. إذ الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة، إذ الله وجودهم.

ويقول أبو بكر الطوسى: كنت مدة طويلة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجينى أحد بجواب يقنعنى، حتى سالت نصرالدين الحمامى، فقال لى: لانه منزلة من منازل التوحيد، فقنعت بذلك.

ومنهم: من لا يملك شيئا، ولا يسأل أحدا، ولا يطلب، ولا يعوض وأن أعطى شيئا من غير مسألة أخذ..

وقال الجنيد: الفقير الصادق، لا يسأل، ولا يعارض، وأن عورض سكت.

وقال سهل بن عبد الله: الفقير الصادق لا يسأل ولا يرد، ولا يجبر

وقال إبراهيم الخواص: علاقة الفقير الصادق ترك الشكوى، واخفاو أثر البلوى، وهذا مقام الصديقين...

وقال رويم: الفقير، عدم كل موجود، ويكون دخوله فى الأشياء لغيره لا له، وهذا مقام الصديقين فى الفقر.

وقال الحريرى: الفقير لا يطلب المعدوم حتى يفقد الموجود[1]

فى هذا النص يتحول الزهد والفقر إلى عقيدة وطريق وحيد لمعرفة الله تعالى، وهذا مناف للحقيقة كما سنبين فيما بعد، وسوف نعدد المزايا التى أطلقت على الزهد والفقر فى هذا النص.

---

[1] السراج الطوسى: اللمع ص 71 وما بعدها ط دار الكتب الحديثة 1960م.

- حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة.

- تخلى الأيدى من الأملاك، وتحلى القلوب من الطمع.

- الزهد يقتضى معانقة الفقر واختياره.

- الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين، ومكفر للسيات، ومعظم للحسنات، ورافع للدرجات، ومبلغ إلى الغايات، ورضا الجيار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار، والفقر هو شعار الصالحين، ودأب المتقين.

- مقام المقربين. وأول منزلة من منازل التوحيد.

- مقام الصديقين.

هذا الاحتفاء بالفقر، يجعله هدفا ساميا يجب أن تصل الأمة إليه، وقد وصلت.

هذه الأفكار كفيلة بقتل كل طموح وتنمية ليس عند الأمة الإسلامية فحسب، بل عند جميع الأمم فى الأرض، ولولا ذيوع هذه الأفكار فى المجتمع الإسلامى لظلت هذه الأمة قائدة، ورائدة كما بدأت.

والشيخ فى مواجهته للفكر الصوفى السلبى لم يكن قاسيا بالقدر الكافى لأنهم جعلوا من الفقر عقيدة وشريعة، ومنهاج حياة.

فكتاب اللمع[1] من المراجع الأساسية فى علم التصوف ومعظم مراجع التصوف لا تخلو من هذه الأفكار، وتدعو إليها بإصرار.

ويمكن بطلان دعوى الصوفية فى اختيار الفقر طريقا للوصول إلى رضا الله تعالى بما يلى:

(أ)لو كان الفقر شعار الصالحين، ولباس المرسلين، لكان طلب الغنى نقصا فى حق نبى الله تعالى سليمان، قال تعالى(وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شى أن هذا لهو الفضل المبين)[2]

وقال تعالى(قال رب اغفر لى وهب إلى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى أنك أنت الوهاب).[3]

---

[1] أنظر أيضا في ذلك الرسالة القشيرية

[2] سورة النمل: 11.

[3] سورة ص: ٢٥.

واستجاب له الله تعالى:(فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن ماب)[1] هذا نبى الله تعالى سليمان يطلب من الله تعالى أعلى درجات الغنى والتمكين فى الدنيا- يبدو أنه لم يأخذ بنصائح الصوفية- فيعطيه الله تعالى ما طلبه، ولا ينقص ذلك من درجته عند الله تعالى شيئا، بل يؤكد الحق سبحانه وتعالى أنه سيعطيه فى الآخرة الزلفى وحسن المآب، وهذا يؤكد أن طلب الفقر فى الدنيا للوصول إلى الآخرة حرافة لا يقوم عليها دليل، لان من عمى عن مصالح أمته فى الدنيا فسيحشر أعمى فى الأخرة وليس من الصالحين.

قال تعالى(ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا)[2]

وعن سليمان يقول الإمام ابن كثير:"المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظيمة أيضا فى الدنيا والآخرة، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه السلام فى الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله تعالى يوم القيامة أيضا فقال تعالى(وإن له عندنا لزلفى وحسن ماب)أن فى الدنيا والآخرة.[3]

فى هذه الفقرة من تفسير ابن كثير ما يدحض حجة الصوفية فى اختيار الفقر والزهد طريقا للإيمان.

والحقيقة أن منهاج الصوفية قد وجد قبولا عند العامة، لأنه يريحهم من الكد والكدح، والفكر المستقبلى فى شئون الحياة، وأصبح هذا المذهب جزءا من فكر كثير من الناس حتى من غير الصوفية.

ومنهم بعض الدعاة، وظهر هذا الاتجاه السلبى فى وعظهم وفى دعوتهم على العموم، حتى أصبح بدرجات متقاربة منهاجا هاما فى فكر المسلمين على العموم. ومن الإنصاف القول بأن بعض مشايخ الطرق الصوفية خاصة الدارسين مهم ينتهجون الآن نهجا مختلفا ويأمرون أتباعهم بالعمل والحصول على الرزق من مظانه الحلال إلا أنهم لا يصلون بالعمل الدينوى إلى درجة العبادة كما فعل الشيخ، وأن بقى اتجاههم الحديث محمودا، ويؤخذ عليه أنه اتجاه عند البعض ولم يسد فى كل الطرق حتى الآن.

---

[1] سورة ص: ٣٩- 40

[2] سورة الإسراء71.

[3] تفسير القرآن العظيم ٣٩:٣٠ دارالمعرفة.

وليس معنى هذا أننا نسلم بالمناهج الصوفية فى مجملها، لأن الصوفية لو دعت إلى العمل العمراني فستبقى عندهم مناحى عديدة تحتاج إلى تجديد وتحديد حتى تتطابق مع المنهاج الإسلامى العام.

وفى غمرة ما يكتنف الأخلاق من فساد على المستوى العالمى والمحلى، فيمكن للطرق الصوفية أن تؤدى دورا فى التربية وفى جمع الشباب على البر والتقوى بشرط الالتزام التام بالكتاب والسنة والبعد عن كل المخالفات والشطحات التى اعتبرت كرامات فى أزمنة عديدة وأماكن عتيدة، وتوجيه الجماهير إلى العبادة الحقة والعمل العمراني المتقن فى أن واحد، لأن الوقت لا يسمح بالفرقة وعدو المسلمين لن يترك سنيا ولا سلفيا فى نهاية الأمر.

(ب)العمل العمراني فى الإسلام:

إن معرفة المكانة التى يتبواها العمل العمراني فى الإسلام هى أبلغ رد على أصحاب الفكر السلبى، وفكر الانسحاب، فكر دعاة الفقر والزهد من غير سبب راجح، وكما قال الشيخ: حاولوا العلاج ولكنهم قتلوا المريض بجرعات زائدة من العلاج، وسوف نعرض لموقف الإسلام من العمل العمراني فيما يلى:

(1)قصة نوح عليه السلام مع الطوفان:

دعا نبى الله تعالى نوح عليه السلام إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين عاما، وعبد الله تعالى فى هذه القرون حق العبادة، ولم يستجب له من قومه إلا قليل، وأخبره الله تعالى بأنه لن يؤمن من قومه أحد بعد ذلك، قال تعالى(وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد أمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون).[1]

وهكذا انتهت الدعوة عمليا فى قوم نوح، وانتهى أمر إيمانهم، وأخبر الله تعالى نوحا بعد ذلك أنه سيدمر قومه بالطوفان وسأل نوح عليه السلام ربه النجاة له ولمن معه من المؤمنين، فأمره الله تعالى بأن يصنع الفلك لتحمله هو من معه، وظل نوح عليه السلام يصنه الفلك سنوات طوالا، قيل: سبع سنوات، وقيل أكثر، لأنها كانت سفينة ضخمة، هيئت لحمل زوجين من كل المخلوقات الموجودة على ظهر الأرض، لقيام حياة أخرى فى مكان آخر، وبعض المفسرين يرى[2] أن طول السفينة كان ألفا وثلثمائة ذراع، ومنهم من يزيد على ذلك، ومنهم من ينقص، ويقتربون من الاتفاق على الجهد المبذول

---

[1] هود 26

[2] انظر: ابن حسن الطيرى فى تفسيره محلد ٧ ح ١٢ ص ٩: ط دارالفكر ١٩٩٥ م.

فى بناء السفينة"وأقبل نوح على عمل الفلك، وجعل يقطع الخشب، ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو، وجعل قومه يمرون به وهو فى ذلك من عمله، فيسخرون منه.. ويزعم أهل التوراة أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه طوله ثمانين ذراعا، وأن يجعله ثلاثة أطباق، سفلا، ووسطا،وعلوا.[1]

هذا النص القرآنى وتفسيره يثيران فى النفس أكثر من سؤال:

لماذا لم يعف نبى الله عليه السلام من هذا العمل الشاق، ولا سيما وأنه يصنع سفينة على الجبل وبين قوم يسخرون منه؟

والجواب: أن نوحا لو تمت نجاته عن طريق الملائكة مثلا، أو المعجزة أو الكرامة التى انشغل بها المسلمون كان دور الخلافة المناط بنوح عليه السلاح، سوف يتقلص، ويتلاشى، كان نبيا عابدا، نعم، وكان رسولا مبلغا، نعم، ولكن كل هذا لا يعفيه من القيام بأعباء الخلافة، لابد من قيامه بصناعة السفينة، فى ظروف قاسية ليصنع النجاة له، وللمؤمنين معه، ولذلك أمره الحق سبحانه وتعالى بصناعة السفينة، قال تعالى(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا أنهم غرقون)[2]

يقول الإمام ابن كثير: قال بعض السلف: أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه وييسه، فكان ذلك فى مائة سنة، ونجرها فى مائة سنة أخرى، وقيل فى أربعين سنة، والله أعلم.

وقال قتادة: كان طولها ثلثمائة ذراع فى عرض خمسين، وعن الحس طولها ستمائة ذراع، وعرضا ثلثمائة، وعنه مع ابن عباس: طولها ألف ومائتا ذراع، فى عرض ستمائة وقيل: طولها ألف ذراع وعرضها مائة ذراع فالله تعالى أعلم.

قالوا كلهم: وكان ارتفاعها فى السماء ثلاثين ذراعا، ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للأنس والعليا للطيور، وكان بابها فى عرضها، وله غطاء من فوق مطبق عليها. [3]

ويلاحظ على هذه الفقرة من تفسير ابن كثير مايلى:

---

[1] تفسير ابن جرير الطيرى محلد ٧ ح ١٢ ص ٨

[2] سورة هود ٣٧.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/::: طر دارالمعرفة ١٩٩٩ م.

1-اتفاق العلماء على طول مدة صناعة السفينة، فمنهم من قال مائة سنة ومنهم من قال أربعين سنة، أى أنها مدة طويلة فى كل الأحوال.

٢- أنها تطلبت عملا شاقا فى ظروف قاسية.

3- أنها كانت كبيرة جدا ومكونة من ثلاث طوابق للدواب والوحوش، و للانسان، وللطيور، وليس هناك خبر يقينى يحدد بدقة كل هذه المعلومات عن السفينة، باستثناء أخبار التوراة وهى لا تحتمل اليقين العلمى كما هو معروف.

ومع ذلك نلمح فى التوراة ما يدل على التزام نوح بنجاة نفسه ومن معه فان كان هذا وحيا فيها ونعمت وإن لم يكن، فهو فهم جيد لطبيعة الخلافة، خلافة الإنسان لله تعالى فى الأرض، وإعمارها وحل مشاكلها على هدى من الله تعالى.

جاءت قصة نوح عليه السلام فى التوراة ابتداء من الإصحاح السادس من سفر التكوين: فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامى، لأن الأرض امتلأت ظلما منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض، أصنع لنفسك فلكا من خشب جفر، تجعل الفلك ساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار.. فها أنا أت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما فى الأرض يموت، ولكن أقيم انفذ - عهدى فتدخل الفلك أنت وبنوك، وامراتك ونساء بنيك معك، ومن كل حى من كل ذى جسد اثنين.[1]

فى هذا النص بعض المعلومات عن الطوفان وصناعة السفينة ولكن أهم ما فيه قوله: كل من فى الأرض يموت ولكن أقيم عهدى معك أى أن نوحا كلف بإنقاذ نفسه ومن معه، وأن الله تعالى تضمن له النجاة إذا قام بصناعة الفلك بحجمها وظروفها والجو الذى صنعت فيه، وأن نوحا لو ادعى التوكل وترك الأمور من غير عمل شاق وتنظيم دقيق فإن مصير من معه من المؤمنين كان سيلحق بمصير أولئك الذين دمرهم الطوفان، والجدير بالذكر أن نوحا لم يطلب من ربه طريقا آخر للنجاة غير طريق العمل الشاق المضنى الذى استغرق عشرات السنين.

4 – ثبت بالقرآن الكريم أن هذه السفينة كنت فى غاية القوة، فالحق تعالى يصفهافى خضم الطوفان بقوله:(وهى تجارى بهم فى موج كالجبال..)[2] ومن المعلوم أن السفن الكبيرة التى صنعها الإنسان فى العصر الحديث لا

---

[1] التوراة العمرانية: سفر التكوين اصحاح 1 ص 11 ط دار الكتاب المقدس

[2] سورة هود: 42

تستطيع السير فى البحار إلا فى ظل حد أقصى لارتفاع الأمواج، وتغلق الموانى فى وجه السفن إذا وصل ارتفاع الموج أكثر من ستة أمتار ويطلق على هذه الحالة العاصفة، فكيف تحطت هذه السفينة موجا كالجبال، أى ارتفاعه مثلا ألف، أو ألفا متر، لأبد أنها كانت قوية ومتينة ومتقنة وتستحق السنوات التى حددها العلماء - مائة سنة- أربعين سنة- لأن الواقع العلمى للسفينة يثبت ذللث و يزيد عليه،(وهى تجرى بهم فى موج كالجبال..)الموج جمع موجة، وهى ما ارتفع من جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح.. وجاء فى التفسير: أن الماء جاوز كل شى بخمسة عشر ذراع)[1] ارتفاع خمسة عشر ذراعا وقيل: ثمانين ميلا.[2]

ويقول الإمام أبو السعود:(فى موج كالجبال)هو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجه من ذلك كجبل فى ارتفاعها وتراكمها.[3]

ونخلص من هذا إلى أن سفينة نوح عليه السلام كان يتوافر لها كبر الحجم، والمتانة، والقوة، وأن كل هذا قد حدث نتيجة لقيام نوح عليه السلام، بعمل شاق ومضن، استغرق فى أكثر الروايات تواضعا- أربعين سنة وفى ظروف سبقت الإشارة إليها. نستخلص مما تقدم أن عبادة نوح عليه السلام تسعمائة وخمسين عاما، ودعوته إلى الله تعالى فى هذه السنوات، وقيامه بأعباء الرسالة والتبليغ، كل ذلك لم يشفع له فى ترك أعباء الخلافة- خلافة الله تعالى فى الأرض- وتوقفت نجاته ومن معه على جهدهم وعرقهم وعملهم الشاق، فالعبادة لا تغنى عن الخلافة- العمل العمرانى. وكذلك النجاح فى الخلافة لا يغنى عن العبادة، ولأبد من نجاح المسلم فى العبادة والخلافة على السواء، وهذا هو جوهر دعوة الشيخ- يرحمه الله تعالىوقد ثبت ذلك فى معظم كتبه، وركز عليه فى أحاديثه ومحاضراته، وظل يدعو إلى هذا المنهاج- النجاح فى الدنيا والأخرة- حتى لقى ربه سبحانه وتعالى.

(ب)قصة مريم عليها السلام:

نذرت امرأة عمران ما فى بطنها لله تعالى، وكانت تتمنى أن يكون ذكرا، ولكنها جاءت أنثى وعاشت مريم عابدة طاهرة، وقال الله تعالى فيها(وإذ

---

[1] الامام القرطبى: ايلامع لاحكام القرآن ٣٨/٩ط دار احياء التراث العربى ه ١٩٨.

[2] ابن كثير 446/3

[3] الإمام أبو السعود 3 / 34 ط دار الفكر.

قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)[1]، فهذه منزلة لم تصل إليها امرأة قط عبر تاريخ البشرية الطويل.

وقد اختار الله تعالى مريم لتحمل معجزة أن يولد لها غلام من غير أب له، وقد تعجبت من هذا، قال تعالى(قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أللك بغيا. قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله أيه للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا)[2]،

ولم تجد مريم مفرا من التسليم لأمر الله تعالى وقضائه، وتمت المعجزة وحملت مريم من غير زوج، ولكن هل يفهم عامة الناس ذلك، ويسلمون كما سلمت مريم و استسلمت، لقد عانت مريم كثيرا من هذا الحمل، وتعذبت عذابا معنويا لا حدود له.

يقول الإمام ابن كثير: فلما حملت ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به.[3]

و مضات مريم تعانى متاعب الحمل، و آلام اتهام الناسى لبها بالباطل، حتى جاء وقت المخاض، وعانت فيه من ألم مزدوج، فالأم المخاض أليمة واشد منها ألما مواجهة الناس بطفل ينكرونه، ويرفضونه، ويرفضون وجوده قبل أن يأتى إلى عالمهم، ووضعت وهى فى هذه الحالة النفسية والجسدية السيئة حتى هتفت(.. قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيبا منسيا)[4] وهى فى هذه الظروف القاسية وضعت عيسى عليه السلام، وشعرت بعد وضعه بالجوع، وهذا أمر طبيعى لفراغ بطنها من الجنين، فمن يأتيها بالطعام؟ أنها قريبة عهد بالتعامل مع الملائكة فهم الذين أخبروها بخبر وليدها، فأين هم الآن(فناداها من تحتها ألا تخزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا).[5]

---

[1] آل عمران: 42.

[2] سورة مريم: ٢٠، ٢١.

[3] ابن كثير3 /166

[4] مريم: ١٣.

[5] مريم: 24، 25

إذن مع كل هذه الآلام والمشاق، وكل هذا لأبد أن تقوم بعمل ما لكى تأكل.[1]

لقد امتلأت كتب الصوفية بصور من توفير الطعام للناس من غير عمل، فهذا يأكل حينما يدخل إلى مكان مظلم، وهذا يأكل هو وأهله إذا وضع غطاء فوق إناء، وطلب منه أن يملأ بالطعام، ومنهم من وجد عند الطعام الكثير، ولم يستطع أن يحدد من أن جاءه قصص كثيرة أختزلت حضارة الأمة وحولتها إلى خرافات، فهذه الطاهرة المصطفاة على نساء العالمين بنص القرآن الكريم، تتحمل معجزة تعجز عن تحملها الجبال، وتتهم بسبب هذه المعجزة فى عرضها وشرفها، وعندما تجوع لا تأكل إلا من عمل يدها، هذا هو منطق القرآن الكريم الواضح لكل ذى عقل ودين.

جـ)قصة نبى الله تعالى داود عليه السلام

استطاع نبى الله تعالى داود عليه السلام أن يصل إلى حكم بنى إسرائيل بعد هزيمته لجالوت، وأصبح ملكا على بنى إسرائيل، ولم تمنعه النبوة والملك، من تأسيس دولة من أقوى الدول فى وقتها، وشارك هو فى بناء هذه الدولة، بما قدم من مساهمة فى صناعة الحديد، وهى الصناعة التى تقوم عليها حضارة الدولة وقوتها.

قال تعالى(وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)[2] وعن قوة الدولة تحت حكمه يقول الله تعالى(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب).[1]

---

[1] من المفارقات العجيبة أن مريم عليها السلام، وهى صغيرة كانت تعيش في المحراب لخدمة بيت الرب، وكان الطعام يانيها من غير عمل و جهد منها، لاخا كانت ضعيفة لا تقوى على الكسب، وكان نى الله زكريا عليه السلام، يد خل عليها ويتعجب من وجود هذه الأنواع المختلفة من الطعام. يقول الله تعالى في ذلك(فتقبلهارما بقول حسن وأنبتها نباتا حسنا و كلفها زكريا كلما دخل عليها زكريا الحراب واحد عندها زرقا قال يا مرجم آن لالى هذا قالت من عند الله ان الله يرزق، من ايشاء بغير حساب)آل عمران: ٣٧.

فمع الضعف والصغر يكون الرزق بغير حساب، وهذا يحدث لكل أطفال العالم عن طريق آبائهم، ولكن مريم امتازت عن الجميع بالأنواع المختلفة مثل فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وأنواع أخرى كثيرة من الطعام.

و هذا ما تعجب منه زكريا عليه السلام.

وونستخلص من هذا أن الله تعالى تكفل يرزق البشر جميعا، فالضعيف والمريض والصغير يحصل على الرزق من غير جهد، وبغير حساب، أما القوى القادر على تحصيل الرزق فلا يصل إليه الرزق إلا إذا بذل جهدا للحصول عليه. وهذا هو ما يدعو إليه الشيخ بأساليب مختلفة.

[2] سورة الانبياء: ٨٠.

و ظل سيدنا داود عليه السلام يحكم وى عمل ويخترع، حتى أصبحت الدولة فى غاية القوة، فبدأ يزيد من عباداته التطوعية، حتى استغرقه ذكر الله تعالى، فلم يشعر إلا والخصوم أمامه يسألونه فى مسألة فسمع من أحدهم، ولم يسمع من الأخر، فعوتاب فى ذلاگ، فاستغفر و تالب وأناب إلى الله تعالى، وأدرك أن انشغاله بالعبادة التطوعية عن العمل العمراني هو سبب ما حدث له، فعاد إلى الحكم الجيد والعمل الجيد، والعبادة الجيدة، وظل على ذلك فترة من الزمن، ثم غلبه حنين العبادة والذكر، والانقطاع إلى الله تعالى، وكان ذلك إيذانا بنهاية حكمه، فقد عرضت عليه مشكلة تحتاج فى حلها الى تروا ودراسة، ولكنه تعجل فى حلهاى- حتى يفرغ إلى ذكر الله تعالى- وكانت المشكلة مشكلة الغنم التى اعتدت على الحرث، قال تعالى(وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ تفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان...)[2] أى أنه كانت هناك مشكلة – قضية قضى فيها داود ولكنه لم يوفق وقضى فيها سليمان فوفقه الله تعالى، وذلك لكى يترك داود الحكم ويتفرغ لعبادته التى يريدها، ويقوم سليمان بأعباء الحكم وخلافة الله تعالى فى الأرض، ولم يشفع لداود أنه كان نبيا، وأنه أقام حضارة الدولة بسواعده من خلال صناعة الحديد، لم يشفع له كل ذلك، حين أهمل فى العمل العمراني غير أو أقيل بالتعبير المعاصر إن العمل الدنيوى له قداسة العبادة فى الإسلام طالما أنه لم يؤثر على العبادة أو يؤخرها.

وترك داود سلطان الحكم لابنه سليمان حين أثبت أنه هو الجدير به، وعاد داود إلى ذكر الله تعالى بصوته الجميل وأناشيده المباركة وتلمح فى القرآن الكريم أنه يكرم وهو يترك الحكم، قال تعالى:(ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما و علما و سخر نامع داود الجبال يسبحان والطير وكنا فاعلين).

والقصة التى تسببت فى ترك داود للعرش هى قصة أصحاب غنم نفثنفشت فى حقال آخرين فافسادته، فحكم داود بالتعويض، وهو: أن يأخذ أصحاب الأرض أغناما يساوى ثمنها الخسارة التى لحقت بحقلهم، وعند عمل حصدر لهذه الخسارة وجد أنها تستغرق جميع الأغنام، فحكيم داود عليه السلام، بأن يقوم أصحاب الأغنام بتسليم أغنامهم لأصحاب الحقل، ويخسرون المهنة التى عاشوا بهاولها العمر كله، وى تحولون الى متسولين غير منتجين.

وعندما صرخ أصحاب الغنم من قسوة الحكم سمعهم نبى الله تعالى سليمان عليه السلام وكان صغيرا، ولما سألهم عن حالهم وأخبروه، طلب اليهم أن

---

[1] سورة ص: 20.

[2] سورة الانبياء: ٧٨، ٧٩.

يخبروا والده داود بأنهم يرتضون حكم سليمان فى هذه القضيه، و عند ما جلسى سليمان على كرسى وانتهى إلى الحكم التالى فى هذه القضية، فقال: يا أصحاب الغنم تأخذون الحديقة لمدة عام تتعاهدونها وتقومون عليها وتأكلون من فضلها وتسلمونها لنا سليمة من أى أذى فى العام القادم.

ويا أصحاب الحديقة تأخذون الغنم فترعون بها وتحافظون عليها وتأكلون من أولادها وألبانها وأصوافها، وتسلمونها لنا عددا فى العام لقادم من غير نقص، ففرح الطرفان وهللوا وكبروا وخرجوا من عنده متحابين وعندما رأى ذلك نبى الله تعالى داود عليه السلام، أدرك أن الحكم أسند إلى ابنه سليمان بتوفيق الله تعالى.

ويلاحظ على حكم سليمان أنه أعاد الحياة والنشاط إلى الفريقين، وتعلم كل فريق صنعة جديدة غير الحرفة التى أتقنها طوال عمره، وشعر أصحاب الغنم بقسوة الزراعة ووجوب الحرص عليها وعدم إتلافها، وشعر أصحاب الحديقة بقسوة رعى الغنم و متابعة شاردها و واردها، و عذر كل فريق الفريق الثانى، وعند الأجل المحدد سلم كل عهدته، وعادوا أخوة متحابين.

وعن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحارث، فخراج الرعاع معاهم الكلالب، فقال لهم سليمان كيف قضى بين كم، فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا، فأخبر بذلك داود فدعاه، فقال: كيف تقضى بينهم، قال: أدفع الغنم لأصحاب الحرث، فيكون له أولادها وألبانها، وسيلاؤها، ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذى كان عليه، أخذه أصحاب الحرث، وردوا الغنم إلى أصحابها.[1]

ونخرج من رواية ابن كثير هذه، ومما سبق أن إتقان عمل الدنيا يتوقف عليه ملكها، ويفسر لنا هذا أن الغرب الصليبى حين أتقن عمل الدنيا سيطر عليها، وأن المسلمين حين نظروا للدنيا باستخفاف و احتقار خسروها و انزووا فيها بعد حكم واتساع.

غير آن داود عليه السلام تراث الحكم لابنه سليمان لمزيد من القوة للدولة وتفرغ هو لذكره وحبه وشتان ما بين النموذجين.

(د)قصة سليمان عليه السلام:

---

[1] تفسير ابن كثير 3 /186

تسلم نبى الله سليمان الحكم من والده داود عليه السلام، فوجد أمور الدولة منضبطة، والحياة مزدهرة، ولكنه كان يطمح إلى تقدم أكثر وعلم أغزر، ونظام أحكم، ووجد أن لديه مشكلات لا يمكن تجاوزها بالطرق العادية منها مشكلة المواصلات والتى تعتمد على وسائل العصر المتاحة وبسرعة معينة، ومنها مشكلة استخراج المعادن من الأرض ودراسة أفاق السماء، ولذلك سأل الله تعالى أن يسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، لكى يختصر الوقت ويزيد السرعة فى الانتقالات، وسأل الله تعالى أن يسخر له الجن يأمرهم بالغوص والبناء وصناعة الأشياء التى لم يتوصل إلى تصنيعها الإنسان فى هذا الوقت، قال تعالى(فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء و غواصى و آخرين مقرنين فى الاصفاد، هذا عطاونا فامفضن أو أمسك بغير حساب).[1]

-

وهكذا بدأت حضارة أخرى أقوى وأسرع فى ظل حكم سليمان عليه السلام.

وقد فطن نبى الله تعالى سليمان إلى قيمة الوقت فى حياة الإنسان، فحرك الريح لاختصار الوقت، وفطن إلى قيمة العمل فى حياة الناس، فأضاف جهد الجن إلى جهد الإنسان، ولتكثيف القوة المنتجة لصالح الإنسان. وظل نبى الله تعالى سليمان يعمل فى إعمار الأرض وتحقيق الخلافة بجهده وجهد شعبه، والجهود المضافة عن طريق الريح والجن، ظل يعمل حتى وافته المنية و انتهى عمره، ولكنه كان فى موقع العمل خلف العاملين، ولا يزال فى المشروع المنفذ بعض الأعمال التى تحتاج إلى بعض الوقت، فاستبقاه الله تعالى واقفا كما هو، حتى أنتهى العمل، ولم لا وسليمان هو الذى أراد تطوير الحياة بأسرع من وسائلها المتاحة، فلابد آن بيبقى فى موقع العمل حتى بعد موته، ليضاف عمر منتج إلى عمره، ويكون سليمان عليه السلام قد ضرب المثل فى استغلال الوقت، وتسخيره فى الإنتاج، فلما انتهى أجله، أضاف الله إليه أجلا منتجا وهو ميت حتى يضيف شيئا إلى الحياة من خارج الحياة قال تعالى(فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تبينات الجن أن لو

---

[1] سورة ص: 36-39.

كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين).[1] فهل بعد هذا العطاء القرآنى لتطوير الحياة، وإقامةمشروع الله تعالى فيها، يقول بعض الناس: إن ترك العمل والإنتاج ورع ودين } والحقيقة أن الدين الإسلامى فى مصادره القرآن والسنة يأمر بالعمل العمرانى ويحض عليه، ولكن ترك العمل والتكاسل، والتخاذل كله فكر بشرى عادى حسن به بعضى الناس دينا.

(هـ)نبى الله تعالى موسى عليه السلام:

خرج موسى عليه السلام من مصر هاربا من أهلها، بعد آن قتل المصرى، وهو يمنعه من قتل اليهودى، و ظل يهيم على وجهه حتى وصل إلى مدين، ووجد الرعاء يجتمعون على الماء، ويسقون وكل منهم يدفع ماشيته للأمام، ولكنه رأى امرأتين تمنعان ماشيتهما من الماء، فسألهما فأخبرتاه، أنهما تفعلان ذلك حتى يذهب الرعاء، ويصبح الجو مناسبا لهما، فسقا لهما وتجاوز الرعاء، ثم انصرف إلى شجرة يستريح، وعلم والد البنتين بما حدث من موسى فأرسل إليه، وتعرف عليه وكان رجلا صالحا، وطلب منه آن يزوجه احدى ابنتيه، فى مقابل آن يعمل عنده ثمانى سنوات، أوعشر سنوات، وسواء كانت المادة التى قضاها موسى هى ثمانى سنوات أو عشر سنوات، فالملاحظ أنه لم يحصل على الزواج والإقامة، وهو نبى مرسل، و مصطفى و مجتبى من الله تعالى إلا بالعمل والعمل الشاق لمدة طويلة، فلماذا لم يكن زواجه

وإقامته بطريق الكرامة، التى تتجاوز ناموس الحياة، وتحبط كل جهد إنسانى فيها؟ هذا لأن الإنسان خليفة لله تعالى فى أعمار الأرض، وسبيله إلى ذلك العمل الإنسانى، والرسل عليهم السلام هم قادة الناس، وهم المثل العليا للبشر، فلابد أن يكونوا مثلا فى العمل والجهد المبذول. قال تعالى(قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين).[2]

هذا الحض على العمل العمراني[3] فى القرآن الكريم لا يمكن حصره فى بحث كهذا، وحسبنا الإشارة إليه، حتى تثبت صحة ما ذهب إليه الشيخ.

---

[1] سورة سبأ – 14

[2] سورة القصص: ٢٧

[3] أنظر: كتاب دراسة عن العمل العمران في القرآن الكريم للمؤلف

3- الدعوة للفقر والترهل بين الفقراع توطيد للظالم. يرى الشيخ أن الدعوة للفقر وحلب الفقر والزهد بين الشعوب الإسلامية الفقيرة توطيد للظلم فى بلاد المسلمين وما ذهب إليه الشيخ فى هذه النظرية أو المذهب، هو من الأمور التى شغلت أذهان العلماء فى الغرب والشرق، خاصة علماء الاقتصاد، لأنهم يعتبرون رجل الدين- إذا توقفت دعوته عند طلب الزهد والصبر من الفقراء- يعتبرونه حجر عثرة فى سبيل تقدم الأمة

ورخائها، بل يعتبرونه من العاملين الموطئين للظلم، بدعوته للناس بقبول واقع لا عدل فيه، ولا قسط.

ومن المؤكد أن بعض الدعاة يمارس هذا العمل ببراءة وطهر، ولكنه يتفق مع البعض الأخر الذى يحترف هذا العمل مقابل مال أو توجيه يتفق معه فى النتيجة وإن اختلف الغرض والهدف عند كليهما وهذا بالنسبة للدعاة فى كل مكان فى العالم، ولكل الأديان، وربما وجدت بعض الإشارات فى بعض الأديان للدعوة إلى الانسلاخ من الحياة والزهد فيها، ولكن الإسلام:(قد استهدف من التعليم تكوين النفس المسلمة، والعقل المسلم، وتحرير هذه النفس وهذا العقل من كل العوائق التى تحول بين المسلمين وبين السعادة والتمكين فى الأرض).[1]

ولذلك فالإسلام يدعو إلى العدل وإلى المساواة، وإلى حصول كل انسان على حقه فى مقابل جهده، والاسلام من هذه الناحية يطور الحياة ويسمو بالإنسان، واعتبار الإسلام عائقا أو به عوائق للتقدم، دعوى لا تقوم على بينة، ولا ينهض بها دليل، والدعوة إلى الفقر والزهد والرضا بالظلم هى دعوة غريبة على الإسلام، ولا تمت إليه بصلة، وإذا مارس بعض الدعاة المسلمين هو الدعوة، فإنهم يمارسونها بفكر الغير، ولحساب الغير، وسواء علموا ذلك أم جهلوه، أما دعاة بعض الأديان فإنهم كانوا يطلبون

ممن ضرب على خده الأيمن، أن يحول الضاربه الخد الأيسر، لكى يضربه مرة أخرى، ونسبوا فقر الناس، وما حل بهم من ظلم إلى الله تعالى، وطلبوا مباركة اللاعنين، والصلاة من أجل الجلادين، وهذا ما أثار بعض العلماء، وجعلهم يتهمون الدين- آى دين- بأنه عائق للتطور ومانع منه، إن علمانية ماركس وهى التى تتمثل فى المادية التاريخية الإلحادية، هى: هدم الدين كمقدمة ضرورية، لقيام عالم يكون فيه الإنسان سيد نفسه، وتنتهى سيادة الإنسان إلى سيادة المجتمع

---

[1] آنورابيلندى: الشبهات والاحطاء الشائعة فى الفكر الاسلامى صرى ه ٣ طر دارالاعتصام ١٩٨١.

والدولة، ووضعهما بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود الخالق من الأفراد المخلوقين.[1]

و هكذا انتهى تقديم الدين للناسى- فى الغرب- بصورة غير حقيقية إلى تدهور أحوال معتنقى هذا الدين، وثورة العلماء الأيام: الدين أفيون الشعوب ولم يقبل ذلك إلا لأنه رأى أن الدين يستخدم للتوطئة للظلم ولزيادة أرباح الإقطاع والرأسمالية الضارب، والصلاة من أجل الجلاد اللاعن.

ومن المؤكد أن دعوة بعض الدعاة المسلمين من الصوفية وغيرهم، إلى حلب الفقر والزهد، ونبذ الدنيا، والانسلاخ منها، من المؤكد أن خطر هذه الدعوة لم يقف عند ترضية الجماهير بالفقر، وترك الأغنياء الأقوياء يكنزون ما شاؤا من مالا، وحسيبهم أنهم من أهل الدنيا وكفى بهذه بسبة لهم ولعنة، فليتنعموا كما يشاعون، وليبق الفقير العامل المنتج يسبب سرق جهده ويختزل رزقه لصالح هؤلاء الأغنياء فى داخل البلاد الإسلامية، ولم يقف خطر هذه الدعوة عند هذا الحد كما يسبق، بل تعداه إلى خارج البلاد الإسلامية، فالبلاد الصناعية تنتج من كل شى كميات وفيرة، ويهم ما توزيعها داخل البلاد الإسلامية لاستبدالها بالموارد الطبيعية داخل هذه البلاد، وأشد ما يقلق البلاد الصناعية- الغرب

ـــــــــــــــــــ هو وجود إنتاج فى البلاد الإسلامية، يمنعها من ـــــــــــــــــــ من هذه البلاد تماما أو تقليل هذا الاستيراد، بقدر الإمكان، وتقوم حروب خفية فى هذا المجال، لعلها أشد من الحروب العسكرية، وأكثر خطرا لأن الهزيمة فى الحروب العسكرية، يمكن التغلب عليها وتحويلها إلى نصر فيما بعد، وضحاياها أعداد محدودة من البشر، أما الهزيمة فى ميدان الاقتصاد فيصعب التغلب عليها، وضحاياها هم كل أفراد الدولة المسلمة، وفى سيطرة الاقتصاد الغربى على كل بلاد المسلمين، يكون الضحايا هم كل أفراد الأمة الإسلامية الغنى منهم والفقير على السنواء.

وفى الدول الاستعمارية تقوم مؤسسات لوضع الخطط الخاصة بالحروب الاقتصادية، ولهم كثير من الوسائل، وعديد من الأساليب، إلا أنه من أخطر الأسلحة فى هذه الحرب هو السلاح المحلى – الداخلى فوجود دعاة يصعدون المنابر ويطالبون الجماهير بترك الدنيا والزهد فيها ونبذها، ويكثرون من الأدلة على ذلك، وجود هؤلاء الدعاة ييسر مهمة الاستعمار الاقتصادى فى بلاد المسلمين، ويجعل العاملين المنتجين فى البلاد الإسلامية ينظرون إلى عملهم نظرة استخفاف، وإذا عملوا لا يلتزمون الدقة ولا يحاولون ذلك، وهذا ما يفسر لنا وجود إنتاج فى

[1] د. محمد البهى. الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ص 21ط مكتبة وهبة ١٩٧٨ م.

بعض البلاد الإسلامية، يوزع محليا، ولكنه لا يرقى إلى العالمية، أى إلى التصدير إلى بلاد العالم المختلفة.

ولقد ألحت على فكرة جيدة وهى: لماذا لا يقوم الدعاة الذين يصرفون الناس عن الدنيا، برفع دعوى ضد الدول الصناعيةُ الكبرى، لحصول على حق هم عمولتهم- فى توزيع السلع المنتجة فى البلاد الصناعية داخل البلاد الإسلامية، لأن مساهمتهم فى نشر هذه السلع وتوزيعها أمر واقع لا يحتاج إلى كثير من الأدلة، وسيجدون - إن أحسنوا التخطيط لهذه الدعوى- اعترافا عالميا بعلمهم وعملهم فى هذا الشأن ويكونون بذلك قد حصلوا على شى من الدنيا التى زاهدوا الناس فيها، بما ألقوه على سمعهم من مواعظ، وحكايات، لأن سؤال الدعاة فى الآخرة، سيكون عن جهدهم فى دعوة الناس إلى التفوق فى الدين والدنيا على السواء.

ملاحظات:

أولا: أن ما سبق من سطور لا يشمل جميع الدعاة إلى الله تعالى لأن منهم من يدعو إلى الله تعالى على بصيرة، ويحاول النهوض بأمته، وتبصيرها بدينها ودنياها، وهؤلاء لهم جهد مشكور فى إبقاء الحياة فى الجسد الإسلامى حتى يأتى الله تعالى بالفتح أو أمر من عنده، إلا أن هؤلاء عددهم قليل وتضيع أصواتهم أحيانا فى الزحام:

ثانيا: أن كل ما جاء عن الدعوة للزهد فى الدنيا فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، فإنه جاء لعلاج بعض الأمراض النفسية عند بعض الناس، ولم يأت لاختزال مستقبل الأمة الإسلامية، فمثلا: قارون أعطاه الله تعالى فاغتر بالعطاء فكان وعظه بالزهد مطلوبا، وصاحب الجنتين فى سورة الكهف، أعطاه الله فاغتر بالعطاء حتى كفر بالله تعالى، فوعظه صديقه و طلالب منه عدم الاغترار بالدنيا، لأنها لا تدوم وهكذا يمكن توجيه النصح والموعظة المغترين بالدنيا فى كل زمان وكان، أما مطالبة الجماهير فى المساجد الجامعة بهذا، فهو دواع أشد من المرض الذى صرف له بكثير.

ثالثا: عاش المسلمون فى العصر الأول والعصور التى تلته وهم يحفظون القرآن الكريم، ويفهمونه، ويحافظون على السنة الشريفة ويتعقلونها، وكانوا لا يجدون فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يمنعهم عن تكوين الأمة وبناء الدولة، والانطلاق بقوة فى كل مجالات الحياة، حتى سادوا وقادوا وسيطروا و نشروا نور الله تعالى فى كل مكان، بل كانو ايجدون فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يدفعهم للعمل وبذل الجهد بأقصى طاقة لإعمار الحياة، فالقرآن الكريم يأمرهم بالانصراف من المساجد بعد قضاء الصلادة مباشرة،

ودون تأخير لكى يستأنفوا عملهم الدنيوى لأعمار الأرض وإقامة الخلافة، قال تعالى(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون[1]).. وفى السنة الشريفة: قال رسول الله ﷺ:"أن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل فله بذلك أجر[2]"

هل بعد كلام الله تعالى وسنة رسوله من كلام؟

لا شك أننا إذا أردنا أن ننهض بأمر الدين والدنيا، فيجب علينا أن نعود إلى عصر النبوة والصحابة والتابعين، حتى نستطيع أن نحدد لنا مكانا بين الأمم المتقدمة، كما نحصل به على القيادة والريادة التى كانت لنا يوماً من الأيام.

---

[1] سورة الجمعة 10

[2] رواه البخارى في الأدب المفرد ورواه أحمد في مسنده 3 /9 ط: دار الفكر بيروت.

الباب الثالث
قضية المرأة

الفصل الأول: الوضع العام

يتلخص فكر الشيخ محمد الغزالى بالنسبة للمرأة المسلمة فى الفقرات التالية والتى تعتبر تقدمة لقضية المرأة عنده، وهو يبدأ الموضوع بهذا السؤال: أننى أسأل أولا: هل عوملت المرأة فى العالم الإسلامى وفق تعاليم الإسلام؟

ويجيب ما أظن ذلك وقع إلا لماما..

إن الحاكم فى مستدركه روى حديثا موضوعا حكم العالم الإسلاميا[1] أكثر من ألف عام، يقول هذا الحديث:"لا تعلموا النساء الكتابة ولا تسكنوهن الغرف"، أى إذا كان البيت مكونا من طبقات، لم يجز إسكان النساء فى الطبقات العليا، حبسهن ظهر الأرض أو تحتها أن أمكن..

وتطبيقا لهذا الحديث المكذوبا، لم تفتح مدرسة لتعليم البنات فى قرية أو مدينة خلال القرون الماضية، وأصبح تثقيف النساء من الفضول، بل من المناكر المحظورة..

وروى عبد الله بن عمر قول رسول الله ﷺ:

"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[2]

وفى رواية أخرى، ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد فقال ابنه معترضا التوجيه النبوى، اذن يتخذنه دغلا،- آى مهربا لاقتراف المفاسد- والله لنمنعهن، فركز عبد الله ابنه فى صادره، وأشتد عليه غضبه، وقال أقول قال رسول الله، ويقول: لا.. وقاطعه إلى آخر حياته.

والغريب أن العالم الإسلامى لم يكترث لرواية ابن عمر على صحتها وتبع رأى ابنه.[3]

---

[1] المقصود حكم فكر العالم الاسلامى.

[2] صحيح البخارى عين نافع عن ابن عمر كتاب المعة ٧/٢ط دارالفكر بدون و عن ابن عمر عن النى صلى الله عليه وسلم قال:"إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن"صحيح كتاب الآذان أن باب خروج النساء إلى المساجد باليل ٢/٢٤٧. وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: كانت امرأة لعمر تشيد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة فقيل لها لما تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار، قالت ما يمنعه أن ينهان؟ قال يمنعه قول رسول الله ﷺ"لا تمنعوا إيماء الله مساجد الله". وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ"ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد"صحيح البخارى كتاب اللمعة باب: هلى على من يشهد المعة غسل"٣٨١/٢، ٣٨٢ط الكتبة السلفية.

[3] تم تغيير اللفظ لأنه لا يناسب الصحاب المذكور المؤلف.

وبعد جهاد سنين طويلة للسماح بصلاة المرأة فى المسجد، أمكن فتح 10 % من بيوت الله لاماء الله، أما الكثرة الساحقة من مساجد القرى والمدن فهيهات أن يدخلها النساء..

وفى الريف كان أغلب النساء يفقدن ميراثهن الشرعى، فتقسم الأرض على الذكور وحدهم، ويقول الأخوة الذين اجتاحوا الأرض: كيف تترك غريبا ينزل بأرض أبينا؟ ويعنون بالغريب زوج أختهم، فإذا حدث أن طالبت الأخت بميراثها الشرعى قاطعها إخوانها إلى الأبد.

والأسر الشريفة لها تقليد عجيب- أعنى الأسر التى تدعى الانتساب إلى البيت النبوى- في المرأة تموت عانسا بائسة إذا لم يطلبها الكفاء من الأشراف، أما الرجل فله حق الزواج من الإنكليز والأمريكان.

ويظهر أن بنات العم سام أو العم جون، لهن شرف يضارع شرفه، أما النساء اللاتى نكبين بالدم الشريف، فلا كفاء لكن على المدى البعيد إلا الموت. وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبى صليب الله عليه وسلم، فنسقى القوم، و نخدمتهم، و ترد الجرحى والقتلى إلى المدينة.[1]

ويبدو أن هذا التقليد كان قصير العمر جدا، فاستخفى فى أيام الحرب والسلم على السواء.. وإذا كان النساء قد منعين المساجد، أفكان يؤذون لهن بالذهاب إلى ميادين القتال؟.. أريد إعمال النصوص المكتوبة، أو المفهومة من سيرة الرسول ﷺ وسلفه الأول.. لقد رأيت فى قضية المرأة أحاديث موضوعة، وأحاديث واهية صححها الغرض المدخول، وأحاديث صحيحة حرفت عن موضعها.

واستغربت وأنا أقرأ الفقهاء أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد الحرام، أو المسجد النبوى..

وقلت لو كان الأمر كذلك فلم أشرف الرسول ﷺ على تنظيم صفوفهن فى مسجده؟ ولم جعل لهن بابا خاصا بهن، ولم ذهب إليهن فعلمهن وحثهن على الصدقة[2]، ولم حذر"البعض"أن يحرص على القرب من صفوف هن؟؟ الواقع أن

---

[1] من أخرجه البخارى كتاب الجهاد باب رد النساء الجرحى والقتلى 6/ 80 المكتبة السلفية.

[2] يشير هنا إلى الحديث الذى رواه عطاء عن جابر قال سمعته يقول: قام النبى ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة، ثم خطب فلما فرع فأتى النساء فذكرهان، وهو يتوكأ على يد بلال باسط ثوبه يلقى فيه النساء الصدقة، قلت لعطاء زكاة يوم الفطر، قال: لا، ولكن صدقة يتصدقن حينئذ، تلقى فتحها، ويلقين قلت: أترى حقا على الأمام ذلك؟ ويذكروهن قال: أنه لحق عليهم، وما لهم لا يفعلونه؟ آخريحه البخارى وى كتاب العيدى، ١٧/٢ طر دارالفكر.

المرأة أولى بها أن تصلى فى البيت، إذا كانت مسئولية التغذية أو التربية تفرض عليها ذلك، أما إذا تخففت من هذه الواجبات لسبب أو لآخر، فلا يمنعها بشر من الذهاب إلى المسجد ليلا أو نهارا.

إن صلاة الجمعة ليست مؤكدة فى حقها كالرجال، ولا يفيد ذلك فرض حصار قاتل على حياتها العملية والعبادية، وتحويلها إلى مسخ لا مكان لها فى دنيا ولا دين، كما انتهت بذلك الأوضاع الاجتماعية فى العالم الإسلامى.

عند ما فتح النبى ﷺ مكة خرج النساء لمبايعته، و تلقى تعاليم الاسلام منه، ولم يحتابسن فى بيوتهن قع بودا عن هذا الغرض، أى أن علاقة المرأة بالحياة العامة كانت قائمة، وكانت من الناحية العملية تسير فى خط يحتاذى علاقة الرجل، ولا يتطابق معه.

وقبل فتح مكة اهتدت نساء كثيرات إلى الإسلام ورفضن البقاء مع أزواجهن الكفار، فقرون الهجرة إلى المدينة، وحدث ذللثافى و قلت كان المسلمون فيه ملزمين برد كل من يلحق بهم من مكة فارا بدينه تنفيذا لمعاهدة الحديبية[1] ولكن القرآن نزل يستثنى النساء من ذلك الحكم فقال تعالى(يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار)[2].

ورد أن عمر بن الخطاب كان فى ذلك الامتحان يحلف المرأة المهاجرة بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله[3]

ماذا ترى فى هذا القسم؟ وفيمن أدته؟ ألا ترى شخصية مستقلة، واضحة الوجهة، محترمة المسلك، تحارب وتسالم، وتقيم أو تسافر وفق ضميرها وتفكيرها؟

اين هذه الشخصية التى و انقبت الرسول فى مكة، والتى هاجرت إليه فى المدينة، من شخصية المرأة المسلمة فى القرون الأخيرة؟ المرأة التى لا تعرف كتابا ولا إيمانا ولا صلاة ولا ثقافة عامة، بل التى يعتبر من العيب الفاضح أن يعرف لها أسم، أو يبدو لها شبح؟ لأنها لا وظيفة لها إلا إعداد الطعام وإرضاء البعل[4].

---

[1] والنص عند ابن هشام هو: على آنه من آتى محمد مسى قريش بغير اذن اوليه رده عليهم، و من جاء قريشا ممن مبع محمد له يردوه عليه. سيرة ابن هشام ١٢/٦/٢١٦ ط دار التوفيقية

[2]. الممتحنة: 10.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 4/. ٢٥ط دار المعرفة بيروت. وقد أخرج البخارى عن عائشة نفس الحديث مع الاختلاف في الألفاظ في حار ص - 11 في كتاب التفسير باب(إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات).

[4] الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام: 1 - 4: ٤٢٥ط: دار ثابت 1984 م.

فى هذه التقدمة تتضح ملامح قضية المرأة عند الشيخ محمد الغزالى، فهو يحدد ملامح توجهه فى هذه القضية على النحو التالى:

1 – لم تعامل المرأة فى العالم الإسلامى وفق تعاليم الإسلام الصحيحة وإنما عوملت وفق التقاليد الموروثة، واستند الذين فرضوا هذه التقاليد إلى بعض المرويات التى لم يسلم الشيخ بصحتها مثل الحديث الذى أخرجه الحاكم فى مستدركه(لا تعلموا النساء الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف)، وإذا عوملت المرأة وفق تعاليم الإسلام، فإن ذلك لم يحدث إلا فى القليل النادر، ويتعبير الشيخ(إلا لماما).

٢- إن صلاة النساء فى المساجد مفيدة جدا، للمجتمع الإسلامى، لأن المرأة فى المسجد، وفى جوه الروحى تتشرب تعاليم الاسلام، التى تمدها بالزاد الطيب فى حياتها، و فى حياة أسرتها، ومع هذا تمنع المرأة من الخروج للصلاة فى المساجد، استنادا إلى رأى يخالف حديثا صحيحاورواه عبد الله بن عمر رضوان الله تعالى عليهما، وبعد جهاد سنين طويلة لم يسمح فى العالم الإسلامى إلا بفتح، 1 % من المساجد للنساء.

3- ويعامل المجتمع الإسلامى المرأة وكأنها فى مرتبة أقل من الرجل، وفى ريف مصر لا يورثون النساء فى أغلب الأحيان، وإن تم التوريث يكون فى أقل من حق المرأة المفروض.

4 – وعند الأشراف الذين ينتسبون إلى البيت النبوى لا تتزوج المرأة إلا من شريف، ويمكن أن تبقى عانسا طوال حياتها، فى حين يتزوج الشريف بمن يشاء من النساء العربيات والأجنبيات.

ومحنة المرأة عند الغزالى فى هذه التقدمة تتجلى فى أنها محرومة- فى أعلب الأحيان- من حقها فى العبادة- الصلاة فى المساجد- ومن حقها فى الميراث، ومن حقها فى الحياة الطبيعية كزوجة وأم لأطفال فيا بعد، ويتم هذا فى الأحوال الثلاثة بدافع من التقاليد، وليس بشارع من الإسلام، أى أن المرأة فى المجتمع الإسلامى تعامل بالتقاليد، ولا تعامل بالإسلام.

ومن أجل حالة المرأة فى المجتمع الإسلامى التى سبقت الإشارة إليها، جعلها الشيخ قضية من قضاياه التى أراد أن يخدم بها دعوة الإسلام، وينهض بالمجتمع الإسلامى فى كل المجالات، وقضية المرأة عند الشيخ ليست قضية عادية، بل هو يرى أنها من القضايا ذات الأهمية والبعد(الاستراتيجى)فى النهوض بالمجتمع الإسلامى، ولا غرابة فى

ذلك، فالمرأة نصف المجتمع الإسلامى، بل تعتبر فى جميع الظروف والأزمان أكثر من النصف، بسبب خروج الرجال للحروب، والمهام الشاقة وتحمل كثير من الأعباء المعيشية وغيرها، ولا يجوز إهمال أكثر من نصف المجتمع الإسلامى، إذا أريد لهذا المجتمع النهوض والوثوب إلى الأمام فى اتجاه قويم.

وليس هناك مبرر للتضحية بأكثر من نصف الأمة والتمسك فى ذلك بتقاليد لا تصل ولا تتصل بالإسلام من قريب أوبعيد.

ويقسم الشيخ الغزالى قضية المرأة العامة إلى قضايا فرعية ويبثها فى كل مؤلفاته دون استثناء وسنوف نجمعها و نرتبها فى نسق متكامل كحبات اللؤلؤ تبدو جميلة وهى متناثرة، ولكنها تكون أجمل وهى منتظمة فى عقد واحد.

ويفيد هذا التنظيم الدراسات العملية لفكر ومنهاج الشيخ، ويقدم لطلاب العلم نسقا منتظما مترابطا للقضية التى يريدون دراستها. وسوف تأتى هذه القضايا تباعا، تحت عنوان يخص موضوعا بعينه حتى تتكون القضية العامة من هذه العناصر الجزئية، فإذا كان العنوان الفرعى قضية المرأة فى التعليم- يكون داخل النسق حق المرأة فى التعليم- ومن هذه العناصر تتكون قضية المرأة داخل المجتمع الإسلامى، وسوف تفصل كما يلى:

1 – حق المرأة فى التعليم:

يهتم الشيخ بحق المرأة فى التعليم أبلغ اهتمام، لأنه يرى أن تعليم المرأة وتثقيفها روحيا وعلميا يؤدى إلى السمو بالمرأة فى روحها وذاتها، ويعود بالنفع على أسرتها، وعلى أمتها على السواء، ويرى كذلك أن تجهيل أكثر من نصف الأمة الإسلامية ليس من مصلحة أحد، إلا أعداء الإسلام المتربصين به الدوائر والأوقات والأزمان فيقول: كنت أتحدث فى أحد الأندية عن حقوق المرأة المسلمة، فقلت: إن لها حق الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، و تدريس هدايات الاسلام و مجادلة الملحدين فيها.. فإذا يقول شخص لصاحبه: كنا نظن هذه المحاضر رجلا صالحا، فتبين أنه ألعن من قاسم أمين.

ونذكر ما قاله الأستاذ/ أحمد موسى سالم عن قاسم أمين، وعن الدور الذى قام به فى الدفاع عن الإسلام ضد الغزو الثقافى الفرنسى الذى حمى و اشتاد فى عصره..

وكان دور قاسم أمين فى هذا الحوار جاهزا:[1] وكان محوره الأساسى هو المرأة[2] فى الشريعة الإسلامية، وكانت المبادرة التى خاضها مع الخصم الفرنسى دوقدار كور"الذى اصدر سنة ١٨٩٣ كتابا عنوان به مصر و المصريون"تن اول فيه حياة المجتمع المصرى أيام الحكم المملوكى، والتركى وهى فترة بلغت ستة قرون عجاف، تراجعت فيها خصائص الحياة عن جمهرة الأمة الإسلامية، مما جعل"دوق دراكور"يبسط قلمه بالأذى ويرسم صورة قاتمة، وبذيئة للشعب كله، ويخص المرأة بمزيد من التجريح والرزاية.. ويرد ذلك كله إلى طبيعة الإسلام، والمتأبية على الترقى والحضارة.

ماذا فعل قاسم أمين ليدافع عن دينه وأمته؟ سارع إلى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمه، وشرح حقوق المرأة فى الإسلام، وما كلفه الدين لها من كرامة مادية وأدبية، ووازن قاسم أمين بين حجاب السترة والاحتشام عندنا، وبين تبذل المدنية الحديثة، وما أحاطت به أوضاع المرأة من أنحلال وتهتلك. إن ما فعله قاسم كان مملوكا بأمرين أولهما الدفاع عن الإسلام المفهوم من مصدريه الرئيسيين، والأخر الاعتذار عن تخلف المرأة من تقاليد غريبة عن التوجيه الالهى، ناشئة عن أخطاء الشعوب وما يستطيع الرجل أن يفعل إلا هذا. هاب أن أوربا أو أمريكيا اتهم الإسلام بأنه يحظر على المرأة الذهاب إلى المسجد، وأن الإسلام بهذا الحظر دين شاذ، لأن الأديان كلها لا تمنع النساء من التردد على بيوت الله تعالى، آو على معبدها الخاص بها، فماذا أقول له؟ أصدقه فى اتهامه؟ أم أقول له: أن هذا الحظر ليس من تعاليم الإسلام، وإنما هو من تقاليد بعض البيئات. أدافع عن الإسلام صادقا؟ أم أدفع عن المنتمين إليه كاذبا؟[3] فى الفقرة السابقة يوضح الشيخ حاجة المرأة المسلمة إلى التعليم، وأنه حق من حقوقها الشرعية والإنسانية، وأن أعداء الإسلام استغلوا تخلف المرأة المسلمة للهجوم على الإسلام، و اتهامه بالتخلف، ثم يظهر تعاطفه مع قاسم آمين فى دفاع به عن المرأة فى

---

[1] الجدل الدائر حول الإسلام وأنه ضد المرأة.

[2] يعرض الشيخ الغزالى صورة طيبة لقاسم أمين.

[3] الشيخ محمد الغزالى: قضايا المرأة بين التقاليد الرا كدة والوافدة ص ١٧، ١٨ طر دار الشروق، ١٩١٩ م.

الإسلام، وأن تخلفها ليس من الإسلام، وإنما هو من تقاليد وعادات الشعوب الإسلامية، وأن الإسلام كفل للمرأة الحرية والكرامة والتعليم مثل الرجل سواء بسواء، ولسهل مرد الفعل عند قاسم أمين كان قويا مما عرضه للانتقاد فيما بعد.

إلا أن ما يلفت النظر أن الشيخ بدأ حديثه بإيرار حق المرأة فى الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتدريس هدايات الإسلام، وكلها أمور لا تتم إلا بالتعليم والتثقيف للمرأة، ويساور النفس هاجس أن المرأة لو اشتغلت بالدعوة إلى الله تعالى وكثر عدد النساء اللائى يمارسن الدعوة بين اخواتهن من النساء، فان عدد المثل الاعلى الطيب كان سيزداد فى المجتمع الإسلامى، فالمرأة الآن حينما تنظر إلى المتفوقات من النساء فستجد أنهن تفوقن فى مجالات كثيرة الا التفوق فى العلم الدينى، ورباما استحوذ على فكرها المثل السيبى بين النساء فنظرت إلى تفوق بعض النساء فى أعمال تدور كلها حول الشهوة وأسعار نارها فى نفوس الأخرين.

ويعقب الشيخ الغزالى على تعليم المرأة لتقوم بواجب الدعوة قائلا:(وقد رأيت فى أواخر عصر الجاهلية، وبدايات عهد الإسلام، أن المرأة حضرت بيعه العقبة دون اعتراض، وبايعت على الموت تحت الشجرة أو على عدم الفرار، وكان مستحيلا أن

يؤذن بذلك فى أواخر التاريخ الإسلامى، فماذا يعنى هذا الوضع[1]

وعن الظروف التى مرت بها المرأة المسلمة فى مصر يقول:(إن تعليم البنات فى مدارس خاصة، بدأ بعد الاحتلال البريطانى لمصر، فإن التقاليد السائدة كانت تفرض الأمية على النساء باسم الإسلام.

ومع غزو المرأة للفضاء فى العصر الحديث، فإن أناسا عندنا يقاتلون دون أن تصلى المرأة فى المسجد، يقولون بيتها أولى بها، ويوم يتقرر هذا الموقف فى الأرض الإسلامية، فإن مجون الحضارة المنتصرة لن يجد أمامه عائقا أبدا.[2]

ويرى الشيخ أن ترك تعليم المرأة لا يساعد سترها واحتشامها، كما يظن أولئك الذين فرضوا عليها الأمية، بل تعتبر أمية المرأة وجهلها طريقا سهلا لوصول الضار من الحضارة الحديثة إليها، خاصة فيما يتعلق بزينة المرأة وتبرجها وسفورها، ولا يعصم المرأة من الانزلاق إلى الدرك الأسفل من الأخلاق إلا العلم وبلوغ أعلى الدرجات فيه.

---

[1] الصدر السابق ص. ١٩.

[2] الصدر السابق ص ٢٢.

ويغضب الشيخ لنقل مروبات- ليست حقيقية- عن كبار الصحابة تقف ضد تعاليم المرأة فيقول: غضبى يشتد عندما أرى كلاما يخدش كرامة الإنسان، وينال من رسالته، فقد سألنى أحد القراء عن حكم قرأه فى مصدر إسلامى مهم، أن عمر منع النساء من تعلم الخط، وكأنه يرى الأمية أولى بسهن، فأجبت ساخرا: ولم تكون الأمية حكرا عليهن وحدهن، يبغى أن تشمل الزوجين الذكر والأنثى تمشيا مع الفهم الأعوج لحديث"نحن أمة أمية"[1] إن الحديث الذى يمنع النساء من تعلم الكتابة مكذوب، وكل خير يهون من شأن العلم بما فى الأرض والسماء لا يوثق به، وقد ورد وصف الأمية فى الكتاب والسنة للعرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، على أنه واقع معروف عالميا، ومحليا، وهذا الواقع زال مع نزول القرن الكريم، وانهمار غيولث من المعارف مع آياته البينات(ولكن اتبعت أهواء هم بعد الذى جاءك من العلم، مالك من الله من ولى ولا نصير)[2]

(بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون)[3] وعلى الرجال والنساء أن يزدادوا علماء وألا يشبعوا من فنون الثقافات التى تتاح لهم).[4]

ثم يقول عن العادات التى يقيمها الناس ثم يألفونها بعد فترة من الزمن:(هل هذه تقاليد إسلامية أم عادات أنشأها الناس من عند أنفسهم، ثم جعلوها دينا؟ وباسم الحجاب قامت تقاليد تزدرى المرأة وتؤخرها، وترفض منحها الحقوق الأدبية والمادية التى أقرها لها الإسلام فماتت إنسانيتها على مر القرون، وتولى كبر ذلك كله متدينون جهلة، يحسبون التقوى تجهيل المرأة وإذلالها.

---

[1] الحديث اخراجه مسلم فى كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال حديث رقم به ١ ج ٧٩١/٢ ط الحلى.

[2] سورة البقرة: 120

[3] سورة العنكبوت: 5 4.

[4] الصدر السابق ص ٢٣، 24.

إن أى مطالع للقرآن الكريم والسنن الصحاح، يرى المرأة جزءا حيا من مجتمع حى، فهى تتعلم وتتعبد، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد إذا شاعت - فى البر والبحر، وتؤخذ منها البيعة على معاقد الإيمان والأخلاق، وتعارض الحكم أو تؤيده.. ألخ.

ودخل التحريف على تعاليمنا وتقاليدنا، فإذا المرأة"كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير"..

وقال لى صديق: عندما أمر الملك فيصل البنات تحولت أسرعن البلد الذى أنشئت فيه أول مدرسة، وكرهت أن ترى هذه البدعة المنكرة.

ولا يزال نفر من علماء الدين يكرهون وجه المرأة، ويحملونها مسئولية خروج آدم من الجنة، كما زعم اليهود فى كتبهم، ويرون الدين امسالك النساء فى البيون حتى يتوفاهن

الموت، وحرمانهن من أى نشاط عام.. وأعتقد أن هؤلاء العلماء القاصرين لو كانوا على عهد رسول الله ﷺ، لطالبوه بطرد السيدتين اللتين حضرتا بيعة العقبة الكبرى وقالوا له: ما للنساء وهذه الشئون؟ ولو كانوا موجودين عند فتح مكة لقالواله:

حسبك بيعة الرجال، وهم يعلمون نساءهم، أما استخراج النساء للبيعة فقد يكون سببا فى غرورهن وجرأتهن.

هذه العقلية المتخلفة فرضت نفسها طويلا على دين الله تعالى، وبعد أن أعانت أقدار حسنة على زلزلة سلطانهم، رأيناهم يستميتون فى إخراج المرأة المسلمة، وتعكير مستقبلها بفتاوى مكذوبة على الإسلام[1]

يركز الشيخ على تحكيم التقاليد و العادات فى سلوك المسلمين، وأوضح صورة لهذا التحكم هو ترك المرأة بدون تعليم، ويوضح ما كان للنساء من شأن فى نهاية الجاهلية وبداية الدعوة الإسلامية، حيت كانت المرأة تبايع على الإيمان والأخلاق، وتبايع على بذل النفس والمال وكانت تتعلم وتعلم فى أن واحد، وكأنه يوجهنا إلى أن المرأة لم تحصل على حقها- ففى نهاية القرن الرابع عشر الهجرى- الذى حصيلات عليه فى بداية القرن

الأول وقد استشهد بحديث صحيح- لا تمنعوا أماء الله مساجد الله- وذهاب المرأة إلى المسجد يساعدها على التعليم والعبادات فى وقت واحد.

---

[1] الشيخ محمد الغزال: دستور الواحدة الثقافة بين المسلمين ص ١٣٢: ١٢ ط دارالشروقى ١٩٩٧ م.

ثم هو يركز على أن ترك المرأة بدون تعليم فيه مخالفة للشرع وإهدار لكرامة المرأة وموت لإنسانيتها.

أضف إلى ذلك أنه تجهيل لنصف الأمة أو يزيد، ولهذا أثاره التى تتداعى مع الزمن فتسبب الضعف والوهن فى جسد الأمة الإسلامية.

ونخرج من هذا إلى أن الشيخ يركز فى تعليم المرأة على ما يلى:

1 – أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

٢ – أن القرآن الكريم والسنة الصحيحة يحضان على طلب العلم بكل الوسائل المتاحة.

3 – أن الأمة الإسلامية لم تعد أمة أمية بعد نزول القرآن الكريم وتفجر المعارف العلمية والعالمية من فهمه وتطبيقه.

4 – أن ما جاء من أحاديث تنهى عن تعليم المرأة هى أحاديث لا تصل إلى مرتبة الصحة.

ه – أن تضافر المجتمع الإسلامى فى عدم تعليم المرأة يعود إلى العادات والتقاليد ولا يعود إلى الإسلام.

6 – أن المرأة الجاهلة خطر على نفسها وقومها فى أن واحد.

7– أن المرأة الجاهلة تكون طيعة القياد يسيرة الإنحراف مقلدة لكل ما تجد من عناصر الحضارة المنتصرة حضارة أعداء الإسلام.

8- لا يكتفى بتعليم المرأة فقط، بل يطلب منها التفوق فى العلم الذى تدرسه، وتصل فيه إلى ما يساعد هذه الأمة وينهض بها من كبوتها.

9 – على المرأة القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى وتعليم بنات جنسها هدايات الإسلام، وما فيه من خير لكل البشر.

حق المراة فى العمل:

حق المرأة فى العمل من الأمور التى يوليها الشيخ اهتماما خاصا، لأنه لا يتصور الأمة الإسلامية وهى تعمل بشطرها فقط، ولكنه يضع الكثير من الضوابط على الخروج للعمل من قبل المرأة مع التنبيه المتكرر على أن عمل البيت بالنسبة للمرأة يعتبر أهم أعمالها على الإطلاق حيث رعاية الزوج، وتربية النشى تربية جيدة، فإذا تخففت المرأة من هذه المسئوليات لسبب أو لآخر وتفوقت فى جانب من جوانب العمل العمراني، أو لم تجد

من يعولها ويعول أطفالها فى حالة فقد الزوج، فلا بأس بخروجها للعمل، وسيضاف جهدها إلى حصيلة أمتها من عمل الأفراد العام، وهناك كثير من

المهن يفضل فيها النساء على الرجال مثل تطبيب النساء النساء وتعليم الأطفال فى المراحل المبكرة من العمر، وهكذا هناك خروج للضرورة الخاصة، وهناك خروج للضرورة العامة، فالضرورة الخاصة: حاجة المرأة نفسها للعمل والارتزاق، والضرورة العامة: حاجة المجتمع المسلم لعمل المرأة وتقديم ما عندهما من علم وخدمة وخبرة لهذا المجتمع.

وفى هذا يقول الشيخ: إن للمرأة أن تخرج للصلوات الجامعة خمس مرات فى اليوم، ولها أن تخرج إلى حوائجها فى الإسواق والمحال التجارية، ولها أن تخرج مع الجيش، إذا كانت لديها مهارة عسكرية أو طبية أو هندسية، والعصر الذى نقتدى به أو نقتبس منه هو عصر النبوة فهو خير القرون يقينا، أما عصور الانحراف أو الجهالة فلا يقاس عليها، ولا يتأسى بها..

كتب الزعيم السلفى عبد الحميد بن باديس[1] عن"الربيع بنات معوذ"فقال إنها حضرت بيعة الرضوان وكانت ممن يغزون مع النبى ﷺ، مع نساء أخريات، يخدمن الجيش، ويسقين الماء، ويداوين الجرحى، ويحملنهم إلى المدينة..

ثم قال ابن باديس بعد ما شرح موقف الدين من المرأة، إنه لابد من مراعاة ما يفرضه عليهن الإسلام من تصون، وعدم تبرج، وعدم اختلاط، ولن تكتمل حياة الأمة إلا بشطريها، الذكر والأنثى، وكشف الرجل عن قيمة ما رواه الطبرانى عن عائشة مرفوعا- فى شأن النساء-"لاتنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل، وسورة النور[2]

وقد أعلنا نحن أسانا من أن هذا الحديث الموضوع يحكم المجتمع الإسلامى من قرون، أما السنن المتواترة والصحيحة والحسنة، فقد تم تجميدها بطريقة غريبة، وبذلك يتدحرجون إلى العالم الثالث، ويتزاحمون فى ذيل القافلة البشرية، لفقدان التربية الصحيحة، ولا تربية مع جهالة المرأة، وعزلها عن العلم والعبادة ودعوات الخير وشئون المسلمين.

---

[1] الشيخ / عبد الحميد بن باديس راند الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة(1306هـ/ 1359هـ)(1889م/1940م)

[2] هذا الحديث موضوع – أنظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكان ص 114 حيث يقول:(رواه الخطيب عن عائشة رضى الله تعالى عنها – مرفوعا – وفي أسناده محمد بن إبراهيم الشافعى كان يضع الحديث.

ملاحظة: يأتى القرطبى هذا الحديث في الجامع لأحكام القرآن صدر سورة النور، ويتركه بدون تعليق ليوهم من يقرأ أن الحديث صحيح، أى أن هذا النهج لا يقتصر على القرطبى وحده يتغياه بعض المفسرين، ويؤدى هذا إلى خلط كثير وى عقول السلمين. الؤلف.

1980 أنظر له ايلامع لاحكام القرآن ٨/١٢ ه ١ طر دار احياء التراث العربى 1985

وأنظر أيضا تتريه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة بزيادة(وعلموهن الغزل)2/ 209

وإيضاح أخير: أن الرجل قد يقول عن نفسه: أنا لا أذهب إلى المقاهي والاندية، حياتى بين عملى و بيتى، ان دلالة هذا القول معروفة، وهى لاتعنى أبدا أنه لا يذهب إلى المساجد، أم لا يتردد على الأسواق، كذلك الأمر بقرار المرأة فى البيت، أنه

لفت إلى وظيفتها العتيدة، من حيث هى ربة بيت وقيمة على الأسرة، ولا يعنى ذلك أبدا أنها سجينة لا تخرج إلا إلى القبر.. أو الزوج..[1] ويقول: فالمسجد والشارع وأرجاء المجتمع يوجد فها الجنسان تحكمهما هذه الأداب، عدم التبرج والاثارة، غض البصر والتزام العفة، انشغال كل مسلم ومسلمة بالأغراض المشروعة التى خرج من أجلها.

وقد تواتر ذلك فى حياة السلف الأول فوجدت المرأة فى المساجد، بل تبعت الجيوش المقاتلة، يحيط بها سياج من آداب الإسلام المقررة،

وأعرف أن هناك آثارا واهية نبذها أصحاب الدقة العلمية فى تمحيصى المرويات، و لم يذكرها عالم بيروى الصحاح، ولا احترمها فقيه ينقل حقائق الإسلام، مثل ما روى عن فاطمة"إن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل".

ومثل حديث منع الرسول بعض نسائه"أن يرين عبد الله بن أم مكتوم"[2] وتلك كلها أخبار لا تساوى الحبر الذى كتبت به، وهى ظاهرة التناقض مع مقررات الكتاب والسنة المقطوع بثبوتها ودلالتها.

ولكن هذه الروايات المنكرة من الناحية العلمية، هى التى صنعت الفكر الإسلامى فى العصور الأخيرة وفرضت الأمية والتخلف لا على المرأة وحدها، بل على نظام الأسرة وكيان المجتمع، وطبيعة التشريع..

أن هناك عقولا معتلة تتعشق الأثار المعتلة، وتبنى عليها ما تهوى من أحكام، والإسلام النقى برى من هذه الانحرافات. أننا فى عصر شاركت المرأة الرجل غزو الفضاء، فلا يجوز أن تترك القاصرين يثيرون على ديننا التهم، وينقلون إلى الناس مافى نفوسهم من علل[3].

و يقول: المرأة عندنا ليس لها دور تقافى ولا سياسى، ولا داخلى لها فى برامج التربية، والا نظم المجتمع، و لا مكان لها فى صحون المساجد، ولاميادين الجهاد.

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: الحق المرخصى ٦٠، 61 ط٢ دارالحيل بيروت ١٩٨٧

[2] أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب قوله تعالى(وقال للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)4 /63، 64ط المكتبة المصرية بيروت

[3] الشيخ محمد الغزال: الق المر ص١١٨، ١١٩ طر دارالشروق ١٩٨٩

ذكر أسمها عيب، ورؤية وجهها حرام، وصوتها عورة، وظيفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والفراش. المرأة اليهودية تشارك مدنيا وعسكريا فى قيام إسرائيل، وهاهى توشك أن تكون ملكة فى البيت الأبيض تضع المسات الأخيرة فى الإجهاز علينا ولا يزال نفر من أدعياء التدين يجادلون فى حق المرأة أن تذهب إلى المسجد تحضر الجماعات، أننا نموت قبل أن يحكم علينا غيرنا بالموت، فهل نعى ونرشد[1]؟

ويقول: والإسلام لم يمنع المراة من الجهاد، إذا قدرت عليه، وأوجبه عليها وعلى الرجال جميعا عند الدفاع عن دار الإسلام.

إن شخصية المرأة ولدت مع مجى الرسالة الإسلامية..

جاء فى دفاع الشيخ عن حق المرأة فى العمل، أن المرأة اليهودية تتشارك مدنيا وعسكريا فى قيام إسرائيل، والحقيقة أن الصراع الحضارى بين الإسلام وأعداء الإسلام، يحتاج إلى جهد كل إنسان مسلم رجلا كان أو امرأة، والجدل الدائر حول المرأة يدل دلالة واسعة على المناخ السائد فى الفكر الإسلامى فى العصر الحديث فالمرأة عملت فى القرآن الكريم وفى أصعب الظروف التى يستحيل معها العمل، وكان العمل شرطا لإنقاذ حياتها، فها هى مريم عليها السلام وهى تعالج المخاض- فى ظروف قاسية- تحتاج إلى الطعام فيأمرها من تحتها بهز النخلة من جذعها لكى تنزل عليها الرطب، قال تعالى(وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[2] وكان من الممكن أن تسقط هذه الرطب من غير جهد يذكر، ومع هذا طلب من مريم بذل الجهد للحصول

على الرزق وهذا ليس أبلغ دليل على عمل المرأة فحسب، بل على وجوبه فى بعض الأحيان.

ووجد نبى الله تعالى موسى عليه السلام إمرأتين(.. تذودان قال ما خطبكما قالت لا نسيقى حتى يصدر الرعاع وأبونا شيخ كبير)[3] امرأتان تمارسان العمل وقد ساعدهما نبى الله تعالى موسى عليه السلام فى عملهما وعمل المرأة فى السنة الشريفة متواترة ولا ينكره أحد خاصة فى خير القرون قرن النبى ﷺ.

---

[1] الشيخ الغزالى: قضايا المراة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص٢٢

[2] سورة مريم: ٢٥

[3] جزء من الاية ٢٣ سورة القصص

وقد ساق الشيخ- فى دفاعه عن عمل المرأة- فكرة جديدة و جريئة فى نفس الوقت، وهى اعتبار القرار فى البيت التزاما بالواجب الأول للمرأة- رعاية الأسرة- وليس سجنا لا يعنى الخروج نهائيا، والمعنى فى القرآن الكريم(و قرن فارسى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى..[1])

وحكى الإمام القرطبى مذهبين عن النحاس، أحدهما ما حكاه الكسائى بمعنى البقاء فى المنزل والاخرين عن على بن سلمان:(وهو من قررت به عينيا أقر، والمعنى: وأقررن به عينا فى بيوتكن قال وهو وجه حسين)[2]، بمعنى أن تعيش في حالة من الرضا، وعلى هذا يكون رأى الشيخ فى القرار بمعنى الالتزام بواجبات الأسرة، وأن هذا لا يمنع الخروج للعمل والعبادة، رايا صحيحاله وجاهته من هذه الزاولة على قول على بن سلمان. ويرى الاستاذ سيد قطب آن(قرن فى بيوتكن)من وقر يقر: أى تقل واستقر، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقا، إنما هى إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن)[3].

إلا أن الأستاذ سيد قطب يتشدد فى خروج المرأة للعمل ولا بيبيحه الاللضرورة القصويى و كتب فى ذللث كلاما طيبا يمكن الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة.

إلا أن بيت القصيد فى كلامه: أنه لا يجعل(قرن)بمعنى ملازمة البيوت وهو يتفق مع الشيخ الغزالى فى الدلالة اللفظية لكلمة(قرن)ويختلف معه فى التفريع عليها. وبهذا يتضح أن الشيخ الغزالى يجعل حق العمل حقا ثابتا للمرأة فى حالة الضرورة الخاصة أو العامة على السواء.

حق المرأة في الخروج من البيت للعبادة وغيره أم لا الحاجات المشروعة:

يهتم الشيخ بقضية خروج المرأة من بيتها لحاجتها الشرعية اهتماما شديدا، وهذه الفكرة تلح عليه فى كثير من كتبه لأنه يعتبر مساهمة المرأة فى البناء العلمى والحضارى للأمة الإسلامية مساهمة مطلوبة تفرضها الحاجة وتحتمها الظروف، لكنه يضع بعض القيود بحيث يجعل هذا الخروج فى خدمة الدين والدنيا للمسلمين، ومن خلال التحشم ومراعاة الأداب الإسلامية لأقصى درجة ممكنة، ومن هنا يفهم موقف الشيخ من خروج المرأة أنه خروج للاسلام، وليس

---

[1] سورة الأحزاب:33

[2] الإمام القرطبى: الجامع لأحكام القرآن 14 / 179 ط دار أحياء التراث العربي ١٩٦٤ م.

[3] ظلال القرآن ٥/٦ه ٢٨ طدار الشروقى

خروجا عليه، وفى السطور التالية سوف تتجسد فكرة خروج المرأة عند الشيخ والضوابط التى وضعها لهذا الخروج.

يقول:(ومن ثم كانت الجماعة من معالم الدين، وبعض الفقهاء يرى الجماعة فرضا للصلوات الخمس ولا يسقطه إلا عذر صحيح، ولكن الذى عليه الجمهور أن الجماعة سد سنة مؤكدة..

فهل هى سنة مؤكدة للرجال والنساء على السواء؟ كذلاه. يقول الظاهرية، ولكن الأمر يحتاج إلى تأمل.

فقد صح فى السنة أن المرأة راعية فى بيتها وهى مسئولة عن رعيتها[1]

ولا ريب أن شئون الأولاد خصوصا الرضع، وإعداد البيت لاستقبال الرجل العائد من عمله، كل ذلك يحول دون انتظام المرأة فى الجماعات الخمس، ولذلك نرى أن حضور الجماعات مطلوب منها بعد أن تفرغ من وظائف بيتها، فإذا قامت بما عليها فلا يجوز لرجلها أن يمنعها من الذهاب إلى المسجد وقد جاء فى الحديث(لا تمنعوا أماء الله مساجد الله). ونحن موقنون بأن النبى ﷺ جعل أحد أبواب المسجد خاصا بالنساء، وأنه أقامهن فى الصفوف المؤخرة من المسجد- وذلك أصون لهن فى الركوع والسجود- وأنه زجر الرجال الذين يقتربون من صفوفهن كما زجر النساء اللائى يتقدمن قريبا من صفوف الرجال وقد بقيت صفوف النساء فى المسجد طيلة العهد النبوى، وأيام الخلافة الراشدة، لم يشغب عليها شاغب، تبدأ مع الفجر وتنتهى عند العشاء، وربما قامت للنساء جماعات حاشدة لصلاة التراويح فى رمضان، ومعروف أن اشتراكهن فى صلاة العيد وسماع الخطبة من شعائر الإسلام.

بيد أن الازدهار الذى أحدثه الإسلام فى عالم المرأة أخذ يتعرض للذبول والتلاشى، فوضع حديث يمنع تعليم النساء الكتابة، كى يبقين على أميتهن الأولى.

لحساب من تعود هذه الجاهلية؟ وعندما يفرض على نصف الأمة الجهل والعمى، فكيف تنشأ الأجيال المقبلة؟ ثم شاع حديث آخر يأبى على النساء حضور الجماعات كلها، بل طلب من المرأة إذا أرادت الصلاة فى بيتها أن

---

[1] صحيح البخارى 1/1 لك الجمعة وأول الحديث(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)

تختار المكان الموحش المعزول، فصلاتها فى سرداب أفضل من صلاتها فى الغرفة، وصلاتها فى الظلمة أفضل من صلاتها فى الضوء.

وراوى هذا الحديث يطوح وراء ظهره بالسنن العملية المتواترة عن صاحب الرسالة، وينظر إلى المرأة المصلية وكأنها أذى يجب حصره فى أضيق نطاق وأبعده، ولنقرأ هذا الحديث الغريب كما ذكره ابن خزيمة وغيره:(عن أم حميد امرأة حميد الساعدى أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنى أحب الصلاة معاك، قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معى، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك، و صلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى)[1] قال الراوى فأمر فبنى لها مسجد فى أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلسياسى فيه حتى لقيت الله عز وجل.

والبيت فى الحديث هو غرفة النوم، والحجرة غرفة الجلوس، والصلاة فى الأولى أفضل من الصلاة فى الأخرى، وكلما ضاق المكان واستوحش كانت الصلاة فيه أفضل، ويجعل ابن خزيمة عنوان الباب الذى ذكر فيه هذه القضايا صلاة المرأة فى بيتها افضل من صلاتها فى مسجد رسول الله، و آن قول النبى عليه الصلاة والسلام"صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد"إنما أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء.[2]

والسؤال الملح: إذا كان هذا الكلام صحيحا، فلماذا ترك النبى النساء يشهدن معه الصلاة طوال عشر سنين من الفجر إلى العشاء ولماذا خص أحد أبواب المسجد لدخولهن؟ ولماذا لم ينصحهن بالبقاء فى البيوت، ولماذا قصر صلاة الفجر على سورتين صغيرتين عندما سمع بكاء رضيع مع أمه حتى لا ينشغل قلبها؟، ولماذا قال"لا تمنعوا أماء الله مساجد الله"ولماذا استبقت الخلافة الراشدة صفوف النساء فى المساجد بعد وفاة الرسول الكريم؟.. ولم يجى فى أحد الصحيحين ما يفيد منع النساء من الصلاة فى المساجد.. وقد أتت على المسلمين عصور ماتت فيها السنة الصحيحة، ولا تزال هذه الماساة باقية تتعصب لها بيئات لا تعرف إلا المرويات المتروكة والمنكرة.

---

[1] – الحديث أخرجه ابن خزيمة عن أم حميد. وفي نفس السياق روى الإمام أبو داود بسنده عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاته في حجرمًا وصلاقا في مخدعها أفضل من صلاقا في بيتها، أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب التشديد في ذلك 1/1 ه 1 ط المكتبة العصرية بيروت زوربما عالج هذا الحديث جانبا آخر من صلاة المرأة في حالة خوف الفتنة ولا علاقة له بصلاة الجماعة لأن صلاة الجماعة تضمن العفاف للمرأة.

[2] الحديث اخرجه احمد بن حنبل فى مسنده 1/ 284، 2/ 528، 3 / 343 ط دار صادر بيروت

ولا يقبل زاجر المرأة عن حضور الجماعات إلا إذا كانت متبرجة، فإن الذهاب للمساجد ليس استعراضا للزينات، وبعثرة للفتن، أنه سعى لمرضاة الله تعالى، وغرس للتقوى، وحجز النساء عن هذا الشر هو يتنفيذ وصية رسول الله ﷺ"يخرجن تفلات[1] أى فى ملابس عادية وهيئة طبيعية لا تعطر ولا تبخر.. أما إصدار حكم عام بتحريم المساجد على النساء فهو مسالك لا صلة له بالإسلام.[2]

فى نهاية الفقرة السابقة يتضح منهج الشيخ فى دعوته لخروج النساء للمساجد و للحاجات الشرعية ومنها العمل وكسب الرزق فى بعض الأحيان، ويتبط بح هذا من تعليقه على الخروج بحديث(يخرجن تفلات)ويتبع الحديث بقوله: أى فى ملابس عادية وهيئة طبيعية لا تعطر ولا تبخر، ويقوا: يجلب منع النساء عن المساجد فى حالة الخروج ـــــــــ، لأن الذهاب للمساجد ليس أستعراضا للزينات، وبعثرة الفترن.

وخلاصة منهجه أنه مع الخروج المتسق مع شارع الله تعالى، وضد الخروج على شرع الله تعالى، وسنة رسوله الله عليه وسلم.

يضيف الشيخ إلى ارائه السابقة بعض الصدور التي ويحسبها القارئ تكرارا لما سبق، ولكنه نوع من تحديد الملامع داخل الصورة المعروضة لمزيد من الإيضاح والتحديد فيقول:(منذ افتتاح المسجد النبوى بعد الهجرة إلى أن لحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى، والنساء يصلين فيه، والباب المخصص لهن لم يغلق قط، أى أنهن أدير فيه، بين سبعة عشر ألف ثمانية عشر ألف صلاة وهذا من المتواتر المستيقن.. وقال بعضهم: لقد روى عن عائشة أم المؤمنين(لو رأى رسول الله

ﷺ- ما أحدث النساء بعده لمنعهن كما منعت نساء بنى إسرائيل)[3]

إن عمر بن الخطاب أمر سلمان بن أبى حثمة ان يؤم

النساء فى مؤخرة المسجد فى شهر رمضان، وكان على رضى الله عنه يأمر النساء بالقيسام فى رمضان فيجعل للرجال إماما وللنساء إماما. قال: عجرفة – الرؤى فأمرنى فأممت النساء.

---

[1] الديث آخرجه ابو داود في كتاب الصلاة باب ما جاء في حروج النساء إلى المساجد 1 / 155

[2] الشيخ محمد الغزالى: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 11 - 14 ط دار الشروق ١٩٨٩ م

[3] الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب التشديد في ذلك ا/ه ه 1، 6 ه 1 ط المكتبة العصرية. بيروت.

وروى الزهرى: أن عاتكاسة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب، كانت تشهد الصلاة فى المسجد، وكان عمر يقول لها: والله أنك لتعلمين أنى ما أحب هذا، فقالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني، قال عمر: فإنى لا أنهاك، فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفى المسجد.

أما ما روى عن عائشة من رفض صلاة النساء فى المسجد، فهو يفتح بابا لإلغاء شعائر الإسلام، ومن الممكن أن يقول أى إنسان: لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجره اقامة الحدود من تهم للإسلام لألغى الحدود.

إن هذا القول يعنى أن بعض أحكام الإسلام موقوت، يبقى لظروف خاصة، فإذا انتهت الظروف ألغيت، والظروف الجديدة الطارئة لا يعلمها صاحب الرسالة فى حياته ولذلك لم يحدث لها تشريعا..

وهذا التفكير باطل كله لأن الله تعالى يعلم ما كان ويكون، وقد أذن للنساء بالصلاة فى الجماعات، وأمرهن بالذهاب للمسجد محتشمات قانتات عابدات. ومن خرجت على حدود الأدب، ومطالب الحياء منعت من دخول المسجد، وكان ذلك عقابا لها.. أما الحكم على جميع النساء بعدم الصلاة فى المساجد لأن إحداهن قد تكون متبرجة فهذا تعميم مرفوض.. والغريب أن النساء من عن المسجد وحده، أما غشيان الأسواق والانطلاق فى الشوارع، فلا حرج فيه.

أن تحريم المساجد على النساء كما تفعل شعوب إسلامية كثيرة(وقف)وراء الانهيار الخلقى، وفقدان التربية الذى أودى في هذه الحياة.[1]

ويقول: لو قام فى هذا العصدر مجتمع إسلامى واضح المعالم، فى بيان مكانه المرأة، وميدان عملها، ومجال نشاطها لاختفى من الدنيا فساد كبير. إن أصحاب الطباع السليمة يكرلا ان الاختلاط المسعور والتكشف الفاضح هناك، واستخفاء جو الأسرة، وانطلاق الغرائز دون ضابط وهم يتطلعون إلى بديل أفضل فلا يجدون.

والغلاة- من المسلمين- يخفون عن عمد وسوء قصد أن المسلمات كن يصلين فى المسجد الصلوات الخمس من الفجر إلى العشا، وكن يشاركن فى معارك النصر والهزيمة، وكان يشهدن البيعات الكبرى، وكان يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، كانت المرأة إنسانا مكتمل الحقوق المادية والأدبية، وليست نفاية اجتماعية كما يفهم أولئك المتطرفون الجاهلون.

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافده ص 196، 197

ويقول الأستاذ أحمد موسى سالم:"الشرع فى حكمة الخالق وعدله هو نصير المرأة ومنصفها ومائحها كل الحقوق التى تقررات الرجل، والتى تكفل حرية ارادتها فى علاقتها به وتعاملها معه، وهذا المعنى يوكده قاسم آمين فى كتابه تحرير المرأة حين يقول[1]:(سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى فى مساواة المرأة بالرجل، فأعلن الإسلام حريتها واستقلالها يوم كانت فى حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان، وأعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل فى جميع الأحوال المدنية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها، وهذه المزايا لم تصل إليها حتى الآن بعض النساء الغربيات).

إن حاجة العالم إلى الإسلام ملحة، بيد أن أناسا من ذوى الجهالة والجراءة لا يعلمون ويكرهون من يعلم، ولا يعملون ويكرهون من يعمل، وقفوا فى هذا العصر سدا أمام تيار الإسلام، يعكرون صفوه، ويمنعون ورده، ويصدون الأمم عنه.[2]

ويقول: كلما رجعت إلى السيرة النبوية ازددت معرفة بما كان للمرأة من مكانة وبما كفله الإسلام لها من حقوق، لقد كانت لها شخصية مقدوره وأثر يحسب. يقول المحدثون: لما نزل قول الله لنبيه(وأنذر عشيرتك الأقربين)صعد رسول الله ﷺ الجبل ونادى:"يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من

الله، يا صفية عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله، فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئا سلانى من مالى ماشئتما[3].

إن نداء المرأة بهذا الصوت الجهير شى مستنكر فى عصرنا الأخير، كنا نعد اسمها كشخصها عورة لا يجوز أن يعرف..

لكن المرأة فى صدر الإسلام عرفت قدرها، ولما سمعت مناديا يدعو إلى الإيمان سارعت إلى تلبيته.

---

[1] وفي النفس شى من استشهاد الشيخ بكتاب تحرير المرأة لقاسم أمين لأن الأخير ينشد حرية للمرأة قد تتجاوز ما يسمح به الشرع أو ما يرجوه الشيخ الغزالى نفسه. المؤلف

[2] قضايا الرأة ص ٣٠، ٣١.

[3] الحديث. أخرجه الترمذى في كتاب الزهد باب ما جاء في إنذار النبى صلى الله عله وسلم قومه 554/4، 555 ط مصطفى الحلى.

ويحكى المؤرخون: أن أخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام لقد أدمى وجهها عندما علم بإسلامها وهاجمها بقسوة، فقالت له: يا عمر ان الحق فى غير دينك، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم أسلم عمر بعدها.

ودخل النساء والرجال فى دين الله، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به، وانتظمت الصفوف فى المسجد النبوى تستوعب الرجال والنساء على سواء.

روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت:"ما أخذت(ق. والقرآن المجيد)إلا من لسان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر فى كل جمعة[1] أى أنها حفظت السورة كلها عن ظهر قلب من شدة انتباهها وهى تسمع الخطبة.

وروى البخارى عن سهل بن سعد قبال: كانت منا امرآة تجعل فى مزرعة لها"سلقا"فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله فى قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقية(مرقة)قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة الطعامنا ذلك، ولم يكن فى الطعام لحم ولا دهن"[2]

هذه امرأة مؤمنة سمحة تدخل السرور على الناس بما آتاها الله من فضله، ولو فعلت ذلك فى عصرنا لأنكر المتزمتون عليها، ولقال كل جرى على الفتوى، كيف يلقى عليها السلام؟ وكيف ترده؟ وكيف تلقى الضيوف"أن تقاليد المسلمين فى معاملة النساء لا تستند إلى كتاب اوسنة[3]

ويقول: ولست مع ابن حزم فى أن النساء والرجال جميعا سواء في سنة الجماعة، والذى أراه أن المرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، فإذا أحتاج الرجل أو الأولاد إلى إعداد طعام أو تهيئة راحة ظلت المرأة فى بيتها، ولم يجز لها ال غالب إلى المسجد، وترك البيت مهملا ضائعا، ولها ثوانب الجماعة التي تخلفت عنها لعذر شرعى، أما إذا قامت

---

[1] الحديث رواه مسلم في كتاب الجمعة ٢/١٢ ط دار الفكر – بدون.

[2] الحديث أخرجه البخارى في كتاب الجمعة باب فإذا قضيت الصلاة.

[3] قضايا المرأة ص 56، 57

بأمانات البيت كلها فلها أن تلحق بالمسجد، وتشارك فى الجماعة، وليس الرجل أن يمنعها، كما جاء فى الحديث:(لا تمنعوا إماء الله مساجد الله).[1]

قبل التعليق على خروج المرأة إلى الحاجات الشرعية ومنها المسدساجد، نقف على أراء بعض العلمساء لحساسية هذا الموضوع.

المغنى: لا يعترض على صلاة الجماعة فى المساجد للنساء ولكنه يتحدث عن تنظيمها:

"إذا كان مع الإمام رجال ونساء، فالمستحب أن يثبت هو والرجال بقدر ما يرى أنهن انصرفن ويقمن هن عقيب تسليمه قالت أم سلمة:

ان النساء فى عهد رسول الله ﷺ كن إذا سلم من المكتوبة قمنا، وثبت رسول الله ﷺ ومن ثبت من الرجال قال الزهرى فترى والله أعلم، لكى يبعد من ينصرف من النساء[2] ولأن الإخلال بذلك من احدهما، يفضى إلى اختلاط الرجال بالنساء فإن لم يكن معه نساء فى يستحب له إطالة الجلوس[3]

عمل الزوجة خارج المنزل:

يوافق د/أحمد حمد على عمل المرأة خارج المنزل ويقول:

والاتفاق بين الزوجين على أن تعمل الزوجة خارج البيت، يسقط حق الزوج فى استقرار زوجته فى البيت، أما إذا كان عملها خارج البيت بدون اذن من زوجها فقد اتجه الفقهاء الى القول بإسقاط نفقتها"[4] الإجماع على خروج النساء للمساجد.

ويتضح مما تقدم من نصوص السنة الصحيحة وأقوال الفقهاء أن للنساء الحضور إلى المساجد لصلاة الجماعة، من اعتزالهن صفوف الرجال، ويكن متأخرات عنهم، ولهن الخروج لطلب العلم الضرورى لأمور دينهن.

كما يتضح أن أحدا من الفقهاء لم يقل بنسج تلك الأحاديث(التى تسمح للنساء بالخروج إلى المساجد، وغيرها مما ورد فى كتب السنة والسيرة، ومن قال بكراهة حضورهن إلى المساجد، مردود عليه بوجوب أداء فريضة الحج على من استطاعت منهن، وبإجماع الفقهاء على من أدت منهن صلاة الجمعة فى المسجد، أجزأتها عن صلاة الظهر ولو كان حضورها إلى المسجد محرما

---

[1] المصدر السابق 125

[2] رواه البخارى في كتاب الآذان باب انتظار الناس قيام الإمام ٢/٢٤٩ وأخرج عن أم سلمة قالت: كان رسو الله صلى الله عليه وسلم إذا قام النساء حين يقضى تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيرا قبل أن يقوم. آخرجه البخارى وى كتاب الاذان باب صلاة النساء خلفى الرجال ٢/٢ ه ٣

[3] ابن اقدامه القدسى: الغين ٩٠/١ ه طر عالم الكتاب"بدون.

[4] د/ احمد جيد: الاسرة ص ٢١٣ط دار الكتب الامعية طر ١٩٨٩/٢

لبطلت صلاتها الجمعة، ولم ينقل لك عن أحد ممن يعتد به من الفقهاء، بل ولا عن الصدر الأول فى الإسلام.

هذا: ولا ينبغى أن يذهب أحد من المسلمين إلى القول بنسخ أحكام ثابتة عن رسول الله ﷺ فى كتاب الصحاح من السنة، إذ من يقول بهذا يعتبر كاذبا على رسول الله ﷺ وفى دين الله تعالى.

وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:(من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[1]

ومع القول بإجازة صلاة النساء الجماعة فى المساجد متأخرات صفوفهن عن الرجال، ينبغى أن يفرد لهن باب للدخول و الخروج[2]

ويرى الدكتور/ يوسف القرضاوى أن"صلاة التراويح بالنسبة للمرأة والرجل جميعا، ويجوز أن تؤدى فى البيست، ويجوز أن تؤدى فى المسجد إلا أن صلاة المرأة فى بيتها - بصفة عامة – أفضل.

ولكن إذا كانت المرأة تستفيد فى المسجد درسا علمياً أوتسمع موعظة تنتفع بها فى دينها، صلاتها فى المسجد أفضل لها، فإن طلب العلم والتفقة فى الدين فرض عليها.

والحقيقة أنى أرى النساء فى هذه الايام محروماتمن التوجيهات الدينية النافعة. والدروس التى تفقهها فى دينها وتعرفها حق رابها وواجب طاعته، وعبادته والاستقامة على نهجه، كما تعرفها حق زوجها، وحق أولادها.[3]

التعليق:

بعد استطلاع آراء بعض العلماء قدامى ومحدثين، يتضح بجلاء أن الشيخ محمد الغزالى فى دفاعه عن خروج المرأة لتشهد الجماعة فى المساجد، وخروجها لحاجاتها الشرعية لم يكن مبتدعا، بل كان مرتكزا على أصل أصيل فى الإسلام.

ويلفت النظر أن الشيخ لثقته من عدالة القضية التى يدافع عنها، لم يلجأ إلى إيراد كثير من النصوص التى تعضد موقفه، وتويده و استعمل نصوصا قليلة ما فتى يكررها فى كلى كتاب من كتبه يتناول فيه قضية المرأة وخروجها للمساجد

---

[1] مسلم و كتاب الزهد باب التثبيت فى الحديث 4 / ٢٢٩٨،٢٢٩٩ رقم ٧٢ واحر جهاى مايحة فى المقدمة باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ 1 / 13.

[2] الشيخ جحاد القى شيخ الازهر: عوت و فتاوى ٣٧٣/١: ه ٣٧ ط دارالتعاون ١٩٩٢ م.

[3] د/ يوسفى القرضاوى: فتاوى معاصرة ٣٣٨/١ طر دارالقلم بالكويت 1996

وللحاجات الشرعية، مثل زيارة الوالد والوالدة، والقيام بالعمل وتحصيل العلم، إذا دعت الضرورة لذلك.

ولكى يصل إلى حل لهذه المعضلة(خروج المرأة)اتجه لحل معضلات أخرى تقف فى طريق هذا الخروج مثل: كشف وجه المرأة وصوت المرأة، وهل كشف وجه المرأة وكفيها حلال أم حرام؟ كذلك صوت المرأة هل هو عورة أم ليس كذلك؟

(الفصل الثاني)

حق المرأة فى المساواة بالرجل

لك حق، وأحيانا تدخل ضمن قضايا التبشير، ويراد بها إفساد تست الاجتماعى فى بلاد المسلمين.

والشيخ حين يتصدى لهذه القضية يقصد من وراء ذلك القاع عن الإسلام فى مواجهة الخصوم، ورفع الظلم عن المرأة التي لا تجد المساواة بحجة أنها امرأة وهذه هى القضية التى اما الشيخ ضمن قضايا المرأة العديدة.

يقول الشيخ:"هل صحيح أن الدين جعل المرأة أقل رتبة سرل مكانة من الرجالى؟

إن الذين يذهبون إلى هذا الزعم يستشهدون عليه بأن الإسلاح جعل نصيب الرجل فى الميراث ضعف نصيب المرأة، كما جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل والحق أن فى هذا الاستشهاد مغالطة فإن الإسلام لو لم يجعل نصيب المرأة فى كرات نصف نصيب الرجل لاختل ميزان المساواة والأصبحت كة المرأة المادية أرجح.

ذلك أن الرجل مكلف فى الإسلام بالإنفاق على المرأة، ويسوق المهر لها إن أراد الزوج، ومعنى هذا أن ماله سوف

يستهلك فى الواجبات التى كلف بها على حين يجمد مال المرأة فلا ينقص، فلا أقل من استدراك هذا الحال بزيادة نصيبه فى الأرث.

فهذه الزيادة ليست تفضيلا أدبيا، وإنما هى تعويض مبادى بحيت.. أما مسائل الشهادات فإن شهادة المرأة تعتبر نصابا فيما هو من شئون النساء. أما فى الأمور الاجتماعية، وشئون المعاملات العامة فالذى لا شك فيه أن الإسلام يجعل وظيفة المرأة أكثرها فى البيت، وأقلها فى ميدان الحياة الصاخبة.. ومن ثم فهو بهذا الإجراء يريد صرفها إلى ما خلقت له، وإلى ما يناسب خصائصها العتيدة، من أمومة وتربية، ورعاية لجانب خطير فى المجتمع الإنسانى، وجانب لا يصلح غيرها له.. أما المرأة والرجل بعد ذلك فهما صنوان فى المساواة[1] استجاب لهم ربهم آنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو آنتى بعضكم بعض.[2]

جادله شخص وقال له: الله تعالى يقول(وليس الذكسر كالأنثى)فقال له الشيخ:(الآية التى ذكرتها بقية كلام لامرأة عمران التى كانت حاملا فنذرت مافى بطنها سادنا للمسجد، وكانت تنتظره رجلا، والرجل أقدر على إمامة الناس وإقامة الشعائر من المرأة فلما جاء المولود أنثى هى مريم الصديقة، اعتذرت إلى الله تعالى عن الوفاء بنذرها قائلة(رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)ولكن الرجل قال له: الذكورة على كل حال أشرف من الأنوثة، فقال له الشيخ ؛ تعنى أنك أفضل من مريم لأنك رجل وهى أمرأة؟ أن امرأة فرعون ارجح فى ميزان التقوى منك، وإن كنت رجلا، وكانت هى زوجة جبار من الدعاة إلى النار.

---

[1] الشيخ محمد الغزال: هذا ديننا ص 44،،، ط دار الشروق ١٩٨٧ في ط دار الكتب الإسلامية ص. 4: 41.

[2] سورة آل عمران: ه ١٩.

ويقول بعد أن شرح موقف الحضارة الغربية من المرأة وأنها تجعلها للمتعة فقط سواء عند اليونان أو الرومان أو فى الحضارة الأوروبية التى تسيطر على العالم الآن:(إن الذى يتدبر القرآن الكريم يحس المساواة العامة بين الذكور والإناث، وأنه إذا أعطى الرجل حقا فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش.[1]

تحت عنوان قضية المرأة عندنا وعندهم يقول الشيخ فى الكتاب الضخم الدارس لخطط التنصير بين شعوب المسلمين، نقرأ بابا خاصا بالمرأة، كتبه المؤلفون واهمين أن قضية المرأة ثغرة فى تعاليم الإسلام، يمكن النفاذ منها...

على أننا قبل الشروع فى رد الشبهات، نريد أن نسأل: ما موقف النصرانية من قضية المرأة؟ ونترك الإجابة للكتاب المقدس الذى يشرح علاقة حواء بالخطية الأولى:(فقال الرب الاله المرأة: ما هذا الذى فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتنى فأكلت.. فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية

وقال للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك[2]

تورد التوراة لعنة أدام بسبب امرأته وإنها ستجازى بحبسه لها وتسلطه عليها. ويؤكد القرآن الكريم أن المرأة بريئه، وأن آدم هو الذى نسى وضعف وأضاع الأمر الألهى، بعد الأكل من الهجرة.

ويؤكد القرآن الكريم أيضا أنه لا حبدر ولا تسلط، بل قوامة من الرجل على بيته الذى تتبادل فيه الحقوق والواجبات[3](ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)[4]

ويقول:(فى سيرة الرسول ﷺ- رأينا عجبا يوم حنين، لقد انهزم الطلقاء، وأسلمواسيقانهم للريح، وثبت مع المؤمنين الراسخين بضعة نسوة، قاتلن بشرف

---

[1] الغزالى: الحق المر، ص ١٢٩، ١٢٧ ط دار الشروقى ١٩٨٩ بتصرف.

[2] التوراة العمرانية: سفر التكوين ص 7 ط دار الكتاب المقدس وفي السامرية ص ٢٨ ط دار الأنصار مع اختلاف في اللفظ إذ يقول: وإلى رجلك عودتك وهو المسئول عليك.

[3] الشيخ محمد الغزالى: صيحة تحذير من دعاة التنصير ص ١٢٩، ١٢٧ ط دار الصحوة ١٩٩١ بتصرق.

[4] - سورة البقرة: ٢٣٨.

وبسالة، ودافعين عن نبيهن أشرف دفاع.. ورأهن النبى ﷺ وهن كالأساد حوله. واقترحت أم سليم- بعد انتهاء المعركة- أن يقتل الرسول الفارين ولكن الرسول عفا.

قال المقريزى يصف قتال النساء فى معركة حنين: وكانت أم عمارة فى يدها سيف صارم، وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها، وهى يومئذ حامل بعبد الله بن أبى طلحة، وكانت أم سليم وأم الحارث حين انهزم الناس تقاتلان، وأم عمارة تصيح بالأنصار:

آى عادة هذه... مالكم وللفرار، و شدت على رجل من هوزان فقتلته وأخذت سيفه[1]

وقال رسول الله ﷺ الهند زوجة عمرو بن الجموح"أن منكم معشر الأنصار من لو أقسم على الله لابره"

ثم مكث رسول الله ﷺ حتى قبر الشهداء ثم قال: يا هند قد ترافقوا فى الجنة – زوجها وأبنها وأخوها- قالت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى معهم[2]

ويقول عن المساواة:(إن الأعمدة التى تقوم عليها العلاقات بين الرجال والنساء- فى الإسلام- تبرز فى قوله تعالى(لا أضيع عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)[3] وقوله(من عمل صالحا من ذكر أو

أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[4]

وقول الرسول الكريم:(النساء شقائق الرجال)[5]

و هناك آمور لم يجى فى الدين امر بها آو نهى عنها، فصارت من قبيل العفو، الذى سكت الشارع عنه ليتيح لنا حرية التصرف فيه سلبا وإيجابا وليس لأحد أن

---

[1] المقريزى: امتاع الاسماع 1/ 408، 409

[2] الشيخ محمد الغزالى: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٢٦، ١٢٧ بتصرف.

[3] سورة آل عمران: ه ١٩.

[4] سورة النحل: ٩٧.

[5] رواه أبو داود في كتاب الطهارة باب: الرجل يجد البلة في منامه 1 / 11 ط المكتبة العصرية، بيروت. وقال إسناده -حسن.

وبالبحث في هذا الحديث اتضح أن الراوى هو: عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب"أبو عبد الرحمن العمرى: ولاد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل بين معدل ومجرح قال عنه ابن نعيم: ليس به بأس وقال النسائى: ضعيف الحديث و قال ابن عدى صدوق.(ا نظر فذيب لابن حجر العسقلانى ه/٢٢٩، ٣١٧ط دارالفكر العربى).

يجعل رأيه هنا دينا، فهو رأى وحسب، ولعل من ذلك قول ابن حزم: إن الإسلام لم يحظر على امرأة تولى منصب ما، حاشا الخلافة العظمى.

وسمعت من رد كلام ابن حزم بأنه مخالف لقول الله تعالى(الرجال قوامون على للنساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أتفقوا من أموالهم[1] فالآية تفيد- فى فهمه- أنه لا يجوز أن تكون المرأة رئيسة رجل فى أى عمل، وهذا رد مرفوض والذى يقرأ بقية الآية الكريمة، يدرك أن القوأمة المذكورة هلى للرجل فى بيته، وداخل أسرته.

وعندما ولى عمر بن الخطاب قضاء الحسبة فى سوق المدينة للشفاء كانت حقوقها مطلقة على أهل السوق رجالا ونساء، وتحلل الحلال وتحرم الحرام وتقيم العدالة وتمنع المخالفات.

وإذا كانت للرجل زوجة طبيبة فى مستشفى، فلا دخل له فى عملها الفنى، ولا سلطان له على وظيفتها فى مستشفاها.

قد يقال كلام ابن حزم منقوض بالحديث:(خاب قوم ولوا أمرهم امرأة)[2] وجعل أمور المسلمين للنساء يعرض أمور الأمة للخية فينبغى ألا تسند اليهن وظيفة كبيرة ولا صغيرة، وابن حزم يرى الحديث مقصورا على رياسة الدولة، أما ما دون ذلك فلا علاقة للحديث به.

ويجعل الشيخ مناسبة هذا الحديث هى: تعيين ملكة للفرس فى ظروف كانت البلاد تحتاج إلى حاكم قوى، وأدى ذلك إلى نهاية الدولة نفسها، وكان ذلك تصديقا لقول النبى الكريم ﷺ:

وقد قرأ النبى عليه الصلاة والسلام سورة النمل على الناس فى مكة، وقص عليهم فى هذه السورة قصة ملكة سبأ، التى قادت قومها إلى الإيمان والفلاح بحكمتها وذكائها.

وقد دعاها سليمان إلى ونهاها عن الاستغفاروالعناد، واستشارت رجال الدولة الذين سارعوا إلى مساندتها فى أى قرار تتخذه، ولم تغتر المرأة الواعية بقوتها ولا بطاعة قومها لها، بل قالت نختبر سليمان هذا لنتعرف أهو جبار من طلاب

---

[1] النساء: 344

[2] الديث اخيرجه البخارى وى كتاب الغازى باب كتاب النى صليب الله عليه وسلم ال كسرى و قيصر ١٢٩/٨ والنسائى قى كتاب القضاء باب ٨.

الثروة، أم هو نبى صاحب إيمان ودعوة؟.. ثم قررت طرح وثنيتها الأولى، والدخول فى دين الله تعالى، هل خاب قوم ولوا أمرهم من هذا الصنف النفيس؟ إن هذه المرأة أشرف من الرجل الذى دعته ثمود لقتل الناقة، ومراغمة نبيهم صالح عليه السلام.

ومرة أخرى أؤكد أننى لست من هواة تولية النساء المناصب الضخمة فإن الكاملة من النساء قلائل، وتلك المصادفات هى التى تكشفهن، وكل ما أبغى هو تفسير حديث ورد، ومنع التناقض بين الكتاب والآثار الواردة.

إن انجلترا بلغت عصرها الذهبى أيام الملكة(فكتوريا)وهى الأن بقيادة ملكة ورئيسة وزراء، وتعد فى قمة الازدهار الاقتصادى، والاستقرار السياسى، فأين الخيبة المتوقعة لمن أختار هؤلاء النسوة؟

وقد تحدثت فى مكان آخر عن الضربات القاصمة التى أصابت المسلمين فى القارة الهندية على يد امرأة(أنديرا غاندى)[1] وكيف شطرت الكيان الإسلامى شطرين فحققت لقومها ما يصحبون إليه.. على حين عاد المرشال يحيى خان يجر أذيال الخيبة.. أما مصدب العرب التى لحقت بهم يوم قادت(جولدا[2]خائير)قومها فحدث ولا حرج، وقد تحتاج إلى جيل آخر لمحوها.

أن القضية ليست قصة أنوثة وذكورة، أنها قصة أخلاق ومواهب نفسية، لقد أجرت(أنديرا غاندى)انتخابات لترى أيختارها قومها للحكم أم لا؟ وسقطت فى الانتخابات التى أجرتها بنفسه ثم عاد قومها فاختاروها من تلقاء أنفسهم دون شائبة إكراه. أما المسلمون فكأنهم متخصصون فى تزوير الانتخابات للفوز بالحكم ومغانمه، برغم أنوف الجماهير.

أى الفريقين أولى برعاية الله وتأييده والاستخلاف فى أرضه؟ ولماذا لا نذكر قول ابن تيمية: إن الله قد ينصر الدولة الكافرة- بعدلها على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم؟

ما دخل الذكورة والأنوثة هنا؟ امرأة ذات دين خير من ذى لحية كفور، إننا لسنا مكلفين بنقل تقاليد عبس وذبيان إلى أمريكا واستراليا إننا مكفلون بنقل الإسلام وحساب[3]

---

[1] رئيسة وزراء الهند حينذاك

[2] رئيسه وزراء اسرائيل حينئذ

[3] الشيخ محمد الغزالى: السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث ص 4 ه وما بعدها ط دار الشروق ١٩٨٩ م.

التعليق:

إن المساواة كاملة فى الإسلام بين الرجل والمرأة، والحقوق والواجبات، وأن قوامه الرجل، لا تعنى التفضيل إنمسا تعنى التنظيم وإن الزيادة التى يحصل عليها فى الميراث تقابلها أعباء يتحملها الرجل فى قوامته على المرأة.

ويرى الشيخ آن حديث(خاب قوم ولوا أمرهم امرأة)حديث صحيح ولكنه قيل فى مناسبة تولى امرأة على الفرس، وأدت هذه التولية إلى ضياع الدولة نفسها، وكان هذا الاستكناه للغيب من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام التى سجلها له التاريخ.

و قد ضرب الأمثلة على مقدرة المرأة وقوة إيمانها وحكمتها فى الماضى والحاضر ففى الماضى ضرب مثلا: بمريم أبنة عمران، وبلقيس ملكة سبأ، وفى حاضر ضرب مثلا بأنديرا غاندى، وفكتوريا، وجولدامائير، وغيرهن من النساء.

وهو لا ينادى بأن تترك المرأة بينها وتتجه لأى عمل، بل هو يجعل الأساس لعمل المرأة هو البيت وتربية النشسى. ويقول: أكره البيوت الخالية من رباتها، وأن ربة البيت روح ينفت الهناءة والمودة فى جنباته ويعين على تكوين إنسان طيب، وكل ما يشغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى مراجعة، ولكنه يكره إلزام المرأة بهذا النمط من العيش دون الاهتمام بتعليمها وتثقيفها واحترام مواهبها العملية وذكائها الممنوح من الله تعالى فيقول: أنى أكره وأد البنت طفلة، ووأدها وهى ناضجة المواهب، مرجوة الخير لأمتها وأهلها.. فكيف نوفق بين الأمرين – رعاية الأسرة والنبوغ العلمى – إذا كان هناك مائة ألف طبيب أو مائة ألف مدرس، فلا بأس بأمر أن يكون نصف هذا العدد من النساء"والمهم فى المجتمع المسلم قيام الأداب التى أوصت بها الشريعة. و صيانت بها حدود الله تعالى، فلا تبرج و لا خلاعة، والا مكان لاختلاط ماجن هابط، آعرف آم هات فاضلات مديرات لمدارس. ناجحة. واعرف طبيبات ماهرات شرفن أسرهن ووظائفهن، وكان التدين الصحيح من وراء هذه كله.

فالشيخ يرى البيت أولا ويجب أن تيسر المرأة له، ومع هذا يرى أن المرأة تستطيع أن تؤدى خدمات أخرى فى وظائف أخرى للمجتمع المسلم وفى بعض المهن تكون هى أقدر من الرجل على أداء هذه الوظيفة مثل طبيبات النساء والتوليد، ومدرسات الفتيات وكل ما يتعلق بشئون المرأة. أما المساواة فى

التقوى والعلاقة بالله تعالى فلا هو- الشيخ- ولا غيره يجادل فيها لأنه الحق تعالى(هو أعلم بمن أتقى)ولذلك يقول:

"إن هناك نشاطا نسائيا عالميا فى ساحات شريفة رحبة، لا يجوز أن ننساه لما يقع فى مساحات أخرى من تبذل واسفاف".

فهو يرى أن المرأة يجب أن تشارك فيما يعود على أمتها والإنسانية بالخير محليا وعالميا مثلها مثل الرجل تماماً، ولكن فى حدود ما يناسب استعدادها للبذل والعطاء، إلا أن النسبة التى يرغبها الشيخ فى عدد المعاملات بالنسبة للرجال نسبة مبالغ فيها، ولا تتفق مع رغبته فى جعل البيت هو العمل الأساسى بالنسبة للمرأة.

شهادة المرأة:

ويلحق بالمساواة عند الشيخ حق المرأة فى أداء الشهادة وأهمية ذلك بالنسبة للمجتمع، فهو يرى أن شهادة المرأة مقبولة فى أمور كثيرة ويعرض لذلك فيما يلى: يقول الشيخ: إن قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تشمل الرجال والنساء على السواء وذلك ظاهر قوله تعالى(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله..)[1]

إن الأمر والنهى والصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله ليست حكرا على أحد الجنسين، والزعم بأن المرأة تصلى وتزكى و تسكات فى ميدان النصبيحة زعم باطل..

فابن جرير يجيز للمرأة القضاء فى كل شى يجوز للرجل أن يقضى فيه دون استثناء.

ويقول الأحناف- كما جاء فى البدائع- إن الذكورة ليست شرطا لتقلد منصب القضاء فى الجملة، إلا أنها لا تقضى فى الحدود والقصاص لأنها لا شهادة لها فى ذلك، وأهمية القضاء تدور مع أهمية الشهادة وهنا نسال ما قيمة المرأة فى الحدود والقصاص؟

والجواب أن جمهور الأئمة يردها..

جاء عن الزهرى رضى الله عنه: مضاد- السنة من رسولى الله والخليفتين بعده أنه لا تجوز شهادة النساء فى الحدود والنكاح والطلاق، وفى رواية أخرى

---

[1] سورة التوبة: 71

والدماء. ويرفض ابن حزم هذا الكلام كله، ويجيز شهادة النساء فى كل ما ذكر إذ يقول فى حديث الزهرى: أنه بلية، وإن إسناده منقطع وهو من طريق اسماعيل بن عياشى - وهو ضعيف- عين الحجاج بن أرطأة- وهو هالك تلك قيمة حديث الزهرى.

ويرى ابن حزم قبول شهادة المرأة فى كل قضية بعد مضاعفة النصاب فيقبل فى حد الزنا ثمانى نساء بدلا من أربعة فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل".[1]

"وما رواه البخارى أليس شهادة المرأة نصف شهادة رجل؟ قلنا بلى"[2]

وأبادر إلى القول بأنى لست ظاهريا، لكنى أتباع الدليل حيث كان وكثيرا ما أرفض اجتهادات لابن حزم ولغيره من أئمة الفقه لان وجهات نظر آخرى بدت لى ارجح، و غايتى خدمة الإسلام".[3]

وعن المرونة المطلوبة فى تقديم الإسلام كدعوة عالمية إلى الناس يقول الشيخ:(والمرأة فى أوربا تباشر زواجها بنفسها، ولها شخصيتها التى لا تتنازل عنها، وليست مهمتنا أن نفرض على الأوروبيين مع أركان الإسلام رأى مالك أو أبن حنبل، إذا كان رأى أبى حنيفة أقرب إلى مشاربهم فإن هذا تتطع أو صد عن"سبيل الله..

وإذا أرتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة، فلهم ماشاؤا، ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله، فلم الإكراه على رأى منا؟ إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيؤا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه وكان ظاهر القرآن ضده).[4]

ويرى الشيخ أن تقديم الإسلام كدعوة عالمية يتطلب الاستفادة بكنوز الإسلام والأراء المتعددة فى المسألة الواحدة، لأن ذلك يؤثر فى قوة الدعوة وتدفقها بين الشعوب، ولا يوافق على هذا الدفع من الشيخ إلا من عانى مشاكل الدعوة الإسلامية، ولذلك فالشيخ هنا يتكلم عن اختيار رأى من داخل الفقه الإسلامى، ومن داخل اجتهادات علمائه.

---

[1] الحديث رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح لك الإيمان 1 / 61 ط دار الفكر.

[2] الحديث أخرجه البخارى ك الحيض ٢/ ٨١ ط دار الفكر. وأخرجه مسلم في ك الإيمان ب نقصان الإيمان بالطاعلت ٨٩/١ حديث رقم ١٣١، والدار مى فى له الوضوء باب 104.

[3] الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ص ٢٦ 4 وما بعدها ط دار ثابت ١٩٨٤.

[4] الشيخ محمد الغزالى: السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 60 ط دار لشروق ١٩٨٩.

أما حديثه عن تعارض السنة مع القرآن فسوف تؤج إلى مناقشة هذا الأمر حتى نناقشه فى الباب الخاص بهذا الموضوع.

وعن تعليل ضعف شهادة المرأة:

يقول الشيخ:(ومعروف أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وقد علل القرآن الكريم لذلك، بأن المرأة قد تنسى أو تحار أو يشتبه عليها وجه الحق، وعندما تكون معها امرأة أخرى فسوف تتعاونان على الإدلاء بالحقيقة كاملة.

وقد بحثت فى هذا الموضوع فأدركت أن المرأة فى عادتها الشهرية تكون شبه مريضة، وأن انحراف مزاجها واضطراب أجهزتها الحيوية يصيبها ببعض الارتباك: والتثبت فى أداء الشهادات واجب، وذلك سر قوله تعالى(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)[1]

وكان يجب أن يقف الأمر عند هذا الحد، لكن تيارا نشأ فى الفكر الدينى يست بعد شهادة المرأة استبعادا تاما، فى أهم ميادين التقاضى- وهو ميدان القصاص والحدود أى فيما يتصل بالدماء والأعواض.

وإذا كان اللصوص يسرقون البيوت ليلا أو نهارا، فما معنى رفض شهادة المرأة فى حد السرقة، وإذا كان العدوان يقع على النفس أو الأطراف فى حالات كثيرة بمشهد من النساء فما معنى أن ترى المرأة مصرع اقرب الناس إليها ثم ترفض شهادتها؟ ولماذا لم يلتزم نصاب الشهادة كما ذكره القرآن.

و ابن حزم فى تصحيحه للاثار المروية يؤكد أن رفض شهادة المرأة والقصاص لا يوجد له أصل فى السنة النبوية... معنى التطويح بكرامة خمسمائة مليون امرأة لقول أحد من الناس.

المأساة أننا نحن المسلمين مولعون بضم تقاليدنا وآرائنا إلى عقائد الإسلام وشرائعه لتكون دينا مع الدين، وهداية من لدن ركب العالمين وبذلك نصد عن سبيل الله تعالى.[2]

أهمية تولى المرأة القضاء إذا كان ذلك فى صالح الإسلام:

---

[1] البقرة: ٢٨٢.

[2] قضايا المرأة: النزالى ص ٦٦، ٦٧.

يقول الشيخ: جاء صحافى يسألنى هل تتولى المرأة القضاء؟ ما حكم الإسلام فى ذلك؟

قلت:إن شرائع الإسلام اليوم مطاطة فى القصاص والحدود، فإذا تولت المرأة القضاء وأحيت ما مات من أمر الله تعالى، فالإسلام يرحب بالمرأة قاضية. وكان يسمعنا واحد من علماء الدين التقليديين فسألنى على عجل: ماذا قلت؟ فأجبته: هو ما سمعت. فقال: لا.. تبقى الأحكام معطلة ولا تحييها امرأة. قلت له: إنك، امرؤ فيك جاهلية.

إن الأحناف قالوا: يصح قضاء المرأة، فيما تصبح شهادتها فيه، والظاهرية قالوا تشهد فى الحدود والقصاص.[1]

ويؤسس الشيخ موقفه من شهادة المرأة فى كل شى على عناصر كثيرة منها موقف ابن حزم من حديث:(مضات السنة من النبى ﷺ ومن آبى بكر، وعمر آن لا تجاوز شهادة النساء فى الطلاق ولا فى النكاح ولا فى الحدود).

ويقول ابن حزم عن هذا الحديث: إنه بلية لأنه منقطع من - طريق إسماعيل بن عياش وهو ضعيف، وقد رواه عن الحجاج بن أرطأة وهو هالك[2]

وابن حزم يرى أن الأدلة التى ساقها العلماء الذين يرون عدم استقلال النساء بالشهادة، وعدم السماح لهن- بالشهادة فى الطلاق والحدود أدلة متهافتة لأنها تقوم على حديث الزهرى الذى رواه إسماعيل بن عياش وهو لم يصلح. إلا أن أبرز نقطة فى مذهب ابن حزم- فى شهادة النساء- هى استقلال النساء بالشهادة فى حالة مضاعفة العدد ويسوق عليها أدلة كثيرة منها: ما روى عن عمر بن الخطاب أن مكان كل شاهد رجل امرأتين"فلا يقبل فيما يقبل فيه رجلان، إلا أربع نسوة وعن على بن أبى طالب

مثل ذلك، وهو قول الشعبى والنخعى فى أحد قوليهما، وعطاء.. وقتادة فى قوله جملة، وأبن شيرمة، الشافعى وأصحابه، وأبى سليمان وأصحابه، إلا أنهم قالوا: تقبل فى الرضاع امرأة واحدة، وقول عثمان البستي: لا يقبل فيما يقبل فيه النساء منفردات إلا ثلاث نسوة لا أقل وقالت طائفة: تقبل امرأتان من كل ما تقبل فيه النساء منفردات و هو قول الزهرى الافى الاستهلال- التوليد خاصة، فإنه يقبل فيه شهادة القابلة وحدها)[3]

ويرى الشيخ أنه لا بأس بالأخذ برأى ابن حزم فى شهادة النساء، وهى مضاعفة العدد بلنسبة للرجال، وليس معنى هذا أن الشيخ يسلم بكل ما يذهب إليه أبن حزم

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: مستقبل الاسلام خارج ارضه ص ٢٩ دارالشروقى ١٩٩٧.

[2] اين حزم: الحلى 403/9 ط دارالفكر.

[3] المرجع السابق ٣٩٩/٩.

خاصة والظاهرية عامة بل يقف مع الحق فى ذاته، ومع قبول هذا الحق دعويا، وهذه المشكلة يعانيها الدعاة المخلصون حين يبحثور عن الصيغة المقبولة دعويا، والتى لا تغادر الحق المتفق نهجه مع القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، وعند الرجوع إلى الفقه الإسلامى نرى أن الشيخ لا يقبل رأيا منفرداً العالم بعينه، بل يقبل الرأى القائل به جمع من العلماء.

فابن رشد ينقل آراء العلماء فى شهادة النساء بقوله:(وأما شهادة النساء منفردات: أعنى النساء دون الرجال فهى مقبولة عند الجمهور فى حقوق الأبدان التى لا يطلع عليها الرجال، غالبا ما يل الولادة، والاستهلال وعيوب النساء، ولا خلاف فى شى من هذا الا فى الرضاع، فإن أبا حنيفة قال: لا تقبل فيه شهادتهن إلا مع الرجال، لأنه عنده من حقوق الأبدان التى يطلع عليها الرجال والنساء، والذين قالوا بجوار شهادتهن منفردات، فى هذا الجنس أختلفوا فى العدد المشترط فى ذلك منهن:

فقال مالك: يكفى فى ذلك امرأتان، قيل: مع انتشار الأمر، وقيل: إن لم ينتشر. وقال الشافعى: ليس يكفى فى ذلك أقل من أربع، لأن الله تعالى قد جعل عديل الشاهد الواحد امرأتين، وقال قوم: يكتفى فى ذلك بأقل من ثلاث).[1]

فى الأراء السابقة التى ساقها العلامة ابن رشيد القول بشهادة النساء منفردات واستقلالهن بها فى أمور خاصة، وإن كان أبن حزم يرى جواز ذلك فى كل الأمور بعد مضاعفة العدد.

قضاء المرأة:

وعن تولى المرأة القضاء يقول ابن رشد:

(وقال أبو حنيفة: يجوز أن تكون المرأة قاضيا فى الأموال.قال الطبرى: يجوز ان تكون المرأة حاكما على الإطلاق فى كل شئ.

قال عبد الوهاب: ولا أعلم بينهم اختلافا فى اشتراط الحرية، فمن رد قضاء المرأة شبهه بقضاء الإمامة الكبرى،وقاسها أيضا على العبد لنقصان حرمتها، ومن أجاز حكمها فى الأموالفتشبيها بجواز شهادتها فى الأموال، ومن رأى

---

[1] ابن رشد: بداية المختهد وفاية المقتصد 465/٢طالمللى ١٩٨١ م.

حكمها نافذا فى كل شئ قال: أن الأصل هو أن كل من يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز إلا ما خصصه الإجماع من إمامة الكبرى)[1]

والقول هنا يتأرجح بين جواز قضاء المرأة، منعها من ذلك، أو جواز قضائها فى كل شئ إلا الإمامة الكبرى.

ويرى الإمام القرطبى أن شهادة المرآتين جائزة مع وجود رجال آخرين وليس كام ستوهم قبول شهادتين مع عدم وجود الرجال فيقول:(بل الظاهر منه قول الجمهور: أى أن لم يكن المستشهد رجلين، أى أن أغفل ذلك صاحب الحق، أو قصده لعذر ما فليستشهد رجلا وامرأتين، فجعل تعالى شهادة المرأتين مع الرجل جائزة، مع وجود الرجلين فى هذه الآية).[2]

والأقوال السابقة تؤكد ما ذهب إليه الشيخ، وأنه لم يكن يتحدث من فراغ أو عن هوى، وانماكان يريد توضيح أمور أجاز غيره من العلماء، وهى تتعلق بقطاع كبير من الأمة الإسلامية، ولها شأنها فى الإسلام عن الشعوب الأخرى، وهذه القضية الأخيرة كانت تشغل حيزا كبيرا من فكر الشيخ- يرحمه الله تعالى.

صوت المرأة:

ويتعلق بحركة المرأة فى الحياة الإسلامية، موقف بعض العلماء والدعاة من صوتها واعتباره عورة، والشيخ لم يسلم بهذا أبدا فى كل مؤلفاته، فهو يقول عن صوت المرأة:

(كان شاب قريبا منى يكاد يتميز من الغيظ، ونحن نستمع إلى بحث تلقيه أحدى السيدات، قلت له: ما بك؟ هل فى الكلام خطأ؟ فرد على عجل: أتقر هذا؟ أليس صوت المرأة عورة؟ فاجبت فى برود:

هذا كذب لا أصل له فى دين الله تعالى. أسمع حكم الإسلام فى كتاب الله تعالى، ويقول الله تعالى لأمهات المؤمنين:(.. لا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض[3])، فهل يصمتن فلا ينيسن بنت شفه، لأن الصوت عورة؟ كلا..(وقلن قولا معروفا)أى ليكن الكلام طبيعيا ليست به نغمة مريبة، ولا لحن مثير. وعندما جاءت المؤمنات مهاجرات من مكة بعد الحديبية عقد لهن امتحان شفوى لتعرف أحوالهن، هل هن فأزات بدينهن

---

[1] المرجع السابق 2/ 460.

[2] الامام القرطبى: ايلامع لاحكام القرآن ٣٩١/٣ط دار احياء التراث العروى ١٩٨٥ م.

[3] سورة الأحزاب: ٢٢.

حقا؟ أم لهن مآرب أخرى تبين من النقاش إيمانهم قبلن فى المجتمع الإسلامى(فإن عملتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار)[1].

ولم يدر بخلد أحد أن صوت المرأة عورة، وعندما جاءت المجادلة تشرح لرسول الله ﷺ قضيتها، وتراجعه فى الحكم، لم يقل لها اسكتى ان صوتك عورة.. وعند ما جاءت بنت شعيب- التى صارت زوجهٔ لموسى عليه السلام فيما بعد- تقول له(أن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)[2] لم يقل لها موسى كيف تتحدثين معنى هكذا، وصوت المرأة عورة.

وعندما دخلت ملكة سبأ قصر سليمان عليه السلام وأراها العرش الذى استحضره من اليمن إلى القدس وسألها:(أهكذا عرشك قالت كأنه هو).[3]

قال المفسرون: عرف من إجابتها ذكاءها لأنها مع إحساسها بأنه عرشها استبعدت أن يطير آلاف الأميال لتقله هنا، ولم يقل عالم ولا جاهل أن صوتها عورة.

وعندما خرجت و زينب بنت رسول الله ﷺ على المسلمين فى المسجد، وأعلنت أنها أجازت زوجها، الذى أسره المسلمون فى بدر استمع الناس إلى الصوت الراجى المحزون، وقال الرسول الكريم فى رقه:

لم نتفق على هذا، وإن شئتم رددتم إليها زوجها،[4] ولم يقل أحد إن صوتها عورة.

إننى أكره من أعماق فؤادى علاقة الرجل بالمرأة فى الحضارة المادية التى أقامها الغرب- الصليبى والشيوعى: بيد أن هذه الحضارة سوف تبقى بأرجاسها وأدرانها، ما بقى المتحدثون عن الإسلام يقدمونه بهذا الجهل والعمى.

إن صوت المرأة ليس عورة، العورة هى فى هذا التفكير الذى لا سند له والذى يصرح به شباب جهول، باسم الاسلام المظلوم.[1])

---

[1] الممتحنة:10

[2] سورة القصص: ٢٥.

[3] سورة النمل: ٤٢.

[4] ابن هشام ٢/ ٢٢ط المكتبة التوفيقية وفي نفس السياق روى أبو داود بسنده عن ابن عباس قال: حدثنى أم هان بنت أبي طالب أها أجازت رجلا من المشركين يوم الفتح فاتت النبى ﷺ فذكرت له ذلك فقال: قد أجرنا من أجرت وآمنا من آمنت. أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب أمان المرأة ٢/٨٤، ٨٥ ط دار الفكر.

ويقول:(إن التقاليد العربية الجاهلية التى كانت تجتاح الأنوثة قديما، وتجاوز حقوقها المادية والأدبية، عز عليها أن يطفر الإسلام بالمرأة هذه الطفرة، فعادت تسلب ما منح الدين، وتنكر ما أقر، وتعامل المرأة على أنها متعه وحسب.

وصدرت فتاوى مكذوبة بأن وجه المرأة عورة - ولو من غير فتنة وصوتها عورة، وأخذت الفتوى حكم الأمر اللازم، وليس الرأى الاحتمالى وقيل أن المرأة إجمالا لا علاقة لها بالنشاط الثقافى والاجتماعى أما سائر الأنشطة المدنية والعسكرية، فالوجود النسائى فيها منكر غليظ جملة وتفصيلا. وللحق أن للشريعة الإسلامية فى شئون النساء تخرج من بين فرث، ودم، فالجاهلية العربية التى فرضت نفسها مئات السنين- ربما يقصد آلاف- مرفوضة، والجاهلية الأوربية الوافدة مرفوضة هى الأخرى، وبعض المتحدثين بالإسلام يبغى العودة بالمرأة إلى التقاليد البدوية، أو الأوضاع الجاهلية المزدرية للأنوثة، كما آن بعضا آخر يريد تقليد أوربا فى كل شئ، وأحكام الإسلام أشرف من أن يثرثر بها هؤلاء وأولئك.[2]

يركز الشيخ فى حديثه عن صوت المرأة، وأنه ليس بعورة على أمور توضح منهجه منها:

1-إن المرأة تعامل بالتقاليد العربية ولا تعامل بالإسلام.

٢- استخدام الشيخ أدلة ساقها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، واستخلص منها الأحكام مباشرة، وهى طريقة فريدة تعد من ـــــــ منهج الشيخ- يرحمه الله تعالى- فقد ذكر عدة مواقف من القرآن الكريم تبين جهر المرأة بصوتها، وكذلك موقف من السنة- حادثة زينب بنت رسول الله ﷺ- عندما أجارت زوجها، ومع هذا تبقى مواقف كثيرة فى القرآن الكريم، وسيرة السلف الصالح مثل: كلام الكثير من النساء فى القرآن الكريم، وفى السيرة المرأة التى راجعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على المنبر، وهى فى مكان النساء فى آخر المسجد، وهكذا..

وربما ذكر الشيخ هذه المجموعة هنا على سبيل المثال لا الحصر، ومع هذا فالموقف يحتاج إلى مزيد من الإيضاح باستطلاع بعض الآراء الفقهية، فى هذه

---

[1] الغزالى: قضايا الرأة ص ٢٨ ١، ١٢٩.

[2] الشيخ محمد الغزالى: سر تأخر العرب والمسلمين ص 42، 43 ط دار الريان للترات ١٩٩٧.

المسألة- صوت المرأة لبيان موقف الشيخ بعد تأصيله وتفصيله، وهل هو اجتهد فأصاب وأخطأ، أم نقل إلى الناس الصحيح من الدين وجاهد من أجله.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى:

(وقالوا فيما قالوا أن صوت المرأة عورة، فلا يجوز لها أن تتكلم مع رجل غير زوج ولا محرم، لأن صوتها بطبيعته الناعمة يغرى بالفتنة، ويوقظ فى القلب الشهوة، وسألناهم عن الدليل فلم نجد لهم دليلا يعول عليه ويستند إليه.

ترى هل جهل هؤلاء أن القرآن الكريم أجاز سؤال أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب، رغم التغليظ فى أمرهن حتى حرم عليهن ما لم يحرم على غيرهن، ومع هذا قال الله تعالى(وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب).[1]

والسؤال يقتضى جوابا، وهو ما كانت تفعله أمهات المؤمنين حيث كان يفتين من استفتاهم، ويروين الأحاديث لمن يريد أن يتحملها عنهن.

وقد كانت المرأة تسأل النبى ﷺ فى حضرة الرجال، ولم تجد فى ذلك حرجا، ولا منعها النبى ﷺ.[2]

هذا القدر من كلمات د/ يوسف القرضاوى يفى بالغرض لأنه بعد هذه الفقرة ينقل تقريبا ما كتبه الشيخ الغزالى وورد فى الفقرات السابقة، فى صلب كلمات الشيخ والتى دارات حول حديث المرأة فى القرآن الكريم، بنت العبد الصالح مع موسى، وسليمان مع ملكة سبأ، والمجادلة وهكذا

وجه المرأة:

يرى الشيخ أن الحديث عن كشف وجه المرأة من غير تبرج يعتبر من الأمور التى تيسر لها الحركة المشروعة داخل المجتمع فيقول:(ذكر ابن كثير فى كتابه"البداية والنهاية"[3] أن عبد الرحمن بن عوف ظل ثلاثة أيام يستشير النساء فيمن يخلف عمر بعد مقتله- من الستة المرشحين- فلم يبق رجل ولا امرأة يعتد برأيه إلا أستشاره..

---

[1] سورة الأحزاب 53.

[2] د/ يوسف القرضاوى: فتاوى معاصرة ٢/ه ٢ط دارالوفاء المنصورة ط٣ سنة:١٩٩.

[3] ابن كثير البداية والنهاية ٧/٧ ه ١ط دارالمعرفة بيروت ١٩٩٨ و النص هكذا:(و مجمع راى المسلمين براى رؤس الناس، وأقيادهم جميعا وأشتاتا، وقمثى وفرادى، ومجتمعين، وسرا وجهراء حق خلص إلى النساء المخدرات في حجاجن، وحين سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل من يرد من البركان والأعراب إلى المدينة في مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد أثنين يختلفان في تقدم عثمان بن عفان). أهـ المؤلف.

كانت النساء تستشار، ولم لا وقد استشار النبى ﷺ أم سلمة، عندما تقاعس الناس عن التحلل من عمرة الحديبية..

أما المرأة المسلمة فى الأعصر الأخيرة فقد ماتت أدبيا. وراء تقاليد جاهلية ليست من الدين حتى دهمتنا الحضارة و بمنازعها المادية، ومسالكها الإباحية، فلم يدر أهل الدين ما يفعلون لقد طلعت فى السيرة أحاديث تبرز المجتمع الأول فى صورة. أرحم وأرحب من الصورة التى يرسمها بعض الناس للمجتمع المسلم وهى صورة قاتمة موحشة.

روى مسلم فى صحيح به آن جارا فارسيا للنبى ﷺ كان طيب المترق، فصنع لرسول الله ﷺ طعاما- ثم جاء يدعوه فقال: وهذه أى عائشة- فقال الفارسى: لا، فقال رسول الله ﷺ: لا- أى لا أذهب معك وحدى- فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ وهذه.. قال: لا فقال رسول الله ﷺ لا، ثم عاد يدعوه للمرة الثالثة فقال رسول الله ﷺ: وهذه. قال الفارسى: نعم فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله[1]

روى البخارى:(أن أباسعد الساعدى دعا النبى ﷺ لعرسه، وأصحابه رضى الله تعالى عنهم، فما صنع لهم طعاما ولا قربه إليهم إلا امرأته أم سيد، فقد بلت من الليل تمرات فى تنور- اناء من حجارة- فلما فرع النبى ﷺ، أما شقه له أى هرسته بيدها - فسقته تتحفه بذلك وكانت امرأته خادمتهم يومئذ وهى عروس).[2]

النقاب: ستر الوجه:

وقد زعم البعض أن النقاب كان مضروبا على الوجه، فلم يبد من المرأة شئ قط.. وهذا زعم مردود، فقد قرأت نحو اثنى عشر حديثا فى أصح كتب السنة، تشير إلى أن النساء كان يكشفن وجوههن وأيدهن أيام النبى ﷺ، فما أمر واحدة منهن بتغطية شئ من ذلك، وكذلك كان أصحابه رضوان الله تعال عليهم يفعلون.

(مات سعد بن خولة فى السنة العاشرة للهجرة وترك امرأته حاملا- وشاء الله تعالى أن تضع قبل عدة الوفاة- قبل أربعة أشهر وعشرة أيام- فتركت

---

[1] الإمام مسلم: الجامع الصحيح بح٢ ص 116 طبعة دار الفكر – كتاب الأشربة

[2] الامام البخارى: صحيح البخارى

المرأة حدادها، وتجملت للخطاب- اكتحلت وتخضبت وتهيأت - فلقيها رجل اسمه أبو السنابل، وأنكر عليها ذلك وقال لها: لعلك تريدين الزواج؟ بعد الأربعة أشهر وعشر، قالت: فأتيت النبى ﷺ وذكرت له ما قيل، فقال لها: قد حللت حين وضعت).[1]

وهذه القصة وقعت فى آخر حياة الرسول ﷺ ولا مساغ للزعم أنها قبل الحجاب.. إن شيئا آخر غير دين الإسلام يراد فرضه على الأمة الإسلامية، والذين يريدون ذلك يخضعون لدوافع نفسية لا لشواهد علمية.

والشى الوحيد الذى يذكرونه هو التأسى بأمهات المؤمنين ونقول لو كان التأسى بهن مطلوبا فى هذه القضية فلم تركه رسول الله صلى الله عليـــه وسلم واصحابتـه، ولـم تركـوا الوجـــوه مكشوفة دون اعتراض؟

والواقع أن تنظيم البيت النبوى خضع لظروف خاصة، وقد صرح القرآن الكريم بذلك، عندما قال لزوجات الرسول ﷺ(لستن كأحد من النساء)[2] وظاهر هذا التنظيم خاص بأمهات المؤمنين، وأنه بعد نزوله رئى النساء المؤمنات مقاتلات فى حنين، ورئين فى مناسبات كثيرة فى المسجد وغيره سافرات الوجوه، فما أنكر عليهن أحد، ومن الناس من يحظر رؤية النساء للرجال، والرجال للنساء مطلقا، واستدل لرأيه بما روى من كراهية الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يرى نساؤه عبد الله بن أم مكتوم، ويرى ابن حجر أن ذلك كان لسبب خاص، هو أن عبد الله أعمى لا يحسن تعهد ثيابه، وستر بدنه كله، وهو تعليل اضطر إليه ابن حجر، لما رأى الحديث يخالف الصحاح.

إن ابن حجر رد حديث(أفعمياوان أنتما)بطريقته الخاصة فتغاضى عن السند وتأول المتن.. لكن ابن العربى رفض الحديث سندا ومتنا..

وقال عن انبهان- راوى هذا الحديث- إنه مجهول.. ونبهان هذا كان خادما لأم سلمة رضى الله عنها، ولم يعرف بين آهل العلم بشى، و حديثه اذا كان قد خالف ما رواه البخارى فى رؤية عائشة للأحباش عند عرضهم

---

[1] الحديث اخيرجه البخارى فى كتاب الغازى باب فضل من شهد بدرا ٣١٠/٩ طالكتبة السلفية.

[2] سورة الأحزاب جزء من الأية ٢٢.

الرياضى، فهو قد خالف واقعة أخرى رواها مسلم أيضا، تتصل بينت عام لابن أم مكتوم، أمرها النبى ﷺ أن تقضى عدتها عنده.[1]

روى مسلم عن فاطمة بنت قيس أن زوجها عمر بن حفص طلقها البتة، طلقة ثالثة، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك، ثم قال

(تلك امرأة يغشاها أصحابي)اعتدى عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده.. وفى رواية انتقلبى إلى أم شريك- وهى امرأة غنية من الأنصار واسعة النفقة فى سبيل الله تعالى، ينزل عندها الضيفان- فقلت: سأفعل، ثم بدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام أمر آخر، فقال: لا تفعلى، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإنى أكره أن يسقط خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيلث، فيرى القوم منلث بعضى ما تكراهين، ولكن انتقلى الى ابن عمها عبد الله بن أم مكتوم، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك - الوضع الإنزال والكشف[2] – فانتقلت إليه فقالت: فلما انقضت عدتى، سمعت نداء المنادى: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليـــه وسلم، فلمـا قضـى صلاتـه جلسى على المنبر، فقال: انى و اشه ما جمعتكم لرغبة و لا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم.[3] قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى: ووجه دلالة الحديث على أن الوجه ليس بعورة ظاهرة، وذلك لأن النبى ﷺ، أقر فاطمة بنت قيس على أن يراها الرجال وعليها الخمار- وهو غطاء الرأس[4] – فدل هذا على أن الوجه منها ليس بالواجب ستره، كما ستر رأسها، ولكنه ﷺ خشى عليه أن يسقط الخمار عنها، فينظر منها ما هو محرم بالنص، فأمرها عليه الصلاة والسلام بما هو الأحوط لها، وهو الانتقال إلى دار ابن أم مكتوم الأعمى. وقال(وهذه القصة وقعت فى آخر حياته ﷺ لأن فاطمة بنت قيس ذكرت بعد انقضاء عدتها: سمعت النبى ﷺ

---

[1] أخرجه مسلم ونصه: عن مسلمة أنه قال: سألت فاطمة بنت قيس فأخبرتى ان زوجها المخزومى طلقها فأبى أن ينفق عليها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقال(لا نفقى لك فاذهى إلى ابن مكتوم فكون عنده، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده، أخرجه مسلم في كتاب الطلاق بابا المطلقة ثلاث لا نفقة لها ٢/ه 1 1 1.

[2] وضع الشى اذ١ القاه. لسان العرب ٣٩٩/٨ط دار صادر بيروت ١٩٩٢.

[3] اخراجه مسلم وى كتاب الفان باب قصة الاسة / ٢٢٩١ حديث رقم ١١٩.

[4] آخرجه البخارى وى كتاب الحج باب وجوب الحج و فضله ٣٧٨/٣ و مسلم فى كتاب الحج حديث رقم 407

يحدث تميم الدارى أنه جاء وأسلم، وإسلام تميم كان سنة تسع للهجرة، فدل ذلك على تأخر القصة عن أية الحجاب، فالحديث إذن نص كذلك على أن الوجه ليس بعورة). وفى السنة العاشرة للهجرة، وبعد نزول أية الحجاب بست سنوات وقعت قصة(الخثعمية)وهى امرأة جميلة الوجه جاءت إلى النبى ﷺ يوم النحر، وهو فى حجة الوداع تريد أن تستفتيه فى شأن ما من مناسك الحج.. قال الرواة: وكان الفضل بن العباس رديف النبى ﷺ فلفته جمال المرأة. حدث الفضل عن نفسه – كما جاء فى مسند أحمد يقول: فكنت أنظر إليها، فنظر النبى ﷺ فقلب وجهى عن وجهها، حتى فعل ذلك ثلاثا وأنا لا أنتهى).

وأصل هذه القصة ثابت فى البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى[1] كانت المرأة وضيئة الوجه، لم يرو أحد عن صاحب الرسالة صلوات الله عليه أنه زجرها عن كشف وجهها، أو أتهمها ببث الفتنة وقلة الحياء، ولكن الملكيين أكثر من الملك، يريدون الاستدراك على المشرع الأعظم، وإطلاق ألسنتهم فى الناس، ويريدون طى هذه السنن الصحاح، وإبراز أثار منكرة تفيد أن المرأة تغطى عينا وتبدى أخرى، أو تغطى جسدها كله من الوجه إلى القدم، فلا يرى منها شتى ولا يسمع لها صوت لأن الصوت هو الأخر عورة. إن هذا الغلو أعقب- على امتداد القرون- أثماراً اجتماعية سيئة قتلت شخصية المرأة وإنسانيتها، وأساعات ولا تزال تسمى إلى الإسلام.. يقول البعض لا بأس أن تضع المرأة تقابلها على وجهها اقتداء بنساء الرسول ﷺ. نقول: ولا بأس أيضا من تحريم الزواج على المرأة إذا ماتت زوجها امتداد لهذه الأسوة.

اننا نريد التزام خط إسلامى صحيح لا علاقة له بتبرج الغربيات ولا بهوان الشرقيات المسلمات وإهدار آدميتهن.. إن الغضب لله تعالى على العين والرأس.. أما الغضب لتقاليد ملصقة بالوحى دخيلة عليه فشيا لا تكترث له، و لا نخشى أصحابه.

قال لى صديق: إن الطريقة التى تعرض بها قضايا المرأة تخالف تقاليد قوية، ومذاهب مستقرة، وهذا يسئ إليك وقد يعوق آراء صالحة شرحتها للناس فى ميادين أخرى..

قلت نصيحة مقدورة وأحب أن أذكر لك ما عندى لتدرك ما هنالك.. إننى فى هذه القضية وفى غيرها أرفض الأحاديث الموضوعة والواهية ولا أحترم التقاليد التى تبنى عليها.. أن العرف السائد يحكم عليه، ولا يحتكم إليه، والأساس

---

[1] البخارى ٣٧٨/٣، مسلم رقم 407.

المرعى هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. وإننى أعوذ بالله أن أكون قد خرجت عليهما، إن المتواتر يحكمنى.. والصحيح يلزمنى.. أما المرويات الأخرى فلا اكتراث.

أنهار العالم الإسلامى كله، وأصبح رجاله ونساؤه أمثلة مزرية للتخلف، فإذا جاء من يعيد الكرامة الأدبية والعقلية للمرأة ويعيد الأمة إلى معالم سلفها الأول قيل له: لا، والدليل؟ فقه مغشوش... او نقل مريض، او رأى امرئ يريد التقدم بين يدى

الله ورسوله، ليجعل من سلوكه وادراكه النهج الذى يفرض على الكتاب والسنة، ولا نهج غيره.. إننا نؤكد أن النصوص على العين والرأس، وأن الخلاف الفقهى وجهات نظر تخضع للموازنة والترجيح ولا قداسة لأحدهما، وأن من حق المسلمين فى أى بلد أن يدعوا رأيا تبين من تطبيقه أنه حطهم فى الداخل وأزرى بهم فى الخارج.. ولا يوصف أبدا ترك هذا الرأى بأنه ترك للدين، بل أن أغلب ما يشيع بين المسلمين فى المجال الإنسانى مخالف للدين، وليس وراءه أتباع محترم.[1]

تحت عنوان معركة الحجاب يقول الشيخ:(نريد للصحوة الإسلامية المعاصرة أمرين):

أولهما: البعد عن الأخطاء التى انحرفت بالأمة وأذهبت ريحها وأطمعت فيها عدوها.

والأخر: إعطاء صورة عملية للإسلام، تعجب الرائين، وتمحو الشبهات القديمة وتنصف الوحى الآلهى.

ويؤسفنى أن بعض المنسوبين إلى هذه الصحوة فشل فى تحقيق الأمرين، بل ربما فى إخافة الناس من الإسلام، ومكن خصومه من بسط ألسنتهم فيه..

قرأت كتيبا فى إحدى دول الخليج يقول فيه مؤلفه:

إن الإسلام حرم الزنا وإن كشف الوجه ذريعة إليه، فهو حرام لما ينشأ عنه من عصيان..

---

[1] الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ص. ٤٨ 4 وما بعدها ط أولى ١٩٨٤ دار ثابت.

قلت: إن الإسلام أوجب كشف الوجه فى الحج، وألفه فى الصلوات كلها، أفكان بهذا الكشف فى ركنين من أركانه يثير الغرائز ويمهد للجريمة؟ ما أضل هذا الاستدلال..

وقد رأى النبى ﷺ الوجوه سافرة فى المواسم والمساجد، والأسواق، فما روى عنه أنه أمر بتغطيتها، فهل انتم أغير على الدين والشرف من الله ورسوله؟

ولننظر إلى كتاب الله تعالى:

1- إذا كانت الوجوه مغطاة فمما يغض المؤمنون أبصارهم كما جاء فى الآية الشريفة(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم[1] أيغضونها عن القفا والظهر؟ الغضب يكون عند مطالعة الوجوه بداهة، وربما رأى الرجل ما يستحسنه من المرأة فعليه ألا يعاود النظر عندئذ

كما جاء فى الحديث: قال رسول الله ﷺ

ولعلى رضى الله عنه:(يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليست لك الأخرى).[2]

"وقد رأى النبى ﷺ من تستثار رغبته عند النظر المفاجى، وعندئذ فالواجب على المتزوج أن يستغنى بما عنده كما روى جابر عن النبى ﷺ:(آذرآيى أحكم امرأة فأعجبته فليأت أهله – أى ليذهب إلى زوجته – فإن ذلك. يرد ما فى نفسه)[3] فإن لم تكن له زوجه فليتبع قول الله تبارك وتعالى(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من: فضله)[4]

و قد حكى القاضى عياض عن علماء عصره- كما روى الشوكانى أن المرأة لا يلزمها ستر وجهها وهى تسير فى الطريق، وعلى الرجال غض البصر كما أمرهم الله تعالى.

---

[1] سورة النور: ٣٠.

[2] الحديث أخرجه الترمذى من حديث شريك في كتاب النكاح باب ما جاء في نظرة المفاجأة 5/ 101 وقال حديث ه غريب لا نعرفه إلا مين حليث شريك.

[3] الحديث رواه الامام مسلم عن جابر ١٣٠/٢ كتاب النكاح ط دارالفكر.

[4] سورة النور: ٣٣.

قال البعض: إن الأمر بكشف الوجه فى الحج، أو فى الصلاة يعطى أن الوجه يجلب ستره فيما وراء ذلك، وأن على المرأة ارتداء النقاب والقفازين.

ونقول: هل إذا أمر الله تعالى الحجاج بتعرية رؤسهم فى الإحرام كان ذلك يفيد أن الرؤس تغطى وجوبا فى غير الإحرام؟ من قال ذلك؟ من شاء غطى رأسه ومن شاء كشفه.

عن سهل بن سعد رضى الله عنه: أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله جئت لأهلب لكي إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه – لم يجبها بشى – فلما رأت أنه لم يقض فيها بشى جلست..[1])، وفى رواية أخرى أن أحد الصحابة خطبها، ولم يكن معه مهر فقال له النبى ﷺ التمس ولو خاتما من حديد، وانتهت القصة بزواجه منها والسؤال: فيم صعد النظر وصوبه إن كانت منقبة؟

على أن قوله تعالى(وليضربن بخمرهن على جيوبهن[2])يحتاج إلى تأمل، إذا لو كان المراد إسدال الخمار على الوجه لقال: ليضربن بخمرهن على وجوههن، ما دامت تغطية الوجه هى شعار العالم الإسلامى، وما دامت للنقاب هذه المنزلة الهائلة التى تنسب إليه.. وعند التطبيق العملى لهذا الفهم، اضطرت النساء لاصطناع البراقع، أو حجب أخرى على النصف الأدنى للوجه كى يستطعن السير، فإن إسدال الخمار من فوق يغشى

العيون، ويعسر الرؤية، ومن ثم فنحن نرى الأية لا نص فيها على تغطية الوجوه.

ولا شك أن بعض النساء فى الجاهلية، وعلى عهد الإسلام، كن يغطين أحيانا وجوههن، مع بقاء العيون دون غطاء، وهذا العمل كان من العادات لا من العبادات فلا عبادة إلا بنصر، ويدل على ما ذكرنا أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ يقال لها(أم خلاد)وهى منتقبة تسأل عن ابنها الذى قتل فى أحدى الغزوات، فقال لها بعض أصحاب النبى ﷺ جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبلة؟ فقالت المرأة الصالحة: إن ارزافى آبنى قلم آرزاً فى حيائى، واستغراب الاصحاب التنقيب المرأة دليل على النقاب لم يكن عبادة[3]

---

[1] متفق عليه.

[2] سورة النور: ٣١.

[3] الحديث آخرجحه ابو داود فى كتاب ابلهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم 3/ 5، 6

قد يقال: إن ما روى عن عائشة يؤكد أن النقاب تقليد اسلامى، فقد قالات: كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات فاذا جازوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه[1]

ونجيب بأن هذا الحديث ضعيف من ناحية السند، شاذ من ناحية المتن فلا احتجاج به. والغريب أن هذا الحديث المردود يروج له دعاة النقاب مع أنهم يردون حديثا خيرا منه حالا، وهو حديث عائشة أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى

ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال:(يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض. لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه[2])ونحن نعرف أن الحديث مرسل، ولكن الحديث قوته روايات أخرى، وهو أقوى من الحديث الذى سبقه.

ويقيم الشيخ آراءه فيقول:(هل ما قلته رأى انفرادت به؟ كلا كلا أنه رأى المذاهب الأربعة- الفقهاء الأربعة الكبار- ورأى أئمة التفسير البارزين.. إن المشاغبين على سفور الوجه يظاهرون رأيا مرجوحا، ويتصرفون فى قضايا المرأة كلها على نحو يهز الكيان الروحى والثقافى والاجتماعى لأمة أكلها الجهل والأعوجاج لما حكمت على المرأة بالموت الأدبى والعلمى.[3]

وظيفة الثياب:

وعن وظيفة الثياب يقول الشيخ:(إن تعرية المرأة حينا، وحشرها فى ملابس ضيقة حينا آخر، وعمل لم يشرف عليه علماء الأخلاق وإنما قام به تجار الرقيق، ولكى توفر تربية شريفة

للجنسين يجب أن نعترض هذا الموكب الساخر من الكاسيات العاريات.

أن من حق المرأة أن تتجمل، ولكن ليس من حقها أن تتبرج، ولا أن ترتدى ثوب شهرة تختال فيه وتستلفت الأنظار، بل أن الإسلام رفض ذلك من الرجال والنساء جميعا.

---

[1] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والبيهقى.

[2] رواه أبو داود وحسنه الألباني في حجاب المرأة المسلمة، وإرواء الغليل و صحيح الجامع الصغير وتخريج الحلال والحرام.

[3] من الشيخ محمد الغزالى: السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث سر 44 وما بعدها بتصرف.

قال رسول الله ﷺ:"لا ينظر الله يوم القيامة- إلى من جر ثوبه خيلاء[1]"وإنها لطفولة عقلية سخيفة أن يرى أمرأ ما مكانئه فى حذاء لامع، أو رداء مطرز بالحرير أو الذهب..... إذا لم يتحصن المرء فى نصاب كبير من العلم أو الخلق فلن يغنى عنه جمال الثياب ولين الأهاب.. وللملابس وظيفتها المقررة، ولا يجوز أن تكون وسيلة للاغراء المكروه، أو التطاول المعيب.[2]

نماذج مرفوضة:

فى الوقت الذى يدافع فيه الشيخ بشدة عن حقوق المرأة، لا يقبل النماذج التى تخرج بها المرأة عن الحياء، وعن أساس دورها الطاهر العظيم فى المجتمع، وعن هذه النماذج المرفوصدسة يقول:

(فى عصرنا الحديث افتن الذين يتبعون الشهوات فى عرض مفاتن النساع، واقحامهن فى كل ميدان، دونما حاجة الى هذا الاق حمام... عند عرضى راديو"جديد قالوا: صوت به صوت سيدة، وعند عرض شراب بارد، جاؤا بامرأة تضع عنق الزجاجة فى سها، وعند عرض ثوب للعمل أو الراحة، جاعوا بامرأة ترتديه فى أوضاع شتى، وعندما شاعوا خدمة ركاب الطائرات جاءوا بفتاة تحسن التلطف فى تقديم الطعام، وعندما أرادوا مزيدا من الإقبال على شراء السلع جاءوا بامرأة تجلس إلى الخزينة وتقبض النقود، وعندما يريد مدير عظيم أن يبرز سطوته وأناقته يجئ بمرأة تكون(سكرتيرة)لمكتبه..

وقال لى بعض من يعرفون أوربا: إن هناك دورا للبغاء توضع النساء فيها وراء الزجاج، لكى تنظر الذئاب الجائعة، ثم تختار ما يعجبها..

إننى لا أظن البشرية عرفت عصرا أمكن فيه السطو على المرأة و استباحتها ظاهرا وباطنا، كهذا العصر الذى نحيا فيه..

فهل هذا هو تحرير المرأة؟ أن المسافة واسعة بين ابتذال المرأة كما يريد البعض، وبين ضمان حقوقها الإنسانية التى كفلها الوحى، وضن بها البعض.. إن ما يقع الآن فى الغرب ونقلده فى الشرق، هو فيضان مشاعر مسعورة وأهواء جامحة، تريد المرأة لمباذل سيئة، وليس من وراء هذا احترام الدين، أو رغبة فى أنصاف النساء وصون إنسانيتهن.. والدى يدعو إلى الأسى أن بعض المتدينين عندنا لا يفهم من تحرير المرأة إلا هذه الصورة التى ننكرها ونلعن

---

[1] الحديث أخرجه البخاري لك: اللباس

[2] الشيخ محمد الغزالى: قضايا المرأة ص ١٩٣ طر دارالشروقى ١٩٩٠ م.

أصحابها، وقد تكون رد فعل لحبسها الطويل فى الظلام، وعجزها عن الأخذ لنفسها، وقدرة بعض الرجال الأشرار على دفعها إلى الهاوية.

المرأة فى الإسلام:

إن الإسلام نسق آخر فى الفكر والسلوك، بعيد عن هذا الشطط، أساسه أن النساء شقائق الرجال، وأن بينهن وبين الرجال حقوقا متبادلة، وكرامات متساوية:(لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)[1]

وعلى هذا الأساس طار المجتمع الإنسانى- الإسلامى- إلى أهدافه العليا بجناحين من الذكورة والأنوثة، ووسع المسجد الجنسين معا، يطلبان العبادة والمعرفة.

فهم مخالف:

يقول الشيخ: المصيبة أن بعض المتدينين دون مستوى الفهم لطبيعة المجتمع الإنسانى. ولوظيفة المجتمع الإسلامى. وقد رفع عضديه فى الأيام الأخيرة من يقول: لا عمل للمرأة إلا أن تضع الأولاد.. وعندما تكون المرأة بقرة للانجاب فقط، فلابد أن يكون رجلها ثوراء ولأبد أن تنحدر الأمة كلها إلى أن تكون حديقة حيوانات.

هل الإسلام رسالته إلى العالمين بمجتمع من هذا النوع الهابط..؟ إننا نرفض المجتمع المنحل، ونرفض كذلك المجتمع المختل، ونرفض أن تكون المرأة دابة للنسل، وتنتهى رسالتها فى الدنيا إلى هذه الغاية المهينة..

وظائف المرأة فى الإسلام:

المرأة تتعلم وتتعبد وتجاهد، ولها الحقوق فى أن تدرس وتطبب وتتاجر، وتقوم بأعمال شتى تتناسب بداهة مع طبيعتها الأنثوية، وعملها الأول والأهم أن تكون ربة بيت وحاضنة أسرة وهذا العمل يتطلب ثروة من الأدب والعلم لا حصر لها، وإلا فإن المرأة الجهول لن تنشئ إلا ذرية أسوأ..

إن المرأة فى صدر الإسلام عندما أمنت بالله تعالى ورسوله ﷺ، أسهمت بكل قواها المادية والأدبيـة فى نصرة الدين وإعلاء رايته، بدءا من قعر البيت إلى طلب الجهاد فى البحر على ظهر الاسطول الاسلامى، فى نطاق محكم من تعاليم الإسلام الموفرة للعفاف والطهر.

وينقل الشيخ عن الأستاذ عبد الحليم أبو شقة قوله عن المرأة:

- يا ليتهم ستروا وجهها فقط ولم يحجبوها عن المسجد.

---

[1] سورة آل عمران: ه ١٩

- يا ليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن الاحتفال بالعيد.

(أمرنا نبينا أن نخرج العواتق وذوات الخدور ليشهدن الخير.....)[1]

- يا ليتهم ستروا وجهها و لم يحجبوها عن المحاضرات والندوات.

(جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله: فقال: اجتمعتن يوم كذا وكذا فى مكان كذا وكذا).[2]

- يا ليتهم ستروا وجهها ولم يمنعوها عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:(قالت أم الدرداء لعبد الملك بن مروان: لعنت خادمك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة).[3]

- يا ليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن العمـل والكسب:

قال رسول الله ﷺ للمرأة فى فترة العدة:

(جدى نخلك فأنك عسى أن تصدقى أو تفعلى معروفا).[4]

- يا ليتهم ستروا وجهها ولم يحجبوها عن الإسهام فى الجهاد:

- يا ليتهم ستروا وجهها ولسم يجبوها عن النشاط الاجتماعى والسياسى:

أن الحجاب الذى يعنون بينه وبين الإسلام بعد المشرقين وإن تحديد الموقف الإسلامى من قضايا المرأة- كما شاءه الله

تعالى- يوصد أبواب الشبه التى يلج منها المنصرون.. وينقذ أمتنا من عواقب الإفراط والتفريط[5]

نقل الشيخ هنا كلاما كثيرا عن الأستاذ عبد الحليم أبو شقة[6]

---

[1] الحديث انحرجه البخارى وى كتاب العيدين باب اذا ليكن الها جلباب وى العديد ١٩٩/٢.

[2] آخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام باب تعليم النى ﷺ آمته من الرجحال والنساء ٢٩٢/١٣.

[3] الحديث خرجة مسلم فى له البر والصلة:/٢٠٠٩ حديث رقم 5 ٨، ٨٩ و احمد فى مسنده 9/ 448

[4] الحديث آخرجه ابو داود ولى كتاب الطلاق، ٢٨٩/٢ باب فى التوبة

[5] الشيخ محمد الغزالى: صيحة تحذير من دعاة التنصير ص 124 وما بعدها بتصرف ط دار الصحوة للنشر 1941.

[6](الاستاد عبد الحليم أبو شقة له موسوعة عن المرأة بعنوان تحرير المراة في عصر الرسالة"قدم لها الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي وطبعتها دار القلم. وهي دراسة لقضايا المرأة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. وقد أثنى عليها كثير من الباحثين منهم د/ محمد بلتاجي.

مكررا نداءه(يا ليتهم)، إلا أن الكلام بعد هذه الفقرة يحمل أدلة سبق عرضها عن طريق الشيخ نفسه دون الرجوع إلى الأستاذ(أبو شقة).

والفقرات السابقة من كتاب صيحة تحذير تحمل مفهومين متغايرين، مفهوم حرية المرأة عند الغرب ومن يقلدهم من بلاد المسلمين وهذا مرفوض تماما عند الشيخ.

والمفهوم الأخر هو مفهوم حرية المرأة وحقوقها فى الإسلام، فى إطار من الشرع والعفة والطهر، وهذا المفهوم يدافع عنه الشيخ بقوة، وقد يضطره هذا الدفاع إلى الوقوف من بعض الأحاديث موقفا لا يرضى كثيرا من علماء الحديث. وسوف يأتى التعليق على هذه القضية عند الحديث عن موقف الشيخ من السنة الشريفة.

مصادر الشيخ فى كشف الوجه:

يقدم الشيخ لمصادره فى كشف وجه المرأة بتقدمة غاية فى البراعة فيقول:

(لقينى رجل فوق الأربعين يتحدث وكأنه يافع غر. قال لى بصوت مهتاج: أنت الذى تفتى بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة قلت بهدوء: نعم قال: أما تتقى الله؟ قلت: أوصيك ونفسى بتقوى الله.. قال إنك مخطى فيما تذكره للناس ويجب أن تتوب.

قلت: لست وحدى الملوم، فإن كبار[1] المفسرين سبقونى الى هذا الخطأ، كما سبقنى إليه رواة عشرة من الأحاديث الصحاح وشاركنى فى خطئى أيضا أئمة المذاهب الأربعة وعدد من المذاهب الفقهية الأخرى.. أولئك جميعا هم الذين أستقيت منهم قولى، أو تابعتهم فى غلطهم، ولا أشعر بغضاضة إذا كنا جميعا أصحاب تهمة واحدة..

قال الرجل وهو دهش: ماذا تقول، أهؤلاء جميعا يفتون بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة؟ قلت نعم. ولكنكم تؤثرون التقاليد السائدة بأراء مرجوحة، ولتفرض جدلا، أن فى المسألة قولين، اخترت أنا أحدهما فلم الغضب ولم التحامل والشتم؟؟ هل سمعت حديث سلمان وآبى الدرداء؟ قال: لا قلت: أسمع(روى البخارى عن أبى جحيفة قال: أخى النبى صلى الله علية وسلم بن

---

[1] من المفسرين الذين ذهبوا إلى أن الوجه والكفين ليسا من العورة: الأئمة الطبري والجصاص والواحدي والبغوي والزمخشري وابن العربي والفخر الرازي والقرطبي والخازن والنيسابوري وأبو حيان وأبو السعود وابن باديس. ومن هذا يعلم أن الشيخ الغزالي لم يات ببدع من القول بل سبقه إلى رأيه أفذاذ المفسرين.. فكيف يصفه الخصوم بانه متاثر ومبهور

بالحضارة الغربية؟(المؤلفا).

سلمان الفارسى وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة- عليها ثياب لا جمال فيها- فقال لها: ما شأنك؟ لماذا هذا المنظر؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى النسلع. وجاء أبو الدرداء وصنع طعاما، وقال لسلمان: كل فأنى صائم فقال: ما أنا بأكل حتى تأكل فأكل- أفطر لأداء حق الضيف- فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له نيم فنام، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قسم الآن، فصليا جميعا، وقال سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك – زوجتك - عليك حقا، فأعط كل ذى حق حقه. فأتى أو الدرداء النبى صلى الله علية وسلم فذكر له فقال النبى صلى الله علية وسلم:(صادق سلمان).[1] و الذى يعنينى من سرد الحديث الحوار الذى جاع فى صدره فلو أن هذا الحوار وقع فى عصرنا لضرب الزائر، وقتلت المرأة.. ولقيل للرجل: ماذا يعنيك من النظر إلى ملابس الزوجة؟ ولماذا تتطفل بهذه الملاحظة، ولقيل للزوجة: كيف تشكين زوجتك وتكشفين للاخرين انصرافه عنك؟ لكن سلامة الفطرة فى عصر

الصحابة تتفى كل شبهة، ولا تدع لضنون السوء مكانا، فلما فسدت النفوس جاء قول الشاعر: إذا سماع فعل المرع ساعت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم. وعلى هذا الأساس وجدنا الطباع المريضة تصف كشف الوجه بأنه فجور، وأنه حرام لأنه باب إلى الكبائر[2] والعياذ بالله تعالى. حسنا فعل للشيخ حين ساق أدلته على أن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة، فقد سبقه- كما قال- أئمة المفسرين وعشرة من رواة الحديث، والمذاهب الأربعة، وبعض المذاهب الأخرى، ويرجع الشيخ غياب هذه الحقائق الدينية إلى تحكيم التقاليد السائدة فى قضايا المرأة، وربماكان هذا فى الماضى البعيد، ولكن فى عصرنا الحاضر، يضاف إلى التقاليد السائدة، حرية المرأة فى الغرب وخوفا بعض المسلمين من هذه الحرية- الإباحية- ولكن الشيخ نفسه يرفض هذه الإباحية ويطالب بحرية إسلامية، وهو يقول: إن تجاهل حقوق المرأة من عبادة فى المساجد، وتعليم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، كل هذا لا يؤثر على المرأة وحدها حين يفقدها إنسانيتها، ولكنه يؤثر على الأمة الإسلامية كلها فى رحلتها إلى أهدافها الخالدة.

---

[1] الحديث أخرجه الترمذى في ك الزهد ب 63 جـ 608/4، 609 وقال هذا الحديث صحيح.

[2] الشيخ الغزالى: الحق المر 3/ 61

الفصل الثالث

المتابعة

يرى الشيخ أنه لم يأت بجديد في كشف وجه المرأة، وأنه تابع كبار

المفسرين والفقهاء وعشرة من رواة الأحاديث الصحيحة.. وسوف تؤصل لهذه القضية كما يلي:

أولا: أولاه سيقبض إلى الفرنسرين: الإمام القرطبي:

يرى الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى:(... ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها..)[1]، أستثنى ما يظهر من الزينة.

واختلف الناس في ذلك، فقال ابن مسعود:"ظاهر الزينة هو الثياب"وزاد ابن جبير الوجه. وقال لدي عيد بن جبير وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب.

وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة: ظاهر الزينة هو الكحيل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرط والفتنخ، ونحو هذا فمباح، لأن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس.

قال ابن عطية:"ويظهر لي بحكم ألفاظ الأية أن المرأة مأمورة بـألا تبدي وجهها، وأن يجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فلابد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فمسا ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه".

---

[1] سورة النور: ٣١.

يقول القرطبي عن قول ابن عطية: قلت: هذا قول حسن، إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة، وذلك في الصلاة والحج فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما، وهذا أقوى في جانب الاحتياط، ولمراعاة فساد الناس، فلا تبدي المرأة من زينتها إلا ما ظهر من وجهها وكفيها و الله الموفقى لارب سواه".

وقد قال أحد علمائنا:(ابن خويز منداد):"إن المرأة إذا كانت جديلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك، وإن كانت عجوزاً أو قبيحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها"[1]

الإمام ابن كثير:

(إلا ما ظهر منها): عن ابن عباس: وجهها وكفيها والخاتم. وعن أبن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك(الوجه والكفين). إن أبن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير(ما ظهر منها)بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور"[2].. ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ينفي وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال:"يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا"وأشار إلى وجهه وكفيه"[3].

قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هو مرسل لأن خالد بن دريك لم يسمع من عائشة. هكذا نقل عنهما ابن كثير.

النيسابوري:

يقول في قوله تعالى:(إلا ما ظهر منها)إلا ما يظهر الإنسان على العادة الجارية، وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان، وفي الإماء كل ما يبدو عند المهنة، وفي صوتها(المرأة)خلاف، الأصح أنه ليس بعورة، لأن نساء النبي يق كن يروين الأخبار للرجال[4].

تفسير أبو الكتب هوكر:

في قوله تعالى:(إلا ما ظهر منها): عند مزاولة الأمور التي لابد منها عادة، كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فإن في ستسترها حرجا بينا، وقيل: المراد بالزينة مواضعها، على حذف المضاف أو ما يعلم المحاسن الخلقية والتزينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنهما ليسا يعورة.(وليضربن بخمرهن على

---

[1] الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن [1 1 / ٢٢٨، ٢٢٩] ط دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥م.

[2] الامام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم [٢٨٣/٣]ط دارالمعرفة بيروت ١٩69م.

[3] سنن أبي داود.

[4] النيسابورى: غرائب القرآن[٣ / 2491] ط دارالصفوة ١٩٩٥ م.

جيوبهن)إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضيع الزينة بعد النهي عن إبدائها وقد كان النساء على عهد الجاهلية يستدلى خمرهان من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوس عزا، فأمرن بإرسال

خمرهن إلى جيوبهن سترا لما يبدو منها[1].

في تفسير(ما ظهر منها)يقول: فإن قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة؟

قلت: لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن، وهذا معنى قوله(إلا ما ظهر منها)يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره، والأصل فيه الظهور[2]

- تفسير الطبري:

يرى ابن جرير في قوله تعالى:(الا ما ظهر منها)إلا الوجه والكفين إلا أن الشيخ محمد على الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا لهما رأي آخر:"أن الوجه من العورة والمقصود من الأية ما ظهر من غير قصد"[3]

- في ظلال القرآن:

يقول الأستاذ/ سيد قطب في:(إلا ما ظهر منها):"والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة والزينة تختلف من عصر الى عصر، ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله، وتجليته للرجال، والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد- هو شريك الحياة- يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه.. فأما ما ظهر من الزينة في الوجه واليدين فيجوز كشفه لأن كشف الوجه واليدين مباح"[4]

يقف الشيخ في استناده إلى كثير من اراء المفسرين في كشف الوجه للمرأة، موقفا فيما، مؤيداً من أكثرهم ولو كان الشيخ يرحمه الله تعالى يذكر مصادره الصحيحة دائما، لوضع الأساس لأرائه وأراء المعارضين له وبقي الحكم بالصواب أو خلافه لمن يطالع الرأيين معا، لأن من يقرأ للشيخ ولا يجد ذكر المصادر يظنه يصدر عن

---

[1] تفسير أبي السعود 1 4 / ٨٢،84] ط دار الفكر. بيروت.

[2] الامام الزمخشري: الكشاف [٣ / 61] ط الحلبي ١٩٧٢

[3] مختصر تفسير الطبري [٢ / ٩٩، ٩٧] ط دارالقرآن الكريم. بيروت.

[4] الاستاذ سيد قطب: فى ظلال القرآن [2512/4] ط دارالشروقى ١٩٨٧.

رأيه فيما يقول، أو يملك جراعة تتجاور المعقول ولكن تأصيل أراء الشيخ كما جاء في الفقرات السابقة يثبت أن الشيخ داعية مخلص لدينه ولدعوته في أن واحد

ثانيا: الآراء الفقهية:

الشافعية: قالوا حد العورة(في الصلاة)من المرأة الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل على أذنيها، ويستثنى من ذلك الوجه والكفان فقط ظاهرهما وباطنهما.

الحنابلة: قالوا: في حد العورة للمرأة كما قال الشافعية، إلا أنهم أسستثنوا من الحرة الوجه فقط، وما عداه منها فهو عورة.

المالكية: قالوا عن عورة المرأة: أما الوجه والكفان ظهر أو بطنا فهما ليستا من العورة مطلقاً.

عورة المرأة خارج الصلاة:

إذا كانت بحضرة رجل أجنبي أو امرأة غير مسلمة، فعورتها جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين فإنهما ليسا بعوزة في حل النظر لهما عند أمن الفتنة.. وصوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبي ﷺ كن يكلمن الصحابة وكانوا

يستمعون منهن أحكام الدين، ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة، ولو بتلاوة القران[1].

وفي كتاب آخر للفقه على المذاهب الأربعة تتفق المذاهب على ما يلي:

في حضرة الأجانب(عورتها جميع بدنها، ما عدا الوجه والكفين فإنهما ليسا بعورة، فيحل النظر لهما عند أمن الفتنة)، يخرج عن هذا الاتفاق الشافعية فيقولون:"إن وجه المرأة وكفيها عورة بالنسبة للرجل الأجنبي أما بالنسبة للمرأة الكافرة فإنهما ليسا بعورة.. وكذلك ما يظهر من المرأة المسلمة عند الخدمة في بيتها كالعنق والذراعين"[2].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:"وأنا ممن يرجحون أن الوجه والكفين ليسا بعورة ولا يجب تغطيتهما وأرى أن أدلة هذا الرأي أقوى من أدلة الرأي الأخر، ومعي في هذا الرأي كثير من علماء هذا العصر مثل الشيخ ناصر الدير الألباني في كتابه"حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة"وجمهور علماء الأزهر في مصدر، وعلماء الزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب، و غير قليل من علماء باكستان والهند وتركيا وغيرها"ويقوم دكتور يوسف القرضاوي بسرد آراء المعارضين لكشف الوجه ويخلص إلى ما يلي:"فإذا وجد من بنات المسلمين من تقتنع بهذا الرأي(المعارض)وتوى أن كشف الوجه حرام، وأن تغطيته فريضة، فكيف نفرض عليها الرأي الأخر

---

[1] عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة[1 / 172] وما بعدها ط دار الكتب العلمية. بيروت بتصرف

[2] عبد الوهاب خلاف: الفقه على المذاهب الأربعة ص 100 ط دار الشعب.

الذي تراه هي خطا ومخالفا للنصر؟ اننا ننكر عليها حقا إذا رأت أن تفرض هي رأيها على الآخرين أو الأخريات، وأن تحكم بالإثم أو الفسق على من عمل بالرأي الأخر، وتعتبر هذا منكرا يجب محاربته، مع اتفاق المحققين من العلماء على أن لا إنكار في المسائل الاجتهادية الخلافية.

لو فرض أن هذه المسلمة لا ترى وجوب التغطية للوجه، وإنما تراه أورع وأتقى خروجا من الخلاف، وعملا بالأحوط فقط، فمن ذا الذي يمنعها من أن تأخذ بالأحوط لنفسها ودينها، وكيف يسوغ أن تلام على ذلك ما دام هذا لا يؤذي أحداً، و لا يضر بمصلحة عامة ولا خاصة؟

ويختم بقوله:"وأود أن أبادر هنا فأؤكد حقيقة لا تحتاج إلى تأكيد، لأنها عند أهل العلم معروفة غير منكورة، مشهورة غير مهجورة، وهي أن القول بعدم وجوب النقاب وبجوار كشف الوجه والكفين من المرأة المسلمة أمام الرجل الأجنبي غير المحرم لها هو قول جمهور الفقهاء الأئمة- ربما يقصد المذاهب- منذ عصدر الصحابة رضي الله عنهم- فلا وجه إذن للضجة المفتعلة والزوبعة المصطنعة التي أثارها بعض المخلصين من غير أهل الا لم، وبعض المتشددين من طلبة العلم، ضد ما قاله الداعية الإسلامي"يخ محتمد الغزالي في بعض كتبه، أو بعض مقالاته كأنما أتى ببدع من الفول، أو جديد من الرأي وما هو إلا قول الأئمة المعتبرين والفقهاء المعدودين"[1]

جاءت كلمات د/ يوسف القرضاوي عن الشيخ خاتمة جيدة لهذه المتابعة فقد أعطى لأراء الشيخ قيمتها حين ردها إلى أصولها، وركز على نقطة هامة

هي أن الشيخ متبع وليس مبتدعا، وهذه الفكرة يغفل عنها بعض الناس حيدر يناقشون آراء الشيخ في كثير من المسائل المعروضة والتي يقول فيها الشيخ رأياً معيناً

حق المرأة في اختيار زوجها:

يبرر الشيخ تصديه لهذه القضية وانحيازه إلى رأي فقهي معين بأنه يسعى إلى تقوية الأسلوب الدعوي الذي يعطي للاسلام حقه بين الأديان، فالإسلام كما يرى الشيخ دعوة عالمية يجب ألا تعرض بأسلوب محلي يستصحب معا لعادات والتقاليد والأراء الفقهية التي تنسجم مع هذه العادات والتقاليد، هكذا يرى الشيخ ويعبر عن ذلك بقوله:

"هناك سباق قائم بين عدة أديان كي يثبت كل منها أنه أولى بالحياة وأجدر بالبقاء، والغريب أن بعض المنتمين إلى الإسلام يجهل هذا الواقع، ويرتكب حماقات تسى الى دينه، بل تنفر منه و تصند عنه، ولعله مطمئن- من الناحية النفسية- إلى صيدق عقائده وسلامة تعاليمه، فعلى الناس أن يؤمنوا به إذا شاعوا، أو يذهبوا إلى حيث ألقت.

---

[1] د/ يوسف القرضاوى: فتاوى معاصرة [٢/ ٣١٣] اوما بعدها ط دارالوفاع - الثالثة 1994م.

و هذا جهل وطيش فإن السلعة النفيسة قد تكسد بسوء العرض، وقصدور الإعلان وتسبقها سلع أخرى أحسن أصحابها الدعاية لها واجتذاب الأبصار إليها".

حق المرأة في اختيار زوجها:

كنت اناقش رجلا كنديا يسألني بضيق عن موقف الإسلام من المرأة، فجاء في حواري، المرأة حرة في اختيار زوجها، ولا يكن إكراهها على قبول من تكره، ولها أن تباشر عقدها أو توكل فيه كما تشاء.. وكان هناك من يرقيتا وهو ساخط، وحمدت الله تعالى أنه لاذ بالصمت، فلما انتهى الحوار اقترب مني المعترض- المؤدب- قائلا: لا يجوز أن تباشر المرأة عقدها، بل الدين ضد هذا.

قلت: رأيك ضد هذا، قلدت فيه بعض المذاهب الفقهية، ورجحت أنا وجهة النظر الأخرى، واعتقدت أنها أقرب إلى عقول الأوربيين والأمريكيين، والعمل عليها يجري في أقطار إسلامية محترمة، ومن مصلحة الإسلام أن تتسع دائرة هذه الأقطار..

إن شرا مستطيرا يصيب الإسلام من تقوقع بعض أتباعه في أراء فقهية معينة شجرت في ميدان الفروع، ويراد نقلها من مكانها العتيد لتعترض عقائده و قيمه الكبرى[1].

الحقوق المدنية والشرعية للمرأة:

يقول الشيخ: والمرأة والرجل في الحرية المدنية سواء، فشخصيتها المعنوية ثابتة، وحقها في التصرف ومباشرة جميع العقود مقرر في الشريعة لها أن تبيع وتشتري، وأن توكل عن نفسها، وأن تكون وكيلة عن غيرها، وليس هناك ما يميز الرجل عنها في هذا المجال.

عقد الزواج:

وفي عقد الزواج كلام يجب أن يذكر هنا، ليعرف منه مدى حق المرأة ومدى الحرية الممنوحة لها.

لا يجوز لأحد إكراه المرأة على الزواج بمن تكره: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن". قالوا: يا رسول الله: كيف إذنها؟ قال:"أن تسكت"[2]...

وعن خنساء بنت خدام: أن آباها زوجها وهى ثيب دون أن تعرف رأيها، فأتت رسول الله ﷺ تشكو فرد نكاحها.

---

[1] الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة ص ٢٩.

[2] رواه ابو داود.

وعن ابن عباس أن جارية بكرا أتت رسول الله ﷺ فذكر أن له أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي ﷺ – أي رد الأمر إلى مشيئتها"[1].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه"جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني من أبن أخيه ليرفع بني خسيسته، قال الراوي: فجعل الرسول أمرها إليها، قالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الأباء من الأمر شئ"[2]

وإذا كان رضا المرأة لابد منه في عقد الزواج، فمن الذي يباشر هذا العقد؟

يقول بعض الفقهاء: من حقها أن تستقل بمباشرة هذا العقد، فهو كأي عقد آخر يصلح لها أن تباشره وإن كان الأولى بها والأليق بحياء المرأة أن تكل ذلك إلى أبيها أو أحد أوليائها.

دور ولي الأمر في عقد الزواج:

على أن الإسلام أباح لولي المرأة أن يعترض على الزواج إذا أساءت البنت التصرف فيه، بأن اختارت لنفسها شخصا ساقط المروءة مطعون الكفاية لأن هذا الزواج يسى إلى مستقبلها، وإلى كرامة أسرتها، وقد تكون الدوافع إليه شهوة عابرة أو نزوة طائشة، أما إذا كان الزوج المختار لا مطعن فيه، فليس لأحد حق الاعتراض عليه، ويرى فقهاء آخرون ضمانا لاستقرار الأسرة أن يباشر العقد الولي نفسه، بعد الاستيثاق من رضا الزوجة.. فذلك أحوط وأسلم. وفي كلتا الحالتين لا نجد انتقاصا من الحرية المدنية للمرأة"[3].

حق المرأة في فسخ عقد الزواج:

في عصور متطاولة كان نصيب المرأة قليلا من الرحمة العامة الغامرة التي بعث بها صاحب الرسالة الخاتمة، حاشا عصر البعثة الشريفة والخلافة الراشدة، فإن المرأة شهدت أياما ذهبية.

تأمل موقف النبي ﷺ من جميلة بنت أوس عندما جاءته تشكو بقاءها في بيت الزوجية لا لشى إلا لأنها تكره هذا وتعاف عشيرته، إن النبي ﷺ قال لها:"لقد أعطاك زوجاك حديقته مهرا فهل تردين عليه حديقته؟"قالت: نعم، فأمر الرجل فطلقها[4].

إن الأسرة لا تقوم على امرأة تبغض الرجل وتشتهي مفارقته، ومن هنا قال سبحانه وتعالى:(فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)[5].

---

[1] الحديث آخرجه أبو داود في كتاب النكاح [٢ / ٢٣١].

[2] الحديث آخرجه ابن ماجه فى كتاب النكاح [١ / ٢، 6، ٣، 6]

[3] الشيخ محمد الغزالي: حقوق الإنسان بين تعليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص ١٢٦، ١٣٧ ط دار الدعوة ١٩٩٣ م.

[4] الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب في الخلع [٣/ ٢٦٨، 269].

[5] سورة البقرة: ٢٢٩.

هل هذا الخلع طلاق أو فسخ للعقد؟ بحث لا نتعرض له هنا وإنما يحكم بأن يقود رجال الشرطة المرأة الكارهة بالقوة إلى بيت الطاعة لتحتضن من تبغض.. وكان رد الفعل لهذا المسلك أن وضع قانون آخر باسم الشريعة يخرج الرجل من البيت إذا أوقع الطلاق.

لم هذا الاضطراب في فهم الدين وتطبيقه؟ وأين قوله تعالى(إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)[1]

إن للمسلمين غرائب في فهم شريعة الخلع وشريعة الطلاق لا تقيم على فقه واع واسع الأفق[2].

الطلاق والضرورة النفسية:

يقول الشيخ: إن المجتمعات في الشرق والغرب اعترفت بأن الطلاق قد يكون ضرورة نفسية واجتماعية، وأنه ليس سوطا في يد الرجل، بل قد يكون فكاكا لإسار المرأة.. وأعرف أسيرا إسلامية جعل الدين أفرادها جسدا واحدا فما يعبر الطلاق بخاطر أحد. إن تماسكها أمتن وأزكى.

ولكن الأمة الإسلامية في أيام اضمحلالها العقلي والنفسي نسيت وظيفة الأسرة وتنشئة الأولاد وبناء المستقبل على الحاضر، وربما علق أحد الناس مستقبل بيته على رطل لحم يرفض شراؤه، فيحلف بالطلاق على ذلك، ماذا

نقول إلا ما قاله الله تعالى في هذه الأحوال وهو يختم سورة الطلاق(وكأين من قرية اعت عن أمر ربها و رساله فحاسبناها حسابا شديدا و عذبناها عذابانک را فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا)[3].

إن هناك تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب الناس، وحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة، واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت إعمال التعاليم الإسلامية، فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها[4].

ويرى الشيخ- يرحمه الله تعالى- أن من حق المرأة تزويج نفسها أو بالأحرى اختيار زوجها، ومن حقها أيضاً طلب الطلاق في حالة تعسر الحياة الزوجية، وتحمل المرأة مشقة فوق طاقتها النفسية والجسدية.

هل يوافق الفقهاء الشيخ فيما ذهب إليه:

---

[1] سورة البقرة: ٢٩٩.

[2] الشيخ محمد الغزالي: المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص ٩٨.

[3] سورة الطلاق: 8.

[4] الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة ص 9 ه، 60.

عن ثبوت الولاية في النكاح يقول الكاساني: فلا تثبت هذه الولاية على البالغ العاقل، ولا على العاقلة البالغة، وعلى أصل الشافعي شرط ثبوت ولاية الاستبداد في الغلام هو الصغر، وفي الجارية البكارة سواء كانت صغيرة أو بالغة، فلا تثبت هذه الولاية عنده على الثيب سواء كانت بالغة أو صغيرة، والأصل: أن هذه الولاية على أصل أصحابنا تدور مع الصغر وجودا وعدما، في الصغر والصغيرة، أما في الصغيرة فإنها تدور مع البكارة وجودا وعدما، وفي الكبيرة والكبيرة تدور مع الجنون وجوداً وعدما..

قال زفر: إذا طرأ الجنون لم يجز للولي التزويج وعلى هذا يستثنى أن الأب والد، لا يملكان إنكاح البكر البالغة بغير رضاها عندنا.

وقال الشافعي: يملكانه..

ولنا أن الثياب البالغة لا تزوج إلا برضاها، فكذا البكر البالغة، والجامع بينهما وجهان:

الأول: طريق أبي حنيفة وأبي يوسف: أن ولاية الحتم والإيجاب في حالة الصغر إنما تثبت بطريق النيابة عن الصغيرة لعجزها عن التصرف على وجه النظر والمصلحة بنفسها، وبالبلوغ والعقل زال العجز وثبتت القدرة حقيقة ولهذا صارت من أهل الخطاب في أحكام الشرع إلا أنها مع قدرتها حقيقة عاجزة عن مباشرة النكاح عجز ندب وأستحباب لأنها تحتاج إلى الخروج إلى محافل الرجال، والمرأة مخدرة مستورة والخروج إلى محفل الرجال من النساء عيب في العادة، فكان عجزها عجز ندب واستحباب لا حقيقة.

الثاني: عن محمد: فهو الثابت بعد البلوغ ولاية الشركة لا ولاية الأستبداد فلابد من الرضا كما في التيب البالغة، وإذا كان الرضا في نكاح البالغة شرط الجواز، فإذا زوجت بغير إذنها توقف التزويج على رضاها، فإن رضيت جاز وإن ردت بطل. فإن كان ثيبا فرضناها يعرف بالقول تارة وبالفعل أخرى.. وإن كانت بكرا فإن رضاها يعرف بهذين الطريقين وبث الث وهو السكوت، وهذا أستحسان والقياس أن لا يكون سكوتها رضا، وجه القياس أن السكوت يحتمل الرضا، ويحتمل السخط، فلا يصلح دليل الرضا مع الشك والاحتمال"[1].

يتلخص مما سبق من البدائع أن تزويج المرأة ثيباً كانت أم بكراً يتوقف على رضاها.

ويرحم الله تعالى إمامنا الشافعي لأنه يجيز زواج البكر من غير رضاها كيف؟ ولكن النفس تستريح إلى أراء الأحناف في زواج البكر والثياب على السواء.

---

[1] الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع [٢/ ٣٦١، ٣٦٢] ط دار الفكر ١٩٩٦.

يقول ابن رشد عن الولاية في الزواج:"اختلف العلماء: هل الولاية شرط من شروط صحة النكاح أم ليست بشرط؟

ذهب مالك إلى أنه لا يكون نكاحاً إلا بولي، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة وزفر والشعبي والزهري: إذا عقدت المرأة نكاحها بغير ولي وكان كفؤ أجاز، وفرق داود بين البكر والثيب فقال باشتراط الولي في البكر، وعدم اشتراطه في الثيب"[1].

تتأرجح الآراء بين اشتراط الولي وعدم اشتراطه إلا أن أحداً لا يقول بجواز النكاح بدون رضا المرأة ثيباً كانت أم بكرا.

يقول د/ يوسف القرضاوي عن رأي الإمام الشافعي في تزويج الأب أبنته البكر البالغة بغير رضاها:"من الإنصاف للمجتهدين أن نضع آراءهم في إطارها التاريخي فإن المجتهد ابن بيئته وزمنه، ولا يمكن إغفال العنصر الذاتي للمجتهد، وقد عاش الإمام الشافعي في عصر قلما كانت تعرف الفتاة عمن يتقدم إليها شيئاً، لهذا أعطى والدها خاصة حق تزويجها ولو بغير استئذانها، لكمال شفقته عليها.

ومن يدري لعل الشافعي لو عاش إلى زماننا هذا، ورأى ما وصلت إليه الفتاة من ثقافة وعلم، وأنها أصبحت قادرة على التمييز بين الرجال الذين يتقدمون، وأنها إذا زوجت بغير رضاها ستستحيل حياتها الزوجية إلى جحيم عليها وعلى زوجها لعله لو رأى ذلك لغير رأيه كما غيره في أمور كثيرة، فمن المعلوم أنه كان له مذهبان:

أحدهما: قديم قبل أن يرحل إلى مصر، والثاني: جديد بعد أن انتقل إلى مصر واستقر فيها. ورأى فيها ما لم يكن قد رأى..

والصحيح أن مناط الإجبار هو الصغر وأن البكر البالغ لا يجبرها أحد على النكاح.. وأيضا فإن الأب ليس له أن يتصرف في مالها إذا كانت رشيدة إلا بإذنها، وبضعها أعظم من مالها، فكيف يجوز أن يتصرف في بضعها مع كراهيتها و رشد ها؟

وأما تزويجها مع كراهيتها للنكاح فهذا مخالف للأصول والعقول، والله تعالى لم يسوغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده... فكيف يكرهها على معاشرة من تكره معاشرته؟"[2].

---

[1] ابن رشد: بداية المجتهد [٨/٢، ٩]ط الحلبي ١٩٨١.

[2] د/ يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة [٢/ ٠ 43].

وهكذا يرى د/ يوسف القرضاوي أن إرغام المرأة على الزواج ممن تكره أمر يخالف الأصول والعقول، وهو بهذا يتفق مع آراء العلماء القائلين بحرية المرأة في اختيار من تتزوج.

وأرى أن الجمع بين هذه الأراء جميعا ليس أمرا مستحيلا، تتزوج المرأة بإذن وليها ولكن برضاها عن هذا الزواج.

والخلاصة أن الشيخ حين اتجه إلى القول بحرية المرأة واختيارها في

الزواج ممن تريد لم يكن مبتدعا، أو صاحب هوى وإنما كان يرجح من بين

المذاهب مذهبا معينا، أو عدة مذاهب يرى أن في اتباعها فائدة للمرأة المسلمة ولمجتمع المسلمين في أن واحد.

ثالثاً: الأحاديث الشريفة:

أستشهد الشيخ- يرحمه الله تعالى- بعشرة أحاديث صحيحة في قضية كشف وجه المراة وسوف نوردها فيما يلي:

(١)كانت سبيعة بنت الحارث تحت سعد بن خولة و هوا من بنى عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك- رجل مر بني عبد الدار- فقال لها: مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي. آخرجه البخاري في كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا ٧/ ٣١٠ الطبعة السلفية والشاهد في هذا الحديث تجمل سبيعة وظهور ذلك أمام أبي السنابل.

(٢)روى البخاري بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهلا يقول: أتى أبو أسيد الساعدي فدعا رسول الله ﷺ في عرسه فكانت امر آته خادمهم- وهي العروسى- قالات:"أندرون ما سقيت رسول الله ﷺ؟ أنقعت له تمرات من الليل في تنور".

أخرجه البخاري في كتاب الأشربة باب الانتباذ في الأوعية 1/ 65 المطبعة السلفية

(٣)روى البخارى بسنده عن عبدالله بن عباسى رضاسى الله عنهما قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الأخر. فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة، أف أحج عنه؟ قال: نعم، وذلك في حجة الوداع.

أخرجه البخاري في كتاب الحج باب وجوب الحج وفضله 378/3.

.وأخرجه مسلم في كتاب الحج حديث رقم 407

والشاهد في هذا الحديث ظهور وجه الخثعمية، ونظر الفضلسل إليها وعدم صدور أمر من الرسول ﷺ لها بتغطية وجهها، وهذا الحديث حجة عند من يرى أن الوجه ليس بعورة.

(4)روى الامام مسلم بسنده عن جابر قالى: سمعت النبي ﷺ يقول:"إذا أحدكم أعجبته المرأة، فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته ليواقعها، فإن ذلك يرد ما في نفسه".

أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه ٢ / ١٠٢١ حديث رقم ٩، 0 ١.

والشاهد في هذا الحديث أن المرأة لا تعجب الرجل إلا إذا رأها- رأى

وجهها – أما في حالة غطاء كل الجسد بما في ذلك الوجه فلا مجال للرؤية التي تثير الغريزة.

(5)روى الترمذي بسنده عن بريدة رفعه قال: يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الأخرة. أخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في نظرة المفاجأة 101/5.

والشاهد في هذا الحديث- إن صح- هو العفو عن النظرة الأولى. والحساب على الأخرة لأنه يدل على وجود وجه للمرأة بادي الحسن ظاهر الجمال ويعتبر النظر المستمر إليه فتنة ولذلك كان الحساب على الأخرة.

(6)روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: فهل عندك من شى؟ فقال: لا والله يا رسول الله. فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا؟ فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئا، فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزاري فلها نصفه، فقال رسول الله: ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شى، وإن لبسته لم يكن عليك منه شى فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه

قام، فرآه رسول الله ﷺ موليا فأمر فدعي فلما جاء قال: ماذا معاك من القرآن؟ قال معي سورة كذا وكذا، فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم، قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن".

أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرأن 2/ 1040، 1041 حديث رقم 76.

و أحمد فى مسنده 4 / ١٣٦، ١٩٧ دار صادر بيروت.

والشاهد في هذا الحديث قوله: فصعد النظر وصوبه، ويرد عليه بأنه نظر بغرض الزواج- القبول أو الترك- وهو مباح، إلا أن الحجة في نظر الصحابي الجالس لأنه لو كان النظر إلى وجه المرأة حراما لزجره رسول الله اصلى الله عليه وسلم و لم يزوجها له.

(٧)روى آبو داود بسنده معنى نابت بن قيس بن شماسى عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يقال لها أم خلاد – وهي منتقبة – تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي صل الله عليه وسلم: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إن أر أن ابني، فلم أرزأ حيائي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"اما له أجر شهيدين". قالت: ولم ذالك يا رسول الله؟ قال:"لأنه قتله أهل الكتاب"

أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم 5/3، 6

والشاهد في هذا الحديث تعجب الصحابة من نقاب أم خلاد وهذا يدل على أن النقاب لم يكن عاما في جميع النساء.

(8)روى أبو داود بسنده... عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال:"يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا"وأشار إلى وجهه وكفيه.

قال أبو داود: هذا مرسل خالد بن شريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب فيما تبدي المرأة من زينتها 62/4

والشاهد في هذا الحديث أن وجه. المرأة ليس بعورة وكذلك كفيها.

(٩)روى الترمذي بسنده عن أبي جحيفة قال: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وبين أبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك متبذلة؟ قالت له: إن أخالك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاما فقال: كل فإني صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم. فنام ثم ذهب ليقوم، فقال له: نم، فنام، فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الأن. فقاما، فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا، ولربك عليك حقا ولضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك، فقال له"صدق سلمان".

آخرجه الترمذي فى كتاب الزهد باب ٦٣ ج 4 / ٨ ٦٠، ٦٠٩.

والشاهد في هذا الحديث رؤية سلمان لأم الدرداء متبذلة ونصيحته لأبي الدرداء بالاهتمام بها وقد تم هذا في جو من الطهر والعفاف الكاملين.

(١٠) روى آبو داود بسنده... عن جابر قال: طاقت خالتى ثلاثا فخرجت تجد نخلالها، فلقيها رجل فنهاها، فأتت النبي صلى الله عليه وسيلم فذكرت له ذلك، فقال لها:"اخرجي فجذي نخلك لعلك أن تصدقي منه أو تفعلي خيرا".

أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب في الميتوتة تخرج بالنهار 289/2.

والشاهد في هذا الحديث معرفة الرجل للمرأة في الطريق حين نهاها عن الخروج وهذا يدل على كشف وجهها لأنه تحقق منها وكلمها بعد ذلك.

هذه بعض الأحاديث التى رأى الشيخ أنها تسند رأيه في كشف وجه

المرأة وأنه ليس بعورة، وقد جمعتها من مصادرها وعلقت عليها من خلال وجهة نظر الشيخ دون تدخل لأنه استشهد بها وكان من المفيد تجميعها في مكان واحد. وبذلك يتم توثيق رأي الشيخ من خلال تفسير القرآن الكروية وأئمة الفقه والأحاديث الشريفة، وقد أعلن الشيخ براعته من الزية حي. تمسك بهذه

المصادر وهي تفيد أنه لم يصدر عن رأيه في هذا الأمر.

الباب الرابع
قضية السنة النبوية الشريفة

الباب الرابع
قضية السنة النبوية الشريفة

الفصل الأول: عاشق السنة

فى الفصل الأخير من حياة الشيخ أثار بعض الأراء فى بعض الأحاديث، وأثارت هذه الأراء ضده كثيرا من المعترضين على هذه المواقف التى اتخذها الشيخ، حتى رماه بعضهم بمعادة السنة الشريفة واتخاذ مواقف مناهضة لها.

وعلى الصفحات التالية، يتضح موقف الشيخ من السنة الشريفة ويتخلص هذا الموقف فى انه كان: محبا، ومجلا، وعاشقاء، لسنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، ولم يكن جاهلل بها فى يوم من الأيام وقد ثبت حبه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] فى معظم مؤلفاته من بداية حياته وحتى نهايتها.

يرى الشيخ أن حب الرسول ﷺ يفرض على المسلم أن يهيى نفسه لهذا الحب فيقول: يجب أن ينهض الى تقويم نفسه وإصلاح شأنه، حتى يكون قريبا من سنن محمد – ﷺ فى معاشه و معاوه، و حربه وسلمه، و علمه و عمله، وعاداته، وعباداته. ان المسلم الذى لا يعيشى الرسول فى ضميره، ولا تتبعه بصيرته فى عمله وتفكيره، لا يغنى عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة فى اليوم والليلة[2].

وعن دور النبى ﷺ فى هداية العالم يقول الشيخ: لم يكن محمد ﷺ إماما لقبيلة من الناس صلحوا بصلاحه، فلما انتهت زهوامعه فى خبر كان، بل كان قوة من قوى الخير، لها فى عالم المضائى بالاكتشاف البخار والكهرباء فى عالم المادة، وإن بعثته لتمثل مرحلة من مراحل التطور فى الوجود الإنساني..... فإذا بقى محمد ﷺ، أو ذهب، فلن بنقص ذلك من جوهر رسالته، وإن رسالته تفتيح الأعين والأذان، وتجليه البصائر والأذهان، وذلك مودع فى تراثه الضخم من كتاب وسنة..... أنه لم يبعث ليجمع حول اسمه أناسا قلوا، أو كثروا. إنما بعث صلة بين الخلق والحق الذى يصح به وجودهم، والنسور الذى يبصرون به غايتهم[3]

وعن أهمية السنة فى حياة الناس يقول الشيخ: عندما درسنا تراث محمد ﷺ- فى "الأخلاق" وذاكرنا أحاديثه التي تربوا على الألوف فى شتى الفضائل خيل إلينا: لو أن جيشا من علماء النفس والتربية اجتمع ليسوق أعماله مثل هذا الأدب لحجز، والأخلاق شعبة واحدة من رسالة محمد ﷺ

الضخمة[4]. وعن مكانة السنة الشريفة فى عقيدة المسلم يقسول الشمسيخ: والرجل الذي اصطفاه الله تعالى لحمل رسالته، كان "قرأنا" حيا يسعى بين الناس كان مثالا لما صوره القرآن من ايمان و اخبات، وسعى وجهاد وحق وقوة، وفقه وبيان، فلا جرم أن قوله وفعله

و تقريره و اخلاقه و احكامه و نواحى حياته كلها تعددركنافى الدين، وشريعة للمؤمنين..... إن الله تعالى اختاره ليتحدث باسمه ويبلغ عنه، فمن أولى منه بفهم مراد الله تعالى فيما قال؟ ومن أولى منه بتحديد المسلك الذى يتواءم مع دلالات القرآن القريبة والبعيدة؟.

---

[1] سوف تؤجل مناقشة آراء الشيخ والأراء المعارضة له إلى الفصل الثاني من. هذا الباب المؤلف

[2] الشيخ محمد الغزالى فقة السيرة صى ه دارالريان ١٩٨٧.

[3] المصدر السابق ص ٢٢

[4] المصدر السابق ص 40

إن تطبيق القانون لا يقل خطرا عن صياغته، وللقانون نص وروح وعند علاج الأحداث المختلفة لتسير وفق القانون العتيد، تجد فتاوى وتدون نصائح وحفظ تجارب وعبر، وثبت أحكام بعضها أقرب الى حرفية النص، وبعضها أدنى الى روحه..... والقرآن هو قانون الإسلام، والسنة هى تطبيق، والمسلم مكلف باحترام هذا التطبيق تكليفه باحترام القانون نفسه، وقد أعطى الله تعالى نبيه حق الاتباع فيما يأمر به وينهى عنه لأنه- فى ذلك- لا يصدر عن نفسه بل عن توجيه ربه، فطاعته هي طاعة الله تعالى[1].

وعن علو مكانة النبي ﷺ يقول الشيخ: إن عبد من عباد الله تعالى إن زاد قدروا على أحد، فبقدر ما يبطن في ضميره، ويبدو على سلوكه من خشية لله تعالى، وتزلف إليه ورجاء فيه.[2]

ويقول: ايستطيع آى قارى للمصحف الشريف، من آى قارة

على ظهر الأرض، أن يستعين من أن الإسلام ينتظم الحياة العامة والخاصة، وأنه يتناول النفس الإنسانية فى اعمق أغوارها، والمجتمع البشرى فى أوسع دائرة، وتزداد هذه الفكرة رسوخا ووضوحا، عند التأمل فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تلا على الناس قرانه. وخط فى الحياة منهجه..... والذي ترك ثروة من التعاليم وفنونا من المالك الخليفة والسياسية، تتسق مع روح المصحف ووجهته، وتشرح علميا مراد الله تعالى من خلقه ومن الجهل الشائن بعد مطالعة المصحف أية آية. وبعد متابعة النبوة سنة سنة، أن يزعم زاعم أن القرآن مواعظ نفسية محدودة، أو أن محمدا كان بيست هدفا وصل الناسى بالله تعالى عن طريقى الدعاء

والرجاع وحسب[3]

وعن شعور نجاة النبى العظيم يقول الشيخ أنا أحد الألوف المؤلفة التى تؤمن بالله العظيم، وتسبح بحمده، وتقر بجلالة ومجده، وتنتعش بنعمته ورفده... ولقد عرفت هذا الإله الكبير عن طريق النسبي العربي المحمدي قرأتك مكتابه، ثم درست سيرته، فتجاوبت فطرتي مع رسالته، واستراح فكرى وقلبي إلى دعوته، وأصبحت والحسدا من جماهير ضخمة رضيت بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا،

---

[1] المصدر السابق ص ٣٨، ٣٩.

[2] الشيخ محمد الغزالى تحذير من دعاه التنصير ص ٩٥ ط دار الصحوة ١٩٩١ م.

[3] الشيخ محمد الغزالى معركة المصحف العالم الإسلامي ص 14 ط دار الكتب الحديثة ١٩٧١

وبمحمد علية الصلاة والسلام نبيا ورسولا..... كان فى الناس مسسين لا يعرف الله أصلا، فأنار محمد ﷺ بصيرته، وقاده من ظ مسيرة الى مولاه.[1]

وعن قيادة النبي صلى الله علية وسلم لعامة يقول الشيخ: إن

الرسول العربي الملهم، بدأ عمله بعزم يغل الحديد، وشرع في تكوين

الرجال الذين يؤمنون به، ويجاهد معه، وأفلست كل المقاومات فى شنيه عن وجهته، لقد مزق الحجب المسدلة على الفطرة.

وانتعش العقل من شيبوبة رضته بالوثنية المخرقة، وصباح القلب الإنساني: ألا تستحي من البعد عن الذي خلق فسوى وقدر فهدى..... وابصر الرجال من حوله الطريق، فالتقوا به واستمدوا من صلابته بأسا فى إحقاق الحق وأبطال الباطل[2]

وعن دفاعه عن السنة يقول: فغايتي تنقية السنة مما قد يشوبها وغايتي كذلك حماية الثقافة الإسلامية من ناس قيل فيهم. إنهم يطلبون العلم يوم السبت، ويدرسونه يوم الأحسد، ويعملون أساتذة له يوم الاثنين، أما يوم الثلاثاء فيطاولون الأئمة الكبار ويقولون نحن رجال وهم رجال..... وهكذا بين عشية وضحاها يقع زمام المسلمين الثقافي بين أدعياء ينظر إليهم الو الألباب باستنكار ودهشة..... وإذا كان هؤلاء لم يرزقوا شيوخا يربونهم، أو أساتذة يثقفونهم فسوف تربيهم الأيام والليالي وما أحفلها بالعجائب[3].

وعن مكانة النبي ﷺ يقول الشيخ: إن مكانة محمد بالنسبة لغيره من الأنبياء قد عرفت وتوطدت بعد ما استبانت حدود رسالته. وعرف المستقدمون والمستأخرون، أى مهمة أعدتها..... له الأقدار، وزوده لاحتماله بأنفس المواهب؟

نعم لقد استغنى بهذه الشهادة العلمية عن تزكية الكلام.....

أضحى فى المنصب الذى هو فيه الآخرين ما يدفع عنهم الشبهة ويرد المفتريات، ولذلك أجرى على لسانه الآيات التى تعلن قدر ابن مريم..... لماذا؟ لأن النبى الكريم عيسى تعرض لاتهام ساقط.

---

[1] الشيخ محمد الغزالى فن الذكر والدعاء صى به ١ ط دار الاعتصام ١٩٨٠.

[2] الشيخ من الغزالى فقة السيرة صه دار الريان1987

[3] الشيخ محمد الغزالى السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 827 ط دار الشروق ط ١٩٩١.

وقذفت أمه المحصنة بما هى منه براء، فكان هدف القرآن تبرئة الرجل الشريف والإشادة بشخصه والثناء عليه بما هو أهله[1].

وعن دفاعه الشديد عن السنة الشريفة فى بعض الفترات يقول الشيخ: تواجه السنة النبوية هجوما شديدا فى هذه الأيام. وهو هجوم خال من العلم، ومن الأنصاف وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعى الاكتفاء بالقرآن الكريم..... ولو تم لهذه الجماعا ت ما تريد الأضاعت القرآن والسنة جميعا، فإن القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله...، عن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية، لوجب ألا يدرس التاريخ في بلد ما، لماذا يقبل التاريخ على أنه علم وتهتم كل أمة به، مع أن طرق الإثبات فيه مساوية أو أقل من طرق الإثبات في الحديث النبوي.

وأمر أخر يجب أن نثيره: لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم وتعرض للتأسي والإعجاب، ويحرم من ذلك الحق رسل الله تعالى وفى صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفاء وبيانا وأدبا وجهادا وإخلاصا.

إن بعض البله يتصور الأنبياء أبواقا لأمين الوحي، يرددون ما يلقبه إليهم، فإذا انصرف عنهم هبوط إلى المستوى الدهماء، وخبسا تورهم أي غفلة صغيرة في هذا التصور؟ إن الأنبياء رجال أكابر. أكارم مصطفون من بين الألوف المؤلفة لصفاء فطرتهم وزكاة أفئدتهم ونفاسة معاونهم... والوحي الذي يمر بنفوسهم يتألق فى جوانبهم ويتأنق في سيرهم، ويضوع شذاه في إيمانهم وصلاحهم، فإذا لم يكن

و قدوة فمن القدوة ؟ الأدباء القوادون وحسب الساسة الماكرون وحسب، القادة السفاحون وحسب ما أعرب أحكام البشر.

ان الله تعالى في كتابه أحصى أسماء ثمانية عشر نبيا من الأوائل ثم قال للهاوى الخامت: (أولئك الذين هدى الله فهدا هم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين)[2].

فإذا برز للانسانية إنسان كامل التقت في سيرته شمائل النبوة كلها، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع، واستطاع وهو الفرد مسبستوحش- ان يحشد من القوة ما يقمع كبرياء الجبابرة، ويكسر قيود الشعوب، ويوطى الإكناف للحق

---

[1] الشيخ محمد الغزالى العاطفى من الاسلام ص ١٩٧ بط دار الدعوة ١٩٩٠ م.

[2] سورة الانعام ٩٠.

المطارد، إذا يسر الله للانسانية هذا الإنسان العابد المجاهد الناصح المربى، جاء غر يقول: لا نأخذ منه ولا نسمع له. ثم يستطرد مخفيا غشه: حسبنا كتاب الله تعالى! وهل السنة إلا امتداد لسناه، وتفسير لمعناه، وتحقيق لأهدافه ووصاياه.

على أننا نعتب على جماعات كثيرة تنتسب للسنه وتظهر التمسك بها.

إذ إن سكها قد يكون من رواء انصراف بعض النساس عن السنة وشكهم فى جدواها، ونأخذ على هذه الجماعات أمرين:

أولهما: أنها تخلط الصحيح بالسقيم، ولا تدرى بدقة ما يقبل وما يرد من المرويات.

والأمر الثاني الذي يؤخذ على المشتغلين بالسنة عموما فهو: قصورهم الفقهي، وليست لهم قدم راسخة في فقه الكتاب الكريم[1].

وعن كفاح النبى ﷺ لنشر الحق والخير فيقول الشيخ: نحن المسلمين أبناء تاريخ طويل عريض- ربما بدأت رسالتنا مع بعثة إمام الأنبياء النبى العربي المحمد، ولكن هذا النبي القمة بين أن الإسلام رسالة الأنبياء كلهم، يبد أن جماهير غفيرة زاغت عنه، وقامت في الأرض دول مرهوبة تعبد أوهام الخرافة والسلطة، وتبتذل خصائص الإنسان العليا بين يدى صنم من الحجارة، أوصنهم هى من أبناء آدم، تلعب بفرعون أو بقيصر، أو بشتى الألقاب الخادعة[2] ومحمد نبى الله تعالى اليتيم هو الإنسان الوحيد الذى هتك سدود الباطل، وساق الجماهير إلى معرفة الله الواحد، واستنقذها بقوة من فتلك القوى الشريرة[3].

وقد قام محمد ﷺ يدعو إلى الله تعالى قرابة ثلاثة وعشرين عاما- ويواجه العواطف والأفكار، والأفراد والجماعات، والشدة والرخاء، والنصر والهزيمة والهجرة والاستقرار وأهل الكتاب وعبادة الأصنام، والدول المنظمة، والقبائل الساذجة وكان في هذا الأبان الحافل في صميم الحياة، ولا يحيا على هامشها.

وعن احترامه للسنة وعلمائها يقول الشيخ تحت عنوان أنوار النبوة على حداثة عهدي بدراسة السنة المطهرة، كانت تستوقفني عبارات طريفة لنقاد الحديث. أولئك الرجال الأذكياء الذين صانوا تراث النبوة عن أن تتزيد فيه الأهواء، فقد كانوا إذا ما رأوا حديثا دخيلا، يكشفون زيفه ثم يقولون عنه: إنه لا تلوح عليه

---

[1] الشيخ محمد الغزالى دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ٢٢ وما بعدها دار الشروقى ١٩٩٧.

[2] الشيخ محمد الغزالى المحاور الخمسة للقرآن الكريم صب 118 ط دار الصحوة

[3] الشيخ محمد الشيخ محمد الغزالى نظرات فى القرآن صى ١٩ طر دار الكتب الاسلامية ط 6 ١٩٨6 م.

أنوار النبوة، كنت ابتسمم ابتسامه ريبة وأنا أطالع هذه العبارة، حتى مرت على سنوات طوال، وأنا مكب على قراءة السنة الكريمة، انتقل بين صحائف شتى من أد أيها المشرقة، وتوجيهاتها الحية، وعظاتها النفاذة..... وأجيل الطرفين فى أفاق لا نهاية لرحابتها، ولا شائبة فى رفعتها، ولا حد لسابقائها وس سموها..... فلما عدت إلى نفسي بعد هذه الرحلة الطويلة، كان عقلي وقلبي يتسابقان إلى الإقرار بأن على معالم السنة الصحيحة أنوار لم تزل تتألق على مر القرون ولم تزل تحمل من نفس صاحبها طابع الهدى وعمق الأثر، ولم يزل يرف عليها من صادق الوحي ندى يقيض بالحياة ويهز الأفئدة..... ولم تزل كنوز خير وفسير، وبسر منحور. من شاع ذلك كله - - - - - - ليسى هذا مانوه به، فكم فى آثار

الزعماء من تعاليم نقية الجوهر رائعة الرونق، ولكنها مع ذلك تعليم فقط... أما أثار السنة فهى تعليم وتربية معان فيها ما يقنع العقل، ويشبع العاطفة..... تحسن عندما تطالع صحائفها أنك فى حضرة جليس صالح، يؤثر فيك وتتأثر به..... ويداخلك تتهيب وجلال، إذ تحس إحساس الولد نحو الوالد. والتلميذ نحو الأستاذ، والجندى نحو القائد، والعامى نحو الفيلسوف..... قد أقف أمام السنة، وفى القلب جمود وعليه غشاوة، فماهى الا سويعات حتى يتصل بى تيار الشخصية التى أودعت بعض عظمتها فى أحاديثها، فإذا القلب يزكو والنفس تطيب وإذا أنوار النبوة تسلط أشعتها من خلال الغيب فتمحو

ظلمات بعضها فوق بعض... أجل إن ذلك فعل النفوس الكبيرة، هيهات ان ينال من مضائه بعد الزمن[1]

قد يظن شخص ممن يكونون الأحكام جزافا أن الشمسون لا تعدو شيرا فى شبر، وعذره أنها تبدو فى رأى العين لذلك..... فهل تتحول الشمس إلى كرة قدم لأن ذهن واحد أو جماعة من الناس ضاق عن ضخامتها الهائلة، وبعدها السحيق؟

إن العظيم لا يمسخ صغيرا لأن ظنون المعتوهين أخطأت فهمة... ومن قرون طوال دب على أرضنا هذه نفر من الخلق... نظروا الى صاحب الرسالة العظمى شزرا ثم قال بعضهم: " يا أيها الذي نزل عليك الذكر إنك لمجنون "[2]. ومضى صاحب الرسالة في طريقة يبذر الحق، وينشر العلم، ويحي القلوب، وينشى من الرمم التي استهلكتها الخرافة أجيالا ناظرة، ويقيم أمة تكسر صلب الباطل، وتقذف بالرعب في نفوس الشياطين.

---

[1] الشيخ محمد الغزالى تأملات فى الدين والحياة صى ٨٨ ط دار الدعوة ١٩٩٠.

[2] الحجر ٩.

مجون كهان..... لقد ذاب الافتراع وأهله، وتلاشى الجهل والجاهلون، وبقيت الحقائق فوق التهم والترهات[1]...

ومعروف أن محمدا ﷺ لو لم يكن نبيا لكان معجزة العرب وفخرهم إلى أخر الدهر[2].

وعن علاقة النبى ﷺ باتباعه في بداية الدعوة يقول الشيخ: إن الدولة التي أقامها المسلمون الأوائل بنتها نفوس بلغت شأوا بعيدا من مجادة الخلق، وسعة الكفاية، وعمق اليقين، وروعة التجرد، وصدق الإخلاص..... ومن وراء هذه النفوس الكبيرة تلمح صاحب الرسالة العظمى، يتعهد القلوب بالصقل، وبالحق لا بالهوى..... إن الانتساب إلى الله تعالى يقتضي شمائل أنبل، وفضائل أجل، مما تواضع الناس على إكباره من شمائلهم وفضائلهم..... إن البون بعيد بين حكم ينجح فى أسعار شعب ما، وبين نبوة انخلعت من حظوظها الخاصة، ومشت في الأرض تغرس أعواد الوحي، وترقى بالعالم الى آفاق أزهى وأنضر، تريد أن يعرف الناس ربهم الذي جهلوه وان يمسكهم بكتابه الذي جحدوه[3].

وقد فوجئت الدنيا بأولئك العرب يخرجون من أعماق الصحراء فى أعداد محكم متتابع، أخذ يمتد حتى استوعب المعمور من الدنيا يومئذ، والعرب المنطلقون من صحرائهم لبثوا مع رسول الله ﷺ نحو ربع قرن لقنهم دروس السماء النازلة مع الوحي، وزودهم بطاقات فكرية وعاطفية جبارة، سمت بمستواهم المادي والأدبي حتى أصبحوا اعز جانبا، وأصبح تقليدا وانقى قلوبا من جماهير الروم والفرس[4].

فكان الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة. وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها، وجمع الناس حولها، لا تنشد

للبشر أكثر من تدعيم فضائلهم، وإثارة أفاق الكمال أمس سام أعينهم، حتى يساوا إليها على بصيرة..... والعبادات التى شرعت فى الإسلام واعتبرت أركانا في الإيمان به، ليست طقوسا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة، وحركات لا معنى لها، كلا كلا،

---

[1] الشيخ محمد الغزالى دفاع العقيدة والشريعة ص 19 ط دار الكتب الإسلامية ط 5 1988م.

[2] الشيخ محمد الغزالى الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص 7 11 ط مكتبة وهبة 1990،91.

[3] الشيخ محمد الغزالى من معالم الحق فى كفاحنا الاسلامي الحديث صى به ٢٢، ٢٢٦ ط دار الكتب الحديثة.

[4] الشيخ محمد الغزالى فى موكب الدعوة ص 1 ٢ ط دار الكتب الحديثة ط 4، 1965م.

فالفرائض التي الزم الإسلام بها أتباعه، هى تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، - - - - - - وأن يظل متمسكا بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق[1] وعن النبى ﷺ ورسالته يقول الشيخ: النبى العربي الكبير، وصاحب الرسالة التى أنارت العالم بعد ظلمة، وأنسته بعد وحشة، وبذرت فى أكفافه أصول العدالة والرحمة، واحتفظت فى كتابها بمعالم الوحي الإلهي الذى أخي بين النبيين، وسوى بين الأمم، ونوه بقيمة الفطرة، ومكانة العقل، وعظمة الكون، واستخلاف الله للانسانية فيه[2].

وعن تشبع ذات الرسول ﷺ بأنوار القرآن يقول الشيخ: وأنه- بهذا القران- أصبح محمد ﷺ مبلغا عن الله تعالى، ومبينا عن مراده، وقد انتقل هويه انتقالا نفسيا عاليا، وصعد به فى مرقى الكمال البشرى الى آوج بعيد، فكانت كل أية تهبط عليه نورا يتألق به باطنه، وكشفا تشرب به لصيرته.....ومن أثار علمه بالقرآن وتأثره به نطق بالسنن الراشدة والأحاديث

الهادية، فكانت هى الأخرى حكما ينفع بها الناس، وهوى يشدهم إلى الطرق المستقيم[3] .

وعن مهمة النبي ﷺ يقول الشيخ: والنبي الخاتم كان مكلفا بإخراج العرب أولا ، ثم العالم كله من بعدهم إلى حياة جديدة ، ولأي باليقين والمعرفة ، والنظام والصلاح، وأن يشق بسهم الكمال شقا فى نهج من التربية الواعية، والمجاهدة النفسية القاسية... لقد حول عقيدة التوحيد من فكرة نظرية صحيحة إلى سلوك عملي صادق محسوس[4]

ولا ريبة فى أن محمد ﷺ، قام بما فرظسه الله تعالى عليه، وأنه أنشأ من العرب المعزولين عن حضارات العالم أنه لا نظير لها فى سناء المعرفة، وزكاة الأخلاق، ومشرف الحضارة وان هذه الأمة التي صاغها محمد في قالب جديد، أضاعت المشارق والمغارب، وأعادت الحياة المادية والأدبية لجماهير من البشر ظلت ترسف دهرا في الجهالة والعبودية..... ونحن نشهد بذلك عد بضعة عشر قرنا من بعلته، كناآصفارا ثم صرنا شينا مذكورا، فهل يشهد لنا العالم بما نشهد به نحن لمحمد صلى

---

[1] الشيخ محمد الغزال خلق المسلم ص ادار الكتاب العربى ١٩٥٣ م .

[2] الشيخ محمد الغزالى كفاح دين ص 5 ط مكتبة وهبة ط.

[3] الشيخ محمد الغزالى نظرات فى القرأن ص، و 150 ط دار الكتب الإسلامية ط 6 ،1986م.

[4] الشيخ محمد الغزالى الحق المر : ص 79 ط دار الشروق الإسلامية ط 3 1993.

الله عليه وسلم ؟ أبو بعبارة أخرى. هل وصلنا للناس القول ، كما وصله هو إلينا، ونقلنا هم بالوحي كما نقلنا هو به[1].

إن الإسلام الذي بلغه محمد وأخذ الناس بسه، هو الصورة الأخيرة للوحي الأعلى، وهو كذلك الصورة العامة التى تستغرق الأجناس كلها.

وتتناول الأجيال التى تسكن الأرض حتى قيام الساعة النبوات السابقة كانت كلها محلية مؤقتة ، أي محدودة الزمان والمكان، أما النبوة العامة الخالدة ، فهي نبوة محمد لا يشركه فى ذلك نبى من السابقين..... عن نبي القرآن عليه الصلاة والسلام، أرسى دعائم العقيدة والعبادة والخلق، وساق نصوصها حاسمة، تضبط سيرة المرء وتقاليد الجماعة، وهذه أسس وتوجيهات لا تختلف باختلاف العصور، ولا يمكن اختراق أسوارها[2].

وردا على بعضى ما آثير فى الصحف فى بعضى الاوقات عن الإسلام يقول الشيخ: المؤامرة الجديدة التى يعمل لها كثيرون فى وسائل الإعلام وأولها الصحافة ثم الروايات والمسارح دعوة إلي إسلام بلا نصوص، ومعنى إسلام بلا نصوص: أن أي تافه يستطيع أن يقول: لا داعي لهذا النص، لا داعي لهذه الأيسة، لا داعي لهذا الحديث، ومعنى ذلك أن يضيع الإسلام كله.....

وردا على هؤلاء أقول: إن القرآن الكريم مائة واربع عشرة سورة، من كفر بأية واحدة من سورة واحدة فهو كافر بالمائة والأربع عشره سورة جميعا، وإن نبينا محمد علية الصلاة والسلام له سنة درسها العلماء الثقات، ورتبوا أحاديثه بين متواتر وصحيح، وإن الذي يكفر باتباع محمد..... ﷺ ، فهو كافر بالأنبياء جميعا وبمن أرسلهم يرب العالمين جل شانه[3]. وتحت عنوان مع إمام الدعاة يقول الشيخ: إنني من أفق الإيمان بمحمد عله الصلاة والسلام ، انظر إلي أعدائه فأعجب الغبائهم أو لافترائهم وأسأل هؤلاء العاري: أتدرون ما يقول؟ ألا تسمعون نغمة العبودية فى حديثه، ألا تحسون تشبثه الشديد بربه وخشية البالغة منه؟..... لقد طالعنا حياة محمد علمه الصلاة والسلام، وتابعنا سيرته من دعا إلى أن قضى، فوجدنا إنسانا وثيق اليقين بربه قوى الاعتماد عليه، صادق الوصف له، بلغ فى تنزيهه المدى، وكان سخطه هائلا على المفترين

---

[1] الشيخ محمد الغزالى تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع و العقل، ص ٣١ ط دار الشروقى بط ٣ ١٩٩٢ .

[2] الشيخ محمد الغزالى مائة سؤال عن الاسلام اصلى ١٢ ط دار ثابت ط٢، 1983

[3] الشيخ محمد الغزالى خطب الشيخ محمد الغزالى إعداد قطب عبد الحميد قطب صى ١١٨ ط دارالاعتصام ١٩٨٨.

والمشركين، يمحو ضلالهم بقوة، ثم يسوق الصواب فى حشد من الأدلة المورثة لليقين. والباعثة على حسب الله تعالى والإنابة إليه[1].

إن حياة محمد ﷺ هي التطبيق العملي لتعليم القرآن الكريم كما أن القرآن الكريم هو الجانب العلمي من هذه الرسالة الشاملة..... ولذلك لا يمكن أن يكون هناك تفاوت بين الكتاب والسنة[2].

إن العمل الذي لكف به محمد ﷺ بعيد الأماد، شاق المراحل كان عليه أن يزرع ركاما هائلا من الأوهام والأهواء أثقل القلب الإنساني وضلال سعيه ، كان عليه أن يفسك قيودا منعته شاركت فى صنعها أديان أرضية وسماوية ، وكان عليه أن ينقذ الناس من مواريث روحية وفكرية وأدت الحق وطمست الفطرة... إن اتقفال القرون عما ألفت، وانتقالها إلى طور آخر من الوعي والسداد، هو العمل الكبير الذى أتمه صاحب الرسالة الخاتمة، وغير به وجه الأرض، وصحح به أخطاء التاريخ..... وكانت هذه هى الرسالة التى صدع بها النبي العربي الخاتم، عليه أن يهدى بها الناس كلهم، عليه أن ينير بالحق بصائرهم، عليه أن يفك القيود التى مثلت حراكهم الروحي والعقلي. إنه رحمة للعالمين[3] .

إن النقاد المضفين والمؤرخين العدول، ويقررون أنه لم يتح لبشر قبل محمد صلى الله عليه وسلم أو بعده، أن أحدث مثل هذا التغيير الشامل فى أحوال العالم أجمع، وليس المهم التغيير المهم طبيعته ووجهته، إنه بعد بعثة محمد ﷺ، أخذت الحضارة طريقها صعدا إلى أعلى، وكانت من قبل قد أسفت ولصقت بالحضيض ، لما قرأت كتاب القمم المائة الأولى، رأيت المؤلف يذكر كأنه مضطر إلى جعل محمد ﷺ، أول هذه القمم، وإن لم يكن على دينه، لأن الدلائل كلها إلي جانبه، قلت: إن هذا الرجل الذكي لمح أحد جوانب العظمة فى شخصية محمد ﷺ، إنه لمح التغيير الجذري الذي أحدثه الرسول فى العرب فانطلقوا به ليحدثوا تغييرا جذريا فى آفاق الأرض، تغييرا ذاهبا الاساسى الطول والعرض والعمق، تغييرا إن فترت بواعثه حينا أدركها من ذاتها ما تستمر به سائرة، كما تنطلق المولدات التى تستمد طاقتها من الشمس..... إنه الاصطفاء الذي هيا روحة الاستقبال القرآن الكريم، والاصطباغ بتعليمه، ثم تحويل هذه التعليم إلى سيرة نابضة وسنة هادية، وإن الكمال البشرى الذي صب فى قالب خاتم الأنبياء، يجعل

---

[1] الشيخ محمد الغزالى و الثقافي، يمت فى فراعنا ص به ٢١ ، ٢١١ط الشرق. 1984م.

[2] الشيخ محمد الغزالى الإسلام والطاقات المعطلة ص 70 دار الكتب الإسلامية. 1983م.

[3] الشيخ محمد الغزالى علل و ادوية ص ٢٧ و ما بعدها ط دارالدعوة ١٩٩١ م .

المرء يهتف بإعجاب: سبحان من أبدع محمد ﷺ[1]

ونقل الشيخ عن الشيخ (محمد تقى القمي) قوله عن السنة: لا يختلف الشيعي عن السني فى الأخذ بسنة رسول الله ﷺ، بل يتفق المسلمون جميعا على أنها المصدر الثاني للشريعة، ولا خلاف بين مسلم وآخر فى أن قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره سنة لابد من الأخذ بها[2] .

وعن فضل النبي ﷺ يقول الشيخ : إنه لم ينقل العرب من الجاهلية إلي الحنفقة وحسب ، بل زودهم بطاقات روحية وفكرية يستطيعون بها تغيير الدنيا، ومعنى هذا أنه- ﷺ- أوجد أجهزة إدارية وثقافية وعسكرية، وقيادات روحية ومدنية، هزمت القوى الطاغية فى الشرق والغرب، ووضعت يدها على مواريثهم ثم أنشأت من ذلك الحطام القديم، حضارة أعلت الهتاف لله تعالى والعمل بهداه[3].

ومضي عاشق السنة الشريفة الى ربه بعد أن أعطى كل حياته للدعوة الإسلامية جهاد متصلا، وحبا للقرآن الكريم والسنة الشريفة لا يوازيه ولا يوافيه حب فيما نعرف من سير العلماء وأقوالهم، حتى الذين أثاروا المعارك مع الشيخ لسنة رسول الله ﷺ.

والمحب غيور على من يحب وهذا ما دفع الشيخ الى الاشتباك مع أهل الحديث، وذلك لفرط غيرته على سيرة وحديث حبيبه ﷺ، ونسى الشيخ- لفرط حبه- أنهم هم أيضا يحبون حبيبهم ﷺ، وقد أوفقوا حياتهم على دراسة حديثه الشريف، وليس ذلك بكثير عليهم، لأن حب رسول الله ﷺ مكانة قلب كل مسلم، ربما يجرى فى شرايين البعض، وأحيانا يملك كيان وزمام أمر البعض الأخر.

وعلى الصفحات السابقة- عاشق السنة- رأينا ألوانا من العشق الخالص، والحب الصافي، والهيام أحيانا في كلمات الشيخ عن حبيبه ﷺ، وإن كان حب الشيخ الرسول الله ﷺ، وغيرته على حديثه وسيرته فعلا، فقد كان رد الفعل فى بعض جوانبه وصفا للشيخ بعدائه للسنة ولعلمائها. والأمر في حقيقته لا يخرج عن خلاف محبين مخلصين حول حديث حبيبهم صلى الله عليه وسلم.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى: ومن تأمل فى كتابة (فقه السيرة) ووقفاته العميقة مع الأحداث النبوية طوال مراحل حياته ﷺ من الميلاد إلى بعثته، ثم

---

[1] المصدر السابقى ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

[2] الشيخ محمد الغزالى هذا ديننا صى ١٩٨ دار الكتب الاسلامية ط ٣ ١٩٧٥ م

[3] الشيخ محمد الغزالى الحق المر ط٣ ص ه ١٩ ط دار نهضة مصر ١٩٩٩ م .

مرحلة الدعوة والمصايرة، ومرحلة الجهاد والمواجهة، أو مرحلة بناء الفروق مكة، ومرحلة بناء المجتمع فى المدينة، وجد فيه عقل الباحث المدفق يتعانق مع قلب

المؤمن المدقق، وروح الداعية المحلق، الذي يحيا فى السيرة بل تحيا السيرة فيه[1].

ولم يخل مؤلفا للشيخ عن نشيد حبا للحبيب المصطفى ﷺ، أو السنة الشريفة، وهو يرى أنه على المسلمين أن يأخذوا من سنة رسول الله ﷺ وسيرته ما يلي:

1- التطبيق العلمي فى واقع الحياة للقرآن الكريم باعتبار أنه ﷺ هو أقرب الناس إلى فهم روح القرآن الكريم.

٢- التأسس بشخصه ﷺ فى جوانب كثيرة منها:

أ- الشجاعة فقد كان ﷺ من أشجع الناس، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتعلمون منه الأقدم، والتضحية فى سبيل الله سبحانه وتعالى.

ب- القيادة الحكيمة فقد كان ﷺ قائدا حكيما، ورائدا فى هذا الفقه- فقه القيادة- وقد شهد بذلك كثير من العلماء من غير المسلمين ومنهم (مايكل هارت) الذي نوه الشيخ بذكره لرسول الله ﷺ، وكيف جعله أول العظماء فى العالم وقدمه على المسيح الذي يؤمن به، وعلى غيره من القادة والزعماء، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان (الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم).

جـ- التأسي به فى الحفاظ على الوقت والتخطيط لكل أمر من أمور الحياة. 3- حبه ﷺ من قبل المسلمين وترجمة هذا الحب إلى الاقتدار به وبسيرته ﷺ.

4- على الدعاة أن يلتمسوا سبيل الدعوة إلي الله تعالى من فقههم لسيرته صلى الله عليه وسلم والمراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية فى مكة، وفى مدينته ﷺ.

5- يرى الشيخ أن الإيمان برسول الله صلى الله ﷺ وبسنته الشريفة مكمل للايمان بالله تعالى وبكتابة العزيزة، وأن السنة الشريفة هي التطبيق العملي لمنهج الإسلام فى إدارة الحياة لتكون مقدم طيبة للاقبال- بسعادة- على الدار الآخرة.

---

[1] د/ يوسف القرضاوى الشيخ الغزالى كما عرفته صى ١٢١ طر دارالوفاء . 1997م.

6- يرى الشيخ أن السنة الشريفة لا تقدر لما فيها من علم صادق فحسب، ولكنها تقدر أيضا لأنها تحمل في طياتها نور النبوة الخالد، الذي يشعل الحماس في النفوس، ويحميها بعد موتها لتقوم وتتجه إلي نحوها مشرقة النفس منيرة الروح، صادقة العزم.

7- يرى الشيخ أن السنة النبوية هي حياة الإسلام، أوهى الإسلام الحي فى النفوس، وهى الوقود الذي يشعل الإيمان في القلوب، ويواجه الناس إلى علامة الغيوب.

8- يرى الشيخ أن السنة النبوية هي الوجه الأخر للقران الكريم، وهى القرآن المفعول- أي المتحرك في واقع الناس- فإذا كان القرآن قانونا، فهي اللائحة التنفيذية لهذا القانون.

9- يرى الشيخ أن المسلم الحق لا يستطيع أن يعيش بغير حب المصطفى صلى الله عليه وسلم وبغير الإقتداء به في كل أمر من أمور الحياة.

و بعد:

فما قدمناه في الفصل الأول من هذا الباب- عاشق السنة- هو قصيدة حب من الحبيب- الشيخ- إلى المحبوب- المصطفى ﷺ. وإن كان الشيخ قد مضى إلى ربه سبحانه وتعالى فقد أشعل نفوسا كثيرة في شتى بقاع الأرض بحب المصطفى ﷺ، وبالتمسك بسنته الطاهرة والشريفة.

الفصل الثاني: وحلته مع السنة النبوية الشريفة

لقد طالت رحلة الشيخ مع السنة النبوية الشريفة حتى استغرقت حياته كلها، وكان يرى- كما بينا سابقا- أن السنة الشريفة هى حياة هذه الأمة، أوهى القرآن المطبق فى واقع الناس- ولكن كان للشيخ موقف تجاه ما يجب اتباعه من الأحاديث الشريفة، وهى الأحاديث الصحيحة الموثقة التى لا تتعارض مع القرآن الكريم ولا مع الخط الأساسى العام للإسلام الحنيف، ولكنه يقف ضد الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتى تتعارض مع القرآن الكريم. وسوف

نوضح موقف الشيخ فى هذه القضية ورد بعض العلماء عليه من خلال الصفحات التالية وسوف نبدأ بموقف الشيخ:

كان للشيخ موقف بالنسب للسنة الشريفة فى معظم مؤلفاته

وهو كمايلى :

- عن علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة يقول الشيخ: لا خلاف بين المسلمين فى القرآن الكريم أساس الإسلام ولبسساب دعوته، ومناط شرائعه، وأنه الينبوع الأول لشتى تعاليمه فى أحوال المعاش والمعاد جميعا، وأنه رهان النبوة، ودليل صدقها، ومعجزتها الكبرى، وأنه مجلى الوحى الأعلى، وملتقى الحقائق السماوية التى تنزلت من عند الله تعالى خالصة من كل شائبة، مبرأة من كل لبس...

وأنه بهذا القرآن، أصبح محمد ﷺ مبلغا عن الله تعالى، ومبينا عن مراده، وقد انتقل هو به انتقالا نفسيا عاليا، وصعد به فى مرقى الكمال البشرى الى آوج بعيده. فكانت كل آيه تهبط عليه نورا يتألق به باطنه، وكشفا تشرب به بصيرته... ومن آثار علمه- ﷺ- بالقرآن الكريم، وتأثره به، نطق بالسنة الراشدة، والأحاديث الهادية، فكانت هى الأخرى- حكما ينتفع به الناس، وهدى يشدهم إلى الطريق المستقيم.. وقد أمتن الله تعالى عليه بهذا الوحى فقال: (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)[1] ... ومع احترامنا للحشد الكبير من السنة المروية عن رسول الله ﷺ، وحفاوتنا بالدراسات الحسنة التى تناولتها فى القديم والحديث، فنحن نلفت النظر إلى أن السنة منزلة ثانوية بعد القرآن الكريم نفسه، وأن العالم الأصيل بالإسلام إنما تقوم ثروته العلمية:

اولا:- بمدى فقهه فى الكتاب العزيز، و بصره بمعانيه، ومغازيه. ولمحه لدلالته القريبة والبعيدة... وأن الصورة المتقنة للإسلام إنما تعرف أبعادها وملامحها البارزة من القرآن الكريم أولا، ثم يجئ دور السنة الشريفة فى الإيضاح والتفصيل بعد أن تمهدت الحدود وعرفت الضوابط.. ولذلك فنحن نرفض أن يشتغل بالسنة رجل فقير فى القرآن الكريم. ونرفض أن يستخرج أحكامها رجل قصير الباع فى فقه الكتاب واستظهار أحكامه.. لأن ذلك قلب للأوضاع، ومزلقة للخطأ فى تصور حقائق الدين.. فى ترتيب صغراها أو كبراها.. وقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم هو الأصل الأول فى التشريع، وأن السنة تجئ من بعده فى المرتبة لما يلى:

---

[1] سورة النساء13 ١

1- أن السنة اعتبرت أدلة شرعية بشهادة القرآن الكريم لها، فهى تستمد قوتها كمصدر للأحكام من أمر القرآن الكريم ذلك في مثلى قوله عز وجل: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)[1] .

وقوله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[2] وبهذا احتج "ابن مسعود". عندما جادلته امرأة فى حديثه عن لعن النساء المتبرجات بتزوير الخلقة، زاعمة أن ذلك ليس فى القرآن الكريم.. فقد روى البخارى ومسلم عن عبدالله بن مسعود آنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسين، المغيرات خلق الله.. فقال له امرأة فى ذلك- أى اعترضته- فقال: ومالى لا العن من لعنه رسول الله ﷺ و هو فى كتاب الله؟ قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[3].

٢- أن هذه السنن من أقوال وأفعال وأحكام وتقريرات انما تنبنى على الدعائم الممهدة من كلام الله تعالى جل شأنه، وتمتد فى اتجاهها وترتكز عليها، فهى أشبه بالتوابع الفلكية مع أمهاتها من الكواكب الكبرى.

3- أن القرآن الكريم يقينى الثبوت فهو متواتر جملة وتفصيلا...أما السنة فإن منها المتواتر، وأكثرها أخبار آحاد. وروايات الآحاد تفيد الظن العلمى. لا القطع الجازم، والأحكام الشرعية المهمة تعتمد على اليقينيات لا الظنيات..

4- ومن المسلم به أن القرآن الكريم وصل إلينا كاملا، لم ينقص صيانته فى ضبط لم يؤثر البتة عن كتاب فى الأولين والآخرين.

أما السنن فقد تأخر تدوينها، والتحق بها ما ليس منها، فاجتهد الأئمة فى غربلتها، ونقد طرقها ومتونها، واختلفت أنظارهم فى ذلك، بين التصحيح والتضعيف والقبول والسرد... ولاشك أنهم وضعوا قواعد للنقد العلمى تستحق كل احترام، وجردوا تراث النبوة وما قد يعلق به من أوهام ... بيد أن جملة السنن التى وصلت إلينا بعد ذلك الجهد لا يمكن القطع بأنها كل ما قاله رسول الله ﷺ، وأن الرواة آحصوافى سجلاتهم كلام النبى ﷺ كله لم يسقط منه شئ... وذلك عكس القرآن الكريم فان ثبوته كله يجعل هيمنته على مصادر التشريع لا تقبل جدلا.. ومعاذ الله أن نغمط السنة حقها، فهى ضميمة إلى القرآن الكريم لابد منها... ونحن نعلم أن معالجة التطبيق العملى للمبادى والأسس العامة، تتطلب فيضا من التفصيلات والتفريعات المنوعة، وقد قامت السنة الشريفة بهذه الوظيفة بالنسبة للقرآن الكريم... وكذلك القرآن الكريم بالنسبة للسنة الشريفة

---

[1] سورة المائدة ٩٢

[2] سورة النساء 80

[3] . سورة الحشر ٧ .

المروية كلها، إنها تسير فى هداه، وتنطلق إلى مداه، وما يسوغ لفقيه مسلم أن يفهم غير هذا، ولا لمجتمع مسلم أن يحيا على غيرها[1]...

وعن وظيفة السنة بالنسبة للقرآن الكريم يقول الشيخ : لقد كنت عندما أحب الاستشهاد بالكتاب أو السنة فى موضوع ما... ألاحظ هذه الحقيقة وأجد طائفة كبيرة من الأحاديث تطابق فى معانيها وأهدافها ما تضمن القرآن الكريم من معان وأهداف: وأن هذه الأحاديث قد تقرر المعنى نفسه، الذى احتوته الآية، أو تقرر معنى آخر، يدور فى فلكه وينتظم معه فى اتجاه واحد، وأن يسد للعين المجردة أن الصلة بينهما بعيدة.. فمن القبيل الأول: يقول الرسول ﷺ: (اللهم لامانع لم أعطيت ولا معط لما منعت.).. فإن هذا المعنى لا يخرج عن قول الله عز وجل: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم)[2].

ومن القبيل الثانى : أن الرسول ﷺ "نهى أن يشرب فى آنية الذهب والفضة وأن يؤكل فيها ، ونهى عن لبس الحرير وأن يجلس عليه"... فإن هذا الحكم الذ جاءت به السنة مشتق من تحريم القرآن الكريم للترف واعتبار المترفين أعداء كل إصلاح وخصوم كل نبوة ، وعوامل للهدم فى كل أمة: (وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال متر فوها انا بما أرسلتم به كافرون)[3]...

والسنة التى تكون بهذه المثابة فى تقرير غايات القرآن المرسومة أو المفهومة ، أو التى تفصل مجمله وتوضح مشكلة، تأخذ قسطا كبير من عناية المسلمين، ومنزلتها من أدلة الأحكام الشرعية معروفة. وهناك سنن أخرى تخصص أحكاما عامة فى القرآن الكريم

ففى قوله تعالى: (يوصيكم الله فى اولاد كم الذكر مثل حاظ الأنثيين)[4]

بينت السنة أن الإبن القاتل لاحظ له فى الميراث، وفى قوله تعالى: (حرمت عليكم الميته والدم ...)[5] . بينت السنة أن هناك مباهين فى كل من هذه المحرمات: (أحلت لنا مينتان ودمان السمك وال جراد و الكبد و الطبحال)... وفى قوله عزوجل: (والسارقى والسارقة فاقطعوا أيديهما..). بينت السنة أن ليس كل سارق يقطع إذ لا قطع فيما دون النصاب المقرر ، ولا قطع على جائع ينشد

---

[1] الشيخ محمد الغزالى نظرات فى القرآن ص 150وما بعدها ط دار الكتاب الاسلامية ط 6 ١٩٨٦م .

[2] سورة فاطر ٢

[3] سورة سبأ 34

[4] سورة النساء ١١

[5] سورة المائدة ٣٨.

ط مه، ولا على مغصوب يسترد ما أخذ منه .. فإذا ثبت القطع ، ففى اليمين ، وعند الرسغ كما بينت السنة ...

وقد جاءت السنة ببعض العزائم التى أمر الكتاب العزيز بسسها . فالقرآن الكريم مثلا يأمر بغسل القدمين وبعد ذلك ركنا فى الوضوء وتنظيف الرجلين أمر لابد منه فى صحة الصلاة.. وقد بين رسول الله صل الله عليه وسلم: أن الرجل إذا أدخل قدميه طاهرتين فى خفيه أو جوربيه، فليس بضرورى أن يعيد غسلهما كلما أراد الوضوع.. وبحسبه أن يمسح على ظاهرهما- فوق الحذاء أو الجورب- إشارة الى الركن الذى الحقته الرخص...

وهذا الذى صنعه رسول الله ﷺ وأمر به ، ليس هوى جنح إليه. قال تعالى: (ما ضل صاحبكم وماغوى، ومسا ينطق عن الهوى)[1] إنما هو إرشاد الله تعالى له، وهو عمل يتسق مع قاعدة الإسلام الأولى فى السماح والتيسير وليس فيه أى تناقض مع تعليم القرآن... ونستطيع أن نقول: إنه ليست هناك سنة تعارض أحكام القرآن الخاصة، أو قواعده العامة... ثم إن الحديث الواحد لا نأخذه على حده عند الاستدلال، بل يجب أن نأخذ كافة الأحاديث التى وردت فى موضوع واحد ثم تلحقها بما يؤيدها ويتصل بها من الكتاب الكريم، ولن نعدم هذه الصلة .

أما الاستدلال هكذا خبط عشواء بما يقع تحت أبصارنا من حديث قد نجهل الظروف التى قيل فيها، والمدى الذى يعمل فيه، فهو ضلال عانى المسلمون قديما مغبته، ويعانون الأن أضراره..

وتحت عنوان السنة حق يقول الشيخ: إذا صح أن رسول الله ﷺ امر بشى آو نهى عن شئ، فان طاعته فيه واجبه. وهى من طاعة الله تعالى... وما يجوز لمسلم أن يستبيح لنفسه التجاوز عن أمر للرسول فيه حكم... والمسلمون متفقون على اتباع السنة وصفها المصدر الثانى للاسلام بعد القرآن الكريم. لكن السنن الواردة تتفاوت ثبوتا ودلالة تفاوتا لا محل هنا لذكره... وقد وضعت لضبط ذلك مقاييس عقلية جيدة، يرجع إليها فى مظانها من شاء.

ولكن المؤسف أن بعض القاصرين- ممن لاسهم له فى معرفة الإسلام أخذ يهجم على السنة بحمق، ويردها جملة وتفصيلا.. وقد يسرع الى تكذيب حديث يقال له، لا لشئ ، إلا لأنه لم يرقه، أو لم يفقه....

وتكذيب السنة على طول الخط احتجاجا بأن القرآن الكريم حوى كل شى بدعة جسيمة الخطر... لأن الله عز وجل ترك لرسوله ﷺ رسله السنن العملية يبينها

---

[1] سورة النجم ٢ ، 3 .

ويوضحها، وقد ثبت هذه بالتواتر الذى تربيت به قرآن فكيف تجحد وحدها ويعترف بالقرآن..... و كيف نصلى و نصوم و تحج ونزكى ونقيم الحدود، وهذه كلها ما أدركت تفاصيلها إلا بالسنة وإنكار المروى من سنن الأحاد.... لمحض الهوى- عصيان مخوف العاقبة... والواجب أن ندرس السنة دراسة حسنة وأن ننتفع فى ديننا بما ضمت من حكم وآداب وعظات .... والسنة- لكثرة ما عرضت له من تفاصيل- تضمنت أحكاما كثيرة، والأحكام قيود توضع على تصرفات الناس، والقيد عندما يجئ فى مكانه الذى يناسبه ويلائمه، لايكون هناك معنى للتبرم به والانكار عليه ... إنما ينشأ الاعتراض من سوء استعمال هذه القيود لأنها- والحالة هذه- سوف توصد أبوابا يجب أن تفتح، وتضيق حدودا يجب أن تفسح، وتحظر حركات يجب أن تأخذ مداها دون حرج[1]

مفهوم الشيخ للسنة التى يجب أن تسود بين المسلمين:

يقول الشيخ: لا أدرى لماذا لم تزدهر دراسة الشمائل النبوية، ولماذا لم تشع معرفة السيرة الشريفة بين أنواع العلوم التى احتفى بها الأولون؟؟ كان التاريخ كله علما ثانويا فى مواريثنا الثقافية، وكان موضوعه مجالا رحبا للخرافيين والكذبة.... وكانت حياة الرسول تأخذ جانبا محدودا من هذا التاريخ، ولم يتصد لها من يربط بين فصولها، أو يبرز ضروب الحكمة المستكسنة فى مراحلها وأدواتها وأدوارها، أو يشرح حقيقة الأسوة المطلوبة منها... كل ما هنالك جملة من الأحاديث المتفاوتة القيمة يشرح الحديث منها فى نطاق خاص به. دون محاولة لجمعها فى صعيد متكامل، تستبين منه الصورة الجامعة لخلال النبوة، ومواقفها بازاء مشكلات الحياة وقضاياها الكثيرة... إن الكلمات المنقولة عن شخص ما، لها دلالتها التى لاشك فيها، بيد أنى أحب أن أحاكم هذه الكلمات الى حياة هذا الشخص، وطبيعة أعماله منذ أن ولد إلى أن مات.. فإذا استيقنت من متابعة أعماله أنه كان مجاهدا لا يفتر رفضت آى كلمة تنسب اليه وهى توحى بالقعود أوالاسترخاء... وأنكرت كذلك على من يتأسى به وهو كسلان خوار، ولو تعلق ببعض النقول المروية عنه، أو أدى بعض الوصايا التى أمر بها يقينا... لقد راقبت رجالا وطوائف تتصل بالسنة، وتتدارس أحاديث منها كثيرة أحاديث لاحصر لها.. ومع ذلك فنصيبهم من الأسوة الحسنة تافه، ذلك لأنهم ربما استوعبوا التفاصيل الجزئية لناحية من حياة الرسول ﷺ، وذهلوا عن الصورة الكاملة والمعنى الجامع ... وقد يكون استحضار هذا المعنى الجامع متعذرا مع تشعب التفاصيل التى غرقوا فيها... فان جمال امرئ ما، لا يعرف

[1] الشيخ محمد الغزالى ليس من الإسلام ص 35 ط دار الكتب الإسلاميه ط 5 1983م.

من تسليط عدسة مكبرة على جزء من جسمه. وإنما يعرف قبل كل شى من التقاط صورة عامة لملامحه متناسقة مترابطة.. ومن هنا كان لابد من تصوير حياة الرسول للناس تصويرايهدى بجلاء الى عبادته، وجهاده، وخلقه وقضائه، وسلمه وحربه، وإقامته وسفره، وسلوكه في بيته ومع الناس... وعلى ضوء هذه الصورة الشاملة يمشى المسلمون...

وهذه الصورة هى حجر الزاوية فى السنة، ومنها تتفرع سائر البحوث التى يعنى بها الأخصائيون وحدهم.. أما قضاء بضعة شهور فى قراءة ألف حديث تتصل بأبواب الوضوء، فذلك جهد لا تصلح به حال المسلم من أوساط الناس، ولاتخدم به السنة ...

ثم ان حياة محمد ﷺ هى تطبيق العملى لتعليم القرآن الكريم، كما أن القرآن الكريم هو الجانب العلمى من هذه الرسالة الشاملة، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك تفاوت بين الكتاب والسنة، أى أنه لا مكان فى السنة لأثر يخالف روح القرآن العامة، أو أحكامه المحدودة، فإذا بدا مايوهم ذلك فى بعض المرويات فنحن لا نترك كتاب ربنا، وسنة نبينا لقول أحد من النـاس: أن رسول الله ﷺ قال: كذا أو كذا... ويؤسفنا أن تنشر خلال القرون السالفة أحاديث كثيرة كانت بعيدة الأثر فى إفساد تصور العامة لحقائق الدين والدنيا، لا كانت قيودا ثقالا فى منع الأمه من الحركة، وشل نشاطها النفسى أوالفكرى، أوتصريفه فى أعمال عديمة الجدوى... وهذه الأحاديث بعضها موضـوع، وبعضها ضعيف، وبعضها صحيح حرفته عن موضعه العقول القاصرة، والأفهام الكليلة، فأصبح ضرره أكثر من نفعه، وكان إقبال العامة على هذه الأحاديث صار للهمم عن الاشتغال بالقرآن نفسه... مع أن القرآن الكريم هو الأصل الأول للإسلام..... ومع أن السنن لا تقبل إلا إذا سارت فى اتجاهه، واستقامت مع أهدافه.... فإذا فتر أخذ الأمة بكتابها، فقد أضاعت وحى الله تعالى، وهدى رسوله ﷺ جميعا.. إن السنن العملية المتواترة مثل القرآن الكريم وبيان لما أجمل فيه .. أما سنن الآحاد فإن العلماء- ليضمنوا مجيئها من لدن الرسول- وضعوا لصحتها وقبولها شروطا معقولة:

1- ضبط الرواة. ٢- صدقهم .

٢- اتصال سندهم الى الرسول ﷺ نفسه.

4 - وكون المتن خاليا من الشذوذ.

5- ومن العلل القادحة .

والشرطان الرابع والخامس لم يلقيا من دقة التنفيذ ما يجب.

فما أكثر الأحاديث التى صحت أسانيدها، ومع ذلك خالفت ما هو أوثق منها.. أو حف بها من الشبة ما يقدح فى قيمتها، ومع ذلك تلقاها الناس بالقبول؟! .

إن القرآن الكريم نقل إلينا متواترا كلمة كلمة، ومع ذلك فقد فتحنا صدورنا لروايات أحاد بقراءات شاذة.. لماذا؟ مع أنه يكفى فى إسقاط الحديث عن درجة الصحة مخالفته ما هو أوثق منه، وكما يجب إعدام هذه الأحاديث (الموضوعة)، ويجب إعدام أى حديث يفيد توجيها غير ما يفيده القرآن الكريم...

وهناك علل تقدم فى متن الحديث ولو صح سنده مثل:

لقد أنكر الشيخ محمد عبده أحاديث سحر الرسول ﷺ- وإن كانت من رواية البخارى- لأنها غضاضة غير لائقة بمكانة النبوة... ولو ساغ أن هذا التخييل يؤثر فى النفوس الضعيفة، فكيف يقوى يهودى على التأثير فى أقوى نفس بشرية، وهى نفس الرسول ﷺ، وما معنى القول: أن هذا التأثير فسى اعضائه لافى روحه، معآن السحريعتمد على قوى خفيه فى زعم مثبتيه لا على وسائل مادية، وإذا صح هذا فلم لا يصح قول المشركين: (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)[1].

الحق أن السلف كانوا أحسن منا فهما للاسلام، وعملا به، ووعيا لأصوله، ونحن لم نبلغ مبلغهم من العلم إلا إذا رزقنا من أصالة الفقه مثل ما رزقوا، وبهذا تسترد السنة مكانتها الأولى.

إن فى السنة كنوزا من الحكمة والمعرفة، وزادا من الأدب والتقوى، ولكن استخراج هذا الخير يحتاج إلى اليد الصناع والعين البصيرة[2].

كانت هذه هى الأراء العامة للشيخ فى السنة الشريفة ودارت هذه الأراء حول ما يجب أخذه وما يجب تركه من الأحاديث، ولكنه ألف بعد ذلك كتابا فصل فيه ما أجمل من آرائه السابقة. وأطلق على هذا الكتاب اسما يعبر عن اتجاهه، وهو (السنة النبوية بين أهل الفقه، وأهل الحديث). وبين فيه المقبول والمرفوض من الأحاديث من وجهة نظر، وهى كمايلى:

١- يقول الشيخ: ابن حجر شارح صحيح البخارى فى كتابه الجليل فتح البارى الذى قال فيه العلماء بحق: لا هجرة بعد الفتح، ان الرجل على صدارته

---

[1] سورة الفرقان ٨ ، ٩

[2] الشيخ محمد الغزالى الإسلام والطاقات المعطلة ص 69 ومابعدها ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٢ 1 ط 4

فى علوم السنة قوى حديث الغرانيق[1] واعطاه إشارة خضراء فمر بين الناس يفسد الدين

والدنيا، والحديث المذكور من وضع الزنادقة يدرك ذلك العلماء الراسخون، وقد انخدع به الشيخ محمد بن عبد الوهاب فجعله فى السيرة التى كتبها عن رسول الله ﷺ، والشيخ هو من هو غيرة على عقيدة التوحيد ودفاعاعنها، ثم جاء الوغد الهندى سلمان رشدى فاعتمد على هذا الحديث المكتوب فى تسمية روايته آيات شيطانية، اليسر من حق علماء الكلام والفقه والتفسير أن يحاربوا هذا القذر، بل إن حراس السنة الصحيحة رفضوا هذا الحديبيش.. إن هناك الافا من الأحاديث الخالية من العلل والشذوذ تم تسجيلها فى دواوين السنة، فإذا بقى نزر يسير يتعاون فى ضبطه الفقهاء والمحدثون فذلك خير وأولى.

٢- يقول الشيخ: انظر موقف السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عندما سمعت حديث (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، لقد أنكرته وحلفت أن الرسول ﷺ ما قاله، وقالت- بيانا لرفضها إياه-: أين منكم قول الله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[2]. إنها ترد ما يخالف القرآن الكريم بجرأة وثقه، ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من السيدة عائشة ما يزال مثبتا فى الصحاح، بسبل إن (ابن سعد) فى طبقاته الكبرى كرره فى بضعة آسانيد، قال: (أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطا لما طعن عولت حفصة، فقال: يا حفصة أما سمعت النبى ﷺ يقول: إن المعو عليه يعذب؟ قال: وعول صهيب فقال عمر: يا صهيب أما علمت أن المعول عليه يعذب؟.

وعن ابن أبى مليكة قال: توفيت ابنة العثمان رضى الله تعالى عنه بمكه، وجئنا لنشهدها، و حضرها ابن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وإنى لجالس بينهما.. فقال عبد الله ابن عمر لعمرو بن عثمان: ألا تنهى النساء عن البكاء؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الميت ليعذب بكاء أهله عليه)[3]. قال ابن عباس: قد كان عمر يقول بعض ذلك فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة، فقالت رحمه الله تعالى عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ (إن الميت يعذب بكاء

---

[1] حديث الغرانيق أوردها بعض كتاب السير والمفسرين- الذين لا يحققون الروايات- في سبب رجوع مهاجري الحبشة عند تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ..) الآية : ٥٢ – 4 ه من سورة الحج. وهي قصة باطلة نقلاً وعقلاً . راجع السنة النبوية د/ محمد أبو شهبة [1 / 4 ٢٦] .

[2] سورة الأنعام 164

[3] أخرجه البخاري كتاب الجنائز (٢3) باب : قول النبي ﷺ " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه "(٣٣) ٢/ ٨١-٨٠ . و بنحوه مسلم كتاب الجنائز (١١) باب: الميت يعذاب بابكاء اهله عليه (9) رقم (٢٩ 9) ٢/ 621- 622 . والأية من سورة الأنعام (164) وسورة الإسراء (15) و قاطر (١٨) و الزامر (٧) .

أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه). وقالت حسبكم القرآن "ولا تزر وازرة وزر أخرى " قال ابن عباس عند ذلك : والله هو أضحك وأبكى – يعنى أن البكاء على الراحلين طبع لا حرج فيه، ولا تثريب عليه.

وعندى أن المسلك الذى سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ويرى البعض بأن معنى تعذيب الميت بكاء أهله عليه أن الميت يتعذب أى يتألم، وهو تأويل لطيف وإذا قبلناه لم يختلف الحديث مع الكتاب الكريم.

٣- و عن الذى دنا فتدلى فى سورة النجم يقول الشيخ: جاءت فى الأحاديث المنقولة بطريق الأحاد، رواية مستغرب أن الذى دنا فتدلى هو الله، والرواية تخالف المتواتر المقطوع به فى الكتاب والسنة، ومن هنا لم يكترث بها المحققون بل جمدت فى مكانها حتى جاء ضعفاء الفقه فى القرآن الكريم كثيرة النظر فى الأحاديث يصدرون الأحكام، ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة.

وقد جاء الإمام مسلم، رحمه الله تعالى فعلق على رواية إمامه البخارى رحمه الله تعالى فبين ما بها من عطب، وذكر أن الخطأ جاء

من شريك عن أنس بن مالك الذى ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وآخر.....

إن مسلما (الإمام مسلم) مضى على منهج المحدثين، فناقش عمل شريك الراوى عن أنس- ثم رفض المتن، وحسنا فعل ..

إن الخطأ فى تفسير آية "النجم" ة الزعم بأن المعنى (دنا الجبار رب العزة فتدلى) كان مثار استنكار السيدة عائشة رضى الله عن عنها، فلما سألها مسروق: يا أماه هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعر رأسى مما قلت. أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)[1]. (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب)[2]، ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت (و ما تدرى نفس ماذا تكسب، غدا و ما تدرى نفسى بأى أرض

---

[1] سورة الانعام ١٠٣

[2] سورة الشورى ١ ه.

تموت)[1]. ومن حدثلك أن محمد اكتم أمرا فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)[2]

ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين .

وأم المؤمنين عائشة فقيهة محدثة أديبة، وهى وقافة عند نصوص القرآن الكريم، ترفض أدنى تجاوز لها.. وعندما علمت أن النبى ﷺ وقف على حافة البئر التى دفن المشركون بها يناديهم بأسمائهم كان لها تعليق جدير بالتدبير..

والرواية فى هذا أن النبى ﷺ مشى واتبعه أصحابه، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله" فإن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ .

فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال: والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، أنكرت عائشة عبارة "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم مستدلة بالآية الشريفة (ما أنت بمسمع من فى القبور)[3].

قال قتاده مبينا الرواية الأولى ومدافعها عنها: أحياهم الله حتى آسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا.

والذى أراه أن الرواية الأولى لا تحتاج الى هذا الدفاع، فالموتى لم يفنوا، وصوت النبوة يبلغهم وهم فى سجين، ولكن عائشة رضى الله تعالى عنها، لا تقل مايعارض- فى ظاهره- لفظ القرآن الكريم، فالموتى عادة لا يكلمون ولا يسمعون، وإنما يعلمهم الله بما يشاء، فإذا علموا فكأنهم سمعوا، والعبارة مقبولة على طريق المجاز...

4 – عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتنى إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عينى، قال: فرد الله تعالى إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدى فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضيع يدك عل متن ثور، فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالأن من قريبا،

---

[1] سورة لقمان ٢٤

[2] سورة المائدة 67 .

[3] سورة فاطر ٢٢

رب أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر.. قال رسول الله ﷺ: والله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر[1]

قال المازرى: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكسروا الصورة قالوا: كيف يجوز على موسي فقئ عين ملك الموت؟ قال: وأجاب العلماء عن هذه الشبهة بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون موسى- عليه السلام- قد أذن الله تعالى له فى هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحانا للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل فى خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد.

الثانى:- أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فعليه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحج، ويقال : عورت الشئ إذا أدخل فيه نقصا... وعلق المازرى على الرأى الثانى بقوله: وفى هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم "فرد الله عينه " فإن قيل: أراد حجته كان بعيدا.

والثالث: أن موسى ﷺ، لم يعلم أنه ملك من عند الله تعالى، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه (أى يريد قتله) فدافعه عنها، فأدت المدافعة الى فقع عينه، لا أنه قصدها بالفقع وهذا جواب الإمام أبى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازرى والقاضى عياض

قالوا: وليس فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقئ عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت....فالجواب أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى.

ويطلق الشيخ على دفاع المازرى بقوله: هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو الدفاع لا يستساغ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل فى أعراض المسلمين ، والحق أن فى متنه (الحديث) عليه قادحة، تنزل أباه عن مرتبة الصحة، ورفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافا قائديا، والعلة فى المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي.

وأخيرا فهذا الحديث وأمثاله مما لا صلة له بعقيدة أو سلوك قار فى مكانه، تعدوه العين الى المهم من تعاليم الإسلام العملية، فمن نبش التراب عنه، وشغل الناس به، ونسب الى الإلحاد من يتوقف فيه، إن أعداء الصحوة الإسلامية من وراء هذا الحراك الطائش.

---

[1] أخرجه البخاري لك الجنائز (٢3) بابا: من أحب الفن في الأرض المقدسة (69) 92/2، 93، كتاب: الأنبياء (60) بابا : وفاة (31) 4/ 130، 131 ومسلم كتاب الفضائل (٤٣) باب : من فضائل موسى (42) 1842/4، 1843.

وقد لفت نظر الشيخ إلى هذا الحديث أحد الطلاب فى الجزائر حين سأله عن هذا الحديث وفى هذا يقول الشيخ: وقد وقع لى وأنا بالجزائر أن طالبا ليسألني: أصحيح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه، بعدما استوفى أجله؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر وماذا يفيدك هذا الحديث إنه لا يتصل بعقيدة، ولا يرتبط به عمل، والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى، وخصومها طامعون فى إخماد أنفاسها، اشتغل بما هو أهم والجوى... قال الطالب: أحببت أن أعرف هل الحديث مروى عن أبى هريرة وقد جادل البعض فى صحته..... وعدت لنفسي أفكر: إن الحديث صحيح السند لكن متنه يثير الريبة. إذ يفيد أن موسى يكره الموت، ولا يحب لقاء الله تعالى بعدما انتهى اجله، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة للصالحين من عباد الله اهالى كما جاء فى الحديث الاخر: (من احب لقاء الله أحب الله لقاءه)[1] فكيف بأنبياء الله تعالى؟ وكيف بواحد من أولى العزم؟ .

كانت هذه الأفكار هى بداية اعتراض الشيخ على هذا الحديث وعلى بعض الأحاديث الأخرى التي صحت أسانيدها وبقى في متنها علة قادحة وسوف نرى عند عرض رأى المعترضين على ما ذهب اليه الشيخ هل هذه العلل مسلم بقدومها فى صحة الحديث أم لا؟

ه- وعن الرجل المتهم بام ولد يقول الشيخ: استغربنا ما رواه ثابت عن أنس: أن رجلا كان يتهم بأم ولد، فقال رسول الله ﷺ لعلى: اذهب فاضرب عنقة، فأتاه على فاذا هو فى ركى يتبرد فيها، فقال له على: أخرج، فناوله يده، فأخرجه فإذا هو مجوب ليس له ذكر، فكف على عنه ثم أتى النبى ﷺ، فقال: يارسول الله إنه لمجبوب ماله ذكر. ويقول الشيخ تعليقا على هذا الحديث: يستحيل أن يحكم على رجل بالقتل فى تهمة لم تحقق، ولم يواجه بها المتهم، ولم يسمع له دفاع عنها، بل كشفت الأيام عن كذبها. وقد حاول النووى غفر الله لنا وله تسويغ هذا الحكم، بقوله: لعل الرجل كان منافقا مستحقا للقتل لسبب آخر، ونقول: متى أمر رسول الله ﷺ بقتل المنافقين؟ ما وقع ذلك منه، بل لقد نهى عنه.

وظاهر من السياق أن الرجل نجا من القتل بعدما تبين من العاهة التى به استحالة توجيه الاتهام إليه، أفلو كان سليما ابيح دمها؟ هذا أمر تأباه أصول الإسلام .. وفروعه كلها ..

---

[1] أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء (48) باب : من أحب لقاء الله - رقم : ٢٦٨٤ -4/ 2065- 2066.

إن بالحديث علة قادحة، وهى كافية فى سلب وصف الصحة عنه، وأهل الفقه لا أهل الحديث هم الذين يردون هذه المرويات[1] قال بعض المدافعين عن هذا الحديث: لعله من باب التعزير؟ وهذا تفكير مستنكر. هل الإسلام أعطى ولى الأمر حق قتل الناس لشبهه أو شائعة؟ أباسم التعزير تستباح الدماء؟ إننا نقتل ديننا بهذا الفهم، ونعرض سيرة نبينا للقيلي والقال.

٦- تحريم نعى الموتى: و عن تحريم نعى الموتى يقول الشيخ: جاء فى بعض الطلاب يقولون أنهم قرؤوا أحاديث تفيد ذلك (تحريم نعى الموتى). ومن ثم فهم يستنكرون الاذان بأخبار الموتى.

قلت إن النعي المكروه ما كان استعراضا للماثر والمفاخر، وتنويها بالأفراد والأسر، أما ما عدا ذلك فلا شائبة فيه، بل لابد منه.

قالوا ما رواه الترمذى وابن ماجه غير ما تقول، عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال عندما احتضر: (إذا أنا مت فلا تؤذن على أحدًا، إنى أخاف أن يكون نعيا، وإلى سمعت رسول الله ينهى عن النعى). هكذا روى الترمذى وأكد ابن ماجه الرواية إلا أنه قال: كان حذيفة إذا مات له الميت قال: (لا تؤدنوا به أحد، إنى أخاف أن يكون نعيا، إنى سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين اينهى عن النعى).

وعن عبد الله بن مسعود (أن رسول الله كان ينهى عن النعى، وقال إياكم والنعى فإنه من عمل الجاهلية) قال عبد الله والنعى أذان بالميت.

يقول الشيخ: ونحن نؤكد أن النعى المحظور ما قارنه الرياء وأحياء العصبية أما الإخبار المعتاد فيستحيل كرهه.

وما أكثر الأحاديث المنتشرة اليوم بين الشباب، يستنتجون منها أحكاما سيئة، إن قبلنا سندها- على إغماص- فإن متنها لا يصح قبوله.

7 - سكن الشام: يقول الشيخ: وقد قرأت للمنذرى فى كتابة (الترغيب والترهيب) ستة عشر حديثا فى سكن الشام وما جاء فى فضلها. منها ما جاء عن زيد بن ثابت: قال رسول الله ﷺ، يوما ونحن عنده: (طوبى للشام ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه).

وأغلب الأحاديث الستة عشر تدور على هذا المعنى، وأغلبها من رواية الترمذى، و الحاكم والطبرانى، و ابن حيان، وابى داود .....واحمد

---

[1] لا اتفق مع الشيخ فيما ذهب إليه من جدارة أهل الفقه برد بعض الأحاديثوأرى أن علماء الجديث هم الأجسدر يبحث أى شى يتعلق بفنهم وتخصصهم ، وسوف يزاد هذا الموضوع بسطا أثناء المتابعة بسبإذن الله تعالى .

ونحن نحب أقطار الإسلام كلها ونعد أهلها اخوتنا، ونرى نصرتهم دينا، وخذلانهم كفرا، ومايروى فى تفضيل بلد على آخر

والترغيب فى سكناه، أوالمرابطة فيه فهو عندما يتعرض الإسلام للخطر من قبله أو تحديث، ثغرة فى حسدودة تتطلب الرجال لسدها... والواقع أن دار الإسلام الآن مهدرة من تفسيرات شتى، والغزاة يتوانيون حولها شرقا وغربا.....

ولما كانت فلسطين جزءا من الشام فنحن نعبد الفرار منها عصبيانا ، والثبات فيها جهادا، وللمدافعين عن الإسلام فى أفغانستان والفلبين ، وسائر أراضيه كل الحقوق التي لعرب فلسطين ، أو الأرض الشام كما جاء في الأحاديث الستة عشر.....

٨- كان عمر رضى الله تعالى عنه يشغل نفسه ويشغل الناس معه بالقرآن الكريم، ويوصى الجيوش ان تلهج به وتعكف عليه، ومن قضيته التى استند فيها إلى القرآن الكريم وحده: ما رواه ابن إسحاق، قال: كنت جالسا مع الأسود بن يزيد فى المسجد الأعظم، ومعى الشعبى، محدث بحديث فاطمة بنت قيس: ان رسول الله ﷺ، لم يجعل لها سكنى ولا نفقة.

و كانت قد طلقت ثلاثا، فاخذ الاسود كفا من حصا فحصبه به، ثم قال ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى حفظت أن نسميت، لها السكن والنفقة، قال تعالى: (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشمسة مبينة[1])

وحديث فاطمة المذكور هو موضع خلاف بين أهل الفقه. رفضه الأحناف وقبله الحنابلة، ويرى المالكية والشافعية: أن المطلقة ثلاثا لها المسكن دون النفقة.

9 – ومع أن اتجاه الشيخ فى كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) يتجه فيه الشيخ إلى نصرة رأى أهل الفقه، إلا أنه فى هذا الحديث يلوم اهل الفقه فيما ذهبوا إليه وهذا يدل دلالة واضحة أن الشيخ كان ينشد الحق وحده، وإن اخطأ فى السعى إليه كان ذلك الخطأ من أخطاء المجتهدين.

يقول الشيخ: اتفق المحدثون أن رسول الله ﷺ قال (لا تتكلم الأيام حتى تستأمر، ولا تتكلم البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت)[2]

---

[1] سورة الطلاق ١

[2] البخاري لك النكاح . باب : لا ينكح الأب وغيره البكر والثيسب إلا برضاها (١٢٦ ه) وفي الك : الإكراه (1 4 19) ومسلم كتاب النكاح . باب : استئذان الثياب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت (1 ٤٦) .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أن جارية بكرا أنت النبى ﷺ فذكرت: أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها رسول الله[1]

وفى رواية آن فتاة دخالت على عائشة فقالات ان آبى زوجنى من ابن أخيه يرفع بى خسيسته وأناله كارهة، قالت عائشة: اجلسى حتى يأتى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، فأخبرته فأرسل الى أبيها فدعاه- فجعل الأمر إليها. فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى، ولكنى أردت أن أعلم التساء أن ليس للأباء من الأمر شئ[2]

ومع هذا فإن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج بمن تكره !! ولا نرى وجهة النظر هذه إلا أنسياقا مع تقاليد إهانة وتحقير شخصيتها[3].

وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب (السنة النبوية) يتحدث الشيخ من صب 3 4 : ٩٩ % عن عالم النساء، وكل الأحاديث التى ذكرها فى هذا الجزء من الكتاب سبق تخريجها والتعليق عليها فى الباب الثالث تحت عنوان قضية المرأة.

وفى الجزء الثالث من كتاب (السنة النبوية) للشيخ، يتحدث عن الدين بين العادات والعبادات ويعترض على الأحاديث الأتية:

1 - يقول الشيخ: وقد وردت أحاديث شتى في آداب الأكل بعضها صحيح، وبعضها مرفوضى، وبعضها من عادات العرب فالقول بأن استعمال السكين في الأكل حرام، لا أصل له، وقد روى أبو داود حديثا عن عائشة جماع فيه: (لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنع الأعاجم وانهشوه نهشا فإنه اهنا وامرا). وهذا حديث باطل فقد ثبت فى الصحاح أن الرسول علية الصلاة والسلام كان يستخدم السكين فى تقطيع اللحم وهو يأكل وسند الحديث المروى عن أبى داود مرفوض.

2- وروى آبو داود عن وحشى بن حرب آن الصحابة قالوا يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع قال: (فلعلكم تفترقون؟ قالوا نعم. قال: فاجتمعوا على طعامكم

---

[1] أخرجه أبو داود في النكاح . باب : البكر يزوجها أبوها ولا يستأمرها (2096) . وابن ماجة في النكاح باب : من زوج ابنته وهي كارهة (1875) .

[2] أخرجه أخرجه ابن ماجة ك النكاح. باب: من زوج ابنته وهي كارهة (1874) والنساني لك: النكاح . باب : الثيب يزوجها أبوها وهي كارهة رقم : ٢٢٦٩.

[3] الشيخ محمد الغزالى السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث ص 19 ومسا بعدها طدارالشروقى ١٩٩١ ط٩.

واذكسروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه). ونحن نرى فى هذا الحديث بواعث الجود

واستضافة الفقراء ومحاربة الأزمات، قد لا يجوز ترك المحرومين يتضورون جوعا. ولا يجوز أن يفهم من الحديث تحريم الأكل فى طبق واحد كيف والله سبحانه وتعالى يقول (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا)[1]. ولو وضع لكل فقير طعام فى صفحة ما كان هناك من حرج... ولأي إنسان أن يأكل بيمناه مباشرة أي يأكل بمطقة، ففي الأمر سعة. وكان العرب يأكلون بأيديهم. تلك عادتهم، ولا غرابة إذا كان الأكل بيده يلعق أصابعه. ولكن جعل هذه العادة دينا مما لا أصل له. ومن الدين ألا يترك المسلم فى صفحته طعاما كثيرا أو قليلا ليرمى بعد فى القمامة فهذا مسلك ذميم ، الغريب أن الأوربيين يتركون صحونهم اقرب ما تكون الى النظافة، أما العرب فيدعون فى صحونهم ما يزحم أواني القمامة، وما يقر عين الشيطان بالإسراف.

أما الجلوس على الأرض حتما، والامتناع عن استعمال الملاعق، والحرص على لعق الأصابع..... فهذا تنطع أضر بالإسلام ورسالته وأطلق ضد المسلمين شائعات رديئة. فهل أمست الدعوة إلى التوحيد دعوة الى نمط من سلوك العرب الأوائل حتى في أيام جاهليتهم؟ إن هذا السلوك البدائى صد عن سبيل الله ...

3- يقول الشيخ : قرآت حديثا عن البيهقى يقول فيه: (عليكم بالعمائم فقها سيماء الملائكة وأرخوها خلف ظهوركم) .

وقرأت عدة أحاديث فى فضل العمائم رواها الترمذى وأبو داود، وهى جميعها لا قيمة لها، كما قال الشيخ محمد حامد الفقى : (ليس فى فضل العمامة حديث يصبح). والعمائم لباس عربي، وليس شارة إسلامية، وكذلك العقال. والواقع أن البيئات الحارة تفرض تغطية الرأس والقفا. وقد جاء فى الحديث الصحيح: (كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة).

4- وعن بناء المساكن يقول الشيخ: استغربت ومما رواه الشيخان عن خباب بن الأرت وهو: (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا لم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا التراب ثم يقول: إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب)[2].

ولكلام خباب رضى الله تعالى عنه عليه مسحة تشاؤم غلبت عليه لمرضه الذى اكتوى منه، ولا يجوز أن نعد البناء رذيلة، والأصل الذى ترجع إليه فى سالكنا

---

[1] سورة النور 61

[2] الحديث رواه البخارى ومسلم.

كلها: هو القصد الطيب المصاحب للعمل أو النية الطيبة الباعثة على العمل، فإن كانت النية حسنة فالعمل صالح، وتتحول فيه العادات إلى عبادات .

5- يكرر الشيخ حديث البنيان برواية أخرى فيقول عن قيس بن أبى حازم رضى الله تعالى عنه قال: أتينا خبــاب بن الأرت رضى الله تعالى عنه لنعوده - وقد اكتوى سبع كيات فى بطنه- فقال إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا التراب، ولولا أن النبي صلى الله عليه وسلم، نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، ثم آتيناه مرة آخرى وهو يبنى حائطا له فقال ان المسلم يؤجرفى كل شى ينفقه الافى شى يجبطه فى هذا التراب[1].

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: النفقة كلها فى سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه[2]

٧- و عن انس رضى الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوما ونحن معه فرأى فية مشرفة. فقال ما هذه ؟ قيل لفلان- رجل من الأنصار- فسكت وحملها فى نفسه حتى جاء صاحبها فسلم عليه الناس، فأعرض عنه فصنع ذلك مرارا، حتى عرف الرجل الغضب فيه، والأعراض عنه، فشكى ذلك إلى أصحابه، فقال والله إنى لأنكر نظر رسول الله ﷺ ما آدرى ما حدث فى فقالوا: خرج فرآى قبتك فقال: لمن هذه فأخبرناه، فرجع الرجل الى القبة فهدمها حتى سواها بالأرض، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم، فلم يرها فقال: ما فعلت القبة فحدثوه بما كان من صاحبها. فقال رسول الله ﷺ: أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا. إلا مالا. يعني:مالا بد منه

٨- و عن عبدالله بن عمرو بن العاصى - رضى الله تعالى عنهما - قال : مربى رسول الله ﷺ ، وأنا أطين حائطا لى من خص ، فقال ما هذا يا عبد الله ؟ فقلت : حائطا أصلحه . فقال : الأمر أيسر من ذلك ، وفى رواية مما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك[3].

يقول الشيخ معلقا على هذه الأحاديث: عن دكين بن سعيد المزنى- رضى الله تعالى عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ سألناه الطعام، فقال: يا عمر أذهب فأعطهم،

---

[1] الحديث اخرجه الشيخان .

[2] الحديث رواه الترمذى .

[3] أخرجه ابو د نود والترمذى و مصححه .

فارتقى بنا الى عليه، فاخرج المفتاح من حجرته، ففتح.... يعنى أنه كان هناك غرفة عليا، فلا حرج من بناء غرفة عليا.

والقارى لجلة هذه الأحاديث لا يفكر فى بناء دارة أنيقة ولا قصر شاهقى، بل لطه يرى العيش فى مدفن اقرب الى التقوى...

والصحيح أن هناك أحاديث ترتبط بمناسباتها، وماتفهم إلا فى الجو الذى قيلت فيه، ونحن فى حياتنا المعتادة، قد يفكر امرؤ فى الزواج ويؤخر البت لظروف عارضة، وقد ينو بناء بيت ثم يؤخر البناء لفتن ناشئة، ومنطق الاستقرار غير منطق القلق، ولقد كانت المدينة المنورة تعانى الكثير من أعباء الدعوة والجهاد، والحصار والدفاع، وكانت جمهرة الصحابة تشترك فى السرايا والغزوات، فهى بين قتال أو استعداد له...

وقد نظرت الى الترهيب من بناء القصور وزخرفتها من خلال هذه الملابسات، وإلا فالأصل إباحة الطيبات فى المأكل والمسكن والمنكح، ولو أخذنا الأمر على عمومه، ما بنيت مدينة ولا قامت حضارة...

هنا يربط الشيخ الأحاديث بالملابسات التى أحاطت بها عند قولها، ولم يلجأ إلى رد هذه الأحاديث ولكنه يلجأ إلى نوع من التأويل.

وعن المس الشيطانى حقيقته وعلاجه يقول الشيخ: طرق بابى رجل يقول: إنه بحاجة إلى عونى، فقمت لاستقباله وأنا متعب،

ودهشت لمرآه، فقد كان عملاقا بادى الصحة، ولم تكن عليه سيماء الفقر..
وبدأنى بالحديث من غير مقدمات، قال: إنه مسكون واستعدت ما قال، فكرر شكواه مؤكدا أنه مسكون قلت من سكنك؟ قال: جنى عات غلبنى على أمرى ... قلت وأنا أضحك لماذا لم تسكنه أنت؟ إنك رجل طويل عريض. فسكت حائرا.

وتحدث معى بعض أهل العلم الدينى، كأنهم رأوا إنكارى على أولئك المرضى، وقالوا لى: لماذا ترفض فكرة احتلال الشياطين لأجسامهم؟ وكان جوابى محددا: لقد شرح القرآن الكريم عداوة ابليس وذريته لأدم وبنيه، وبين أن هذه العداوة لا تعدو الوساوس والخداع: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلـك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)[1]

[1] سورة الإسراء64

وليس يملك الشيطان فى هذا الهجوم شينا قاهرا إلا إنه يملك استغفال المغفلين فحسب (و ماكان لى عليكم من سلطان بالا آن دعوتكم فاستجابتم إلى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ...)[1]

إن الشيطان لا يقيم عائقا ماديا أمام ذاهب الى المسجد، ولا يدفع سكرانا فى قفاه ليكرع الإثم من إحدى الحانات، إنه يملك الاحتيال والمخادعة، ولا يقدر عى ل أكثر من ذلك.

قال لى أحدهم: هذا صحيح. لكن ما أوردته لا ينفى أن بعض المردة قد يساور بشرا مسلما وينال منه... ! قلت:- وأنا ضجر- هل

العفاريت متخصصة فى ركوب المسلمين وحدهم؟ لماذا لم يشك ألمانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسامهم؟.

إن سمعة الدين ساءت من شيوع هذه الأوهام بين المتدينين وحدهم، إنكم تعلمون أن العلم المادى اتسعت دائرته ورسست دعائمه، فإذا كان ماوراء المادة سوف يدور فى هذا النطاق، فمستقبل الإيمان كله فى خطر فلنبحث علل أولئك الشاكين بروية، ولنرح أعصابهم المنهكة، ولا معنى لاتهام الجن بما لم يفعلوا.

وجاءنى صديقى يقول لى: أُرى أن تسمع كلام العلم فى هذه القضية. قلت: مرحبا بكلام أهل العلم هات ما عندك.

قال أن مس الشيطان للانسان ثابت بالكتاب والسنة فأما الكتاب فقوله: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس...)[2]

وأما السنة فقوله ﷺ : (إن الشيطان يجوى من ابن آدم مجرى الدم). وقوله (فناء آمتى بالطعن والطاعون و خز أعدائكم من الجن وفى كل شهادة). وقوله: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه عليهما السلام).

ويعلق الشيخ عل الأية الكريمة والأحاديث الصحيحة بقوله: أما الآية الكريمة: (... لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ..) ، فجمهور المفسرين على أن ذلك يوم الجزاء. وسبب هذا التفسير أن أحدا لم ير أكلة الربا مصر وعين فى الشوارع توشك

---

[1] سورة ابراهيم ٢٢

[2] البقرة ه ٢٧

أن تدوسهم الأقدام. ومن ثم جعلوا ذلك عندما يلقون الله تعالى فيحاسبهم على جشعهم وظلمهم.

أما حديث أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فإن القصة التى ورد فيها تشرح المراد منه قالت صفية زوجة رسول الله ﷺ: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت الى بيتى فقام النبى ﷺ يمشى معى موادعا- وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد- فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبى ﷺ، أسرعا. فقال لهما : على رسلكما- أى تمهلا- إنها صفية بنت حـــي قـالا سبحان الله يارسول الله. قال: (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا أو قال شرا...). وظاهر من الحديث أن الرسول يريد منع الوسوسة، التى قد يلقيها الشيطان عندما يرى مثل هذا المنظر. ومع أن الصحابيين أنكرا واستعظما أن يجرى فى نفسيهما شئ من ظنون السوء بالنسبة للمعصوم ﷺ فإن النبى أراد منع هذه الوسوسة ، ولا صلة للحديث باحتلال الشيطان لجسم الإنسان.

وأما الحديث الأخر وهو أن الطاعون وخز الجن وهم أعداء الشر، فيكفينا فى شرحه صاحب المنار عندما قال: يرى المتكلمون أن الجن أجسام حية خفيفة لا تر، وقد قلنا غير مرة: أن الأجسام الحية الخفيفة التى عرفت فى هذا العصر بواسطة النظـارت المكبرة وتسمى "الميكروبات" يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبت أنها

على الأكثر الأمراض، قلنا ذلك فى تأويل ماورد من أن الطاعون من وخز الجن.

أما الحديث نخس الشيطان للإنسان فيقول عنه صاحب المنار: فى حديث أبى هريرة عن الشيخين وغيرهما واللفظ هنا لمسلم: "كل بنى آدم يمسسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها". فسر البيضاوى المس هنا بالطمع فى الأغواء! وقال الأستاذ الإمام: إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل، لا من باب الحقيقة ولعل البيضاوى يرمى الى ذلك .

ثم قال صاحب المنار: المحقق عندنا أن ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين، وخيرهم الأنبياء والمرسلون، أما ما ورد فى حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما، وحديث إسلام شيطان النبى ﷺ وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الأحاد، ولما كان موضوعها عاله الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهى لا يؤخذ فيها

بالظن لقوله تعالى(وإن الظن لا يغني من الحق شيئا)[1] كنا غير مكلفين أن نؤمن بمضمون هذه الأحاديث فى عقائدنا .

يقول الشيخ: ومذهب السلف فى هذه الأحاديث تفويض العلم بكيفيتها الى الله تعالى، ومع أن مذهب السلف أحب إلى، إلا أن مدافعة أعداء الإسلام تقتضى مزيدا من الحذر واليقظة ولست أحب أن أفتح أبواب الشعوذة والسحر والدجل باسم أن الشيطان احتل بدن إنسان....[2] وتحت عنوان فقه الكتاب أولا يقول الشيخ: يرى الصنعانى أن النذر حرام، معتمدا على حديث ابن عمر عن النبى ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: (إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج بسه من مال البخيل)، والنذر الذى لا يأتى بخير هو النذر المشروط الذى يشبه المعارضات التجارية، يقول الإنسان: لله على كذا إن شفيت من مرض أو إن نجح ابنى... أما النذور الأخرى فى طاعة الله تعالى فلا حرج فيها ما دامت من الناحية الفقهية صحيحة.

والسؤال الآن: كيف يحكم بأصل الحرمة فى النذور كلها مع قوله تعالى فى وصف الأبرار: (يوفون بانذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا)[3] ، وقوله فى موضع آخر (ثم ليقضوا تفثهم وليفوا نذرهم وليطوفوا بالبيت العتيق)[4].

وقد رأيت الجهل بالقرآن الكريم يبلغ حدا منكورا عند شرح حديث مسلم (كل ذى ناب من السباع فأكله حرام). فإن شارح الحديث زعم أن الحديث قبل فى المدينة المنورة، وأنه نسخ ما نزل بمكه من قوله تعالى: (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به...)[5] . والزعم بن حديث الآحاد ينسخ آية من القرآن الكريم زعم فى غاية الغثاثة، ثم إن الأية قيل بنسخها تكرر معناها فى القرآن الكريم آربع مرات. مرتين فى سورتى الانعام والنحل المكيتين، ومرتين فى سورتى البقرة والمائدة المدنيتين. بل ما جاء فى سور المائدة هو من آخر ما نزل من القرآن الكريم، فكيف يفكر عاقل فى وقوع الشيخ؟ ثم إن عددا من الصحابة بينهم ابن عباس، وعددا من التابعين فيهم الشعبى وسعيد بن جبير رفضوا حديث مسلم فكيف نترك آية لحديث موضع لغط؟.

---

[1] سورة النجم ٢٨.

[2] المرجع السابق ص ١١ وما بعدها .

[3] سورة الإنسان 7

[4] سورة الحج ٢٩

[5] سورة الانعام5 1 4

وعن بعض الروايات لنافع رضى الله عنه يقول الشيخ: عن عبدالله بن عون كتبت إلى نافع- يرحمه الله تعالى- أسأله عن الدعاء قبل القتال- ويقصد بالدعاء دعوة الناس إلى الدخول فى الإسلام قبل المعركة- قال عبدالله فكتب إلى: (إنما كان ذلك فى أول الإسلام وقد أغار النبى ﷺ على نى المصطلق وهم غـارون.). ونافع غفر الله له مخطئ، فدعوة الناس إلى الناس قائمة ابتداء وتكرارا، وبنو المصطلق لم يقع قتالهم إلا بعد أن بلغتهم الدعوة، فرفضوها وقرروا الحرب. ورواية نافع هذه ليست أول خطأ يتورط فيه، فقد حدث بأسوأ من ذلك، قال: كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرنكم أنى شئتم)[1] فقال تدرى فيما نزلت هذه الأية قلت: لا. قال: نزلت فى رجل أتى امرأته فى دبرها، فشق ذلك عليه.. فنزلت هذه الآية.

قال عبدالله بن الحسن: إنه لقى سالماً بن عبدالله بن عمر فقال له: ياعم ، ما حديث يحدثه نافع عن عبدالله أنه لم يكن يرى بأسا بإتيان النساء فى أدبارهن فقال: كذب العبد وأخطأ، إنما قال عبدالله يؤتون فى فروجهن من أدبارهن. ونعود ألى رواية نافع- وهى عدم الدعوة قبل القتال- ونقول: إنه مع اهتزازها، فإن أهل الحديث روجوا لها حتى جعل الصنعانى عنوان الموضوع:" الغارة بلا انذار".

يقول الشيخ معلقا على عنوان الصنعانى: غارة بلا انذار؟ أين هذا المسلك من قوله تعالى: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم عل سواء إن الله لا يحب الخائنين)[2] . وقوله: (فإن تولوا فقال أذنتكم على سواء وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون)[3] .

فى كتابى (جهاد الدعوة بين عجز الداخل و كيد الخارج). أحصيت أكثر من مائة أية تتضمن حرية التدين، وتقيم صروح الإيمان على الاقتناع الذاتى. وتقضى على الإكراه عن طريق البلاغ المبين... وليس فى تاريخ الثقافة الإنسانية كتاب ينسى العق المؤمن إنشاء، ويعرض آيات الله تعالى فى الأنفس والآفاق لتكون ينابيع فكر يتعوف منها على الله تعالى، ويستريح إلى عظمته كما وقع فى هذا القرآن الكريم، ومع ذلك فنحن كمسلمين يوجد بيننا من ينسى هذا كله ليقف عند راو تائه يزعم أن الدعوة إلى الإسلام كانت فى صدر الإسلام ثم الغيث ومن ألغاها؟.

---

[1] سورة البقرة ٢٢٣.

[2] سورة الأنفال 58

[3] سورة الانبياء ١٠٩

انه لامر ما ايجى بختام خاصى لسورة بر اعوة التى نزلت فى السنة التاسعة، يقول عن الكافرين: (فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)[1] . أفى هذا الختام رائحة إكراه ؟ .

وعن الترغيب فى الفقر والزهد يقول الشيخ: قرأت خمسين حديثا ترغب فى الفقر وقلة ذات اليد وما جاء فى فضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم، كما قرأت سبعة وسبعين حديثا ترغب فى الزهد فى الدنيا والاكتفاء منها بالقليل، وترهب من حبها والتكاثر فيها والتنافس... وقرأت سبعة وسبعين حديثاً أخ، فى عيشة السلف وكيف كانت كفافسا... ذكر ذلك كله المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب وهو من أمهات كتسب السنة، ورحم الله تعالى المؤلف الحافظ وغفر لنا وله، فهو حسن النية ناصح للأمة ، بيد أن الفقه الصحيح يقتضي منهجا آخر، ومسلكا أرشد.

وأعرف ويعرف غيرى أن عيادة الدنيا أهلكت الأولين والأخرين، وأنها من وراء جرائم مذهلة يقترفها الخاصة قبل العامة، والرؤساء قبل الأتباع، والأذكياء قبل الأغبياء، ولكن العلاج الصحيح للداء العضال يكون بالتمكن من الدنيا والاستكبار على دناياها.

أملك أكثر مما ملك قارون من المال، وسيطر على أوسع مما بلغه سليمان من سلطان، واجعل ذلك فى يدك ، لتدعم به الحق حين يحتاج الح إلى دعم، وتتركه لله تعال فى ساعة فداء حين تحين المني، أما أن تعيش صطوكا، حسباً أن الصعلكة طريق الجنة فهذا جنون وفتون ... إذا كان الإلحاد يفرض سلطانه بالتمكين فى الأرض، فإن انصرافك عن التمكن من الأرض فاحشة أشد من الزنا والربا...

بعد أن قدم الشيخ رأيه فيما جاء من أحاديث تجنب الفقر وتزهد فى الدنيا بدأ يناقش بعض هذه الأحاديث ويقول: نناقش بعض ماروى فى هذا المجال لنعرف ماوراءه، عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: اشتكى سلمان الفارسى- فى مرضى موته- فعاده سعد بن آبى وقاص، فرآه يبكى، فقال له سعد: ما يبكيك يا آخى؟ أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس؟ أليس؟. قال سلمان ما أبكى واحدة من اثنتين ضنا على الدنيا ولا كرها للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدا وما أرانى إلا قد تعديت.. قال سعد وما عهد إليك؟ قال عهد إلينا أنه يكفى أحدكم

---

[1] سورة التوبة ١٢٩ .

مثل زاد الراكب، ولا أرانى إلا قد تعديت وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكملك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعندك همك إذا هممت.

قال المنذرى وقد جاء فى صحيح ابن حبانه أن مال سلمان جمع بعد وفاته، فبلغ خمس عشر درهما.

إن سلمان رضى الله تعالى عنه من أكابر الصحابة ومن أوفيائهم، والحديث يفيد أنه وجل من لقاء ربه وتركته خمس عشر درهما، وإنها لصورة تثير الخشية والخشوع أن نرى أميرا من أمراء الفتح الاسلامى يلقى، ربه بهذا التجرد والتبتل ... على حين نرى الان القادة والأمراء يتشبعون من الدنيا بلا حدود .

لكن للفقه سؤالا هنا: إن سعد بن أبى وقاص الذى كان يحاور سلمان سمع من رسول الله ﷺ هذا التوجيه (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس).

فليس الميراث الكبير جريمة ... وسعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة- كما جاء فى السنن- وهؤلاء العشرة كانوا من أغنياء المسلمين، بل لم يكن فيهم فقير.

المشكلة ليست فى امتلاك المال الواسع، بل المشكلة فى كيف تمتلكه؟ وكيف تنفقه؟ وقد رأينا فى الدنيا أغنياء بنوا الجامعات حصونا للعلم والبحث، وأغنياء حاربوا المرض، والشظف ببأس شديد، و اغنياء قدموالدولهم ما تطلب من ضرائب كى تضع موازناتها إقامة للمصالح العمة، ورأينا عثمان بن عفان يعين إعانة رائعة فى الإعداد لغزوة العسرة حتى جعل الرسول ﷺ يقول:

اللهم أرض عن عثمان فانى راض عنه. وفى رواية أخرى: ليسى لابن آدم حق سوى فى هذه الخصال: (خرقة كف بها عورته، أو كسرة سد بها جوعته، أو جحر يتدخل فيه من الحر والقر) وفى عبارة البيهقى (كل شى فضل عن بيت ، و كسرة خيز ، و ثواب يوارى عور ابن آدم ، فليس لابن آدم فيه حق)[1]... قال الحسن البصرى الراوى الحديث: ما يمنعك أن تأخذ به؟ -وكان يعجبه الجمال- فقال الرجل للحسن: يا أبا سعيد إن الدنيا تقاعدت له: ورأي أن الرجل كان يستطيع تقديم إجابة أفضل، إجابة من كتاب الله تعالى: (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)[2].

---

[1] الحديث رواه البيهقى

[2] سورة الاعراف ٣٢.

ولو جعلنا هذه المرويات- من الأحاديث- محور حياة عامة، لشاع الخراب فى أرجاء الدنيا...

منهج الشيخ:

أردت بهذا العنوان أن أعرض فى عجالة لمنهاج الشيخ قبل أن نصل إلى تحليل هذا المنهج لأن المعترضين عليه يتهمونه- ظلما- فى بعض الأحيان أنه يرد الأحاديث الصحيحة. وهو لا يفعل هذا مع بعض الأحاديث إلا من خلال علماء الحديث أنفسهم، أما أغلب الأحاديث التى تعرض لها فهو لا يردها- بمعنى يبطلها- ولكنه يردها الى مناسباتها ومعانيها القريبة والبعيدة.

ولنترك الشيخ يشرح منهجه بنفسه. يقول: فهل هذه المرويات باطلة ؟. ربما ظن البعض أنى أرى ذلك، والواقع أن هذه المرويات تساق فى مجال محدد لهدف محدد، وهى جرع من أدوية يتناولها الإنسان حتى لا يكون منهوما بالدنيا شقيا وراء بعض الحرث الذى يطرأ عليه.. كم من الناس لديه أنصبة مضاعفة من هذه الأرزاق ومع ذلك لم يقدر ولم يشكر.

وقد وقف الحرفيون عند هذه الآثار فوفقوا بالعالم الإسلامى كما وقف حمار الشيخ فى العقبة لا يتقدم ولا يتأخر، بل لعله تراجع الى العصر الحجرى فى بعضى جوانبه...

ويبدو أن الطيش فى فهم المرويات، وسوء تقديرها مرض محذورالعقبى من قديم، فقد روى الترمذى عن الحارث الاعور قال : مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث، فدخلت على على رضى الله تعالى عنه فأخبرته فقال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم قال: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أما أنها ستكون فتنة قلت: فما المخرج منها يا رسول الله. قال: (كتاب الله تهي فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليسى بالويزل، من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولاتناقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعت حتى قالوا: (انا سمعنا قرأنا عجبا يهدى إلى الرشد فأمنا به ..)[1].. من قال به صدق

---

[1] سورة الجن ١، ٢ .

ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم)[1]. ثم قال على خذها إليك يا أعور .

إن الحكم الدينى لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره. وإنما يضم الحديث إلى الحديث، ثم تقارن الأحاديث المجموعة بمسا دل عليها من القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم هو الإطار الذى تعمل الأحاديث فى نطاقه ولاتتعده، ومن زعم أن السنة تقضى على الكتاب، أو تنسخ أحكام فهو مغرور.

أحاديث الفتن

وعن أحاديث الفتن يقول الشيخ: وللنواس بن سمعان حديث طويل فى الدجال، ذكر فيه طرفا من القوة التى زود بها، أو الفتنة التى يثيرها بين الناس قال: (.... ياتى على القوم فيدعوهم- الى عبادته – فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعا وأمده خواص، أما الذين يكفرون به فينصرف عنهم فيصبحون مملحين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ثم ينزل عيسى بن مريم فلا يزال يطارد الدجال حتى يدركه باللد فيقتله ، ويريح الناس من شروره)

والأحاديث التى اقتبسنا نتفا منها هى أحاديث آحاد، وبعضها فى الصحاح .. والروايات عنه كثيرة، وفى إحداها أنه مكتوب بين عين الدجال، (ك ف ر) أى كافر يقرؤه كل مسلم.... وفى رواية عن أم شريك عن النبى ﷺ: (ليفرن الناس من الدجال فى الجبال، قال أم شريك: يارسول الله أين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل ...)[2].

ويظهر إلى أن الدجال من زعماء اليهود، وقد يكون من كبار علمائهم الكونيين، وهو يمثل عوج الضمير اليهودى وانقطاعه عن الله تعال. بل عداوته له... وقصته قبيل الساعة تمثل خاتمة الصراع السيئ بين أتباع الأديان الثلاثة، فاليهود بقيادة مسيحهم يحاولون الظهور والسيطرة، والنصارى مستمسكون بأقانيمهم وصلبانهم وسيرتهم الاجتماعية المعروفة، وهم يظاهرون اليهود على

---

[1] الحديث رواه الترمذى

[2] انظر أحاديث الدجال في صحيح البخاري كتاب فضائل المدينة (٢٩) بابا " لايدخل الدجال المدينة" ، لك : بدء الخلق (59) ، باب : إذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء أمين ، لك الأنبياء (60) باب ما يذكر عن بني إسرائيل (0ه) لك الفتن (٩٢) باب : ذكر الدجال ، باب : لا يدخل الدجال المدينة . وكتاب التوحيد (97) باب قول الله تعالى (ولتصنع على عيني) . وصحيح مسلم لك الفتن وأشراط الساعة (2ه) باب : ذكر الدجال وصفته وما معه (20) باب (في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه) وغير ذلك من مواضع .

العرب.. والمسلمون فرق شتى فيهم الصالح المستميت فى المقاومة، وفيهم التائه الهائم على وجهه.

وعن امتحان الله تعال للمؤمنين يوم القيامة يقول الشيخ: جاء بعض المولعين بمشكل الحديث وغريب الروايات، فذكروا كلاما آخر لابد من كشف حقيقته لخطورة مضامينه، وشذوذها عما يعرف بـها المؤمنون ربهم فى امتحان عصيب يجرى لهم يوم القيامة.

والقصة كما ذكرها تتلخص فى انه بعد إلقاء المشركين فى العذاب يبقى المسلمون وحدهم (حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها

فقال ماذا تنتظرون؟ تتبع كل امة ما كانت تعبد! قالوا: يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم، ولم نصاحبهم فيقول: انا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية؟ فتعرفونه بها؟ فيقولون نعم. يكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه. إلا أذن الله له بالسجود. ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة. كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال: فيقولون أنت ربنا ....)[1]

يعلق الشيخ على هذا الحديث بقوله: هذا سياق غامض مضطرب مبهم!! وجمهور العلماء يرفضه، وقد حاول القاضي عياض القول بأن الذى جاء المؤمنين فى صورة أنكروها أول الأمر هو أحد الملائكة، وكان ذلك اختبارا من الله تعالى لهم، وهو آخر اختبار يلقاه المؤمنون.

ومحاولة القاضى عياض لا تقدم ولا تؤخر أنه فليست الأخرة دار اختبار ان الاختبار تم فى الدنيا كما جاء فى البخارى: (اليوم عمل ولا جزاء وغدا جزاء ولا عمل).... ثم لماذا يقوم أحد الملائكة بهذه التمثيلية المزعجة؟ وباذن من؟ وما جدواها؟ ..... وإذا تركنا كلام عياض لن تأمل فى الوقائع نفسها وجدنا ما يستحيل عقلا أو نقلا أن يقبل، فان الله لايجى ء فى صورة تنقصى عظمته وجلاله، ثم يبدو فى صورة حقيقية بعد ذلك، مهما قلنا. إن المقصود بالصورة هو الصفة..... الحديث كله معلول، وإلصاقه بالأية خطا، وبعض المرضى بالتجسيم هو الذى يشيع هذه المرويات، وإن المسلم الحق ليستحى أن ينسب الى رسوله هذه الاخبار.

---

[1] الحديث

- وعن قطع الصلاة يقول الشيخ: خذ مثلا ما يقطع الصلاة، فقد تشبثوا بحديث يقول: " إن الصلاة تقطعها المرأة، والحمار، والكلب الأسود"

وجمهور الفقهاء رفضوا هذا الحديث، واستدلوا بأحاديث أخرى تفيد أن الصلاة لايقطعها شيء، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام، كان يصلى و زوجته عائشة مضطجعة أمامه، كما أن ابن عباس مر بحمار يركبه أمام جماعة تصلى، فلم تفسد لها صلاة، والكلاب أبيضها وأسودها سواء.

ولست ممن يبنون العلالى على الخلافات فى فروع الفقه، وإنما تعنينى سمعة الإسلام، عندما يسافر امرؤ متعصب الى أوربا وأمريكا ثم يذكر للناس أن المرأة والكلب والحمار سواء في إفساد الصلاة عند مرورها.

وعند نهاية كتاب "السنة بين أهل الفقة وأهل الحديث" يرفض الشيخ حديثا يفيد الجبر المحض رواه الترمذى فيقول: وقد قرأت ما رواه الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه سئل عن قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)[1]. قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح على ظهره، فاستخرج منه ذريه فقال: هؤلاء خلقت للنار، ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: إن الله إذا خلق العبد اللجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار).

يقول الشيخ: وهذا السياق يكاد يكون نصافى فى الجبر ولذلك نرفضه ونراه من أوهام الرواة ، بل نراه من الجهل بمعانى القرآن الكريم[2] .

وبهذا الحديث ينتهى كتاب الشيخ "السنة بين أهل الفقة وأهل الحديث" وقد أحدث هذا الكتاب دويا لا حدود له فى مجال الثقافة الإسلامية وعن هذا يقول الشيخ: ولكن ناسا فى عصرنا ما كادوا يقرؤون ما كتب حتى انبروا لمهاجمتي والنيل منى، وليس هذا بضائرى، وإنما لفت نظري أن القضية العملية لفها ضباب

---

[1] سورة الاعراف، ١٧٢

[2] السنة بين أهل الفقة واهل الحديث ص 111 وما بعدها .

مفتعل، فلم تبحث ولم يذكر حكم الله تعالى فيها حتى ليخيل إلى أن التجهيل فى الحكم مقصود.

وبهذه الكلمات ينتهى هذا الفصل لأن هذه القضية هى التى سنعالجها فى فصل المتابعة، وسوف تكون المتابعة متجهة الى اظهار حكم الله تعالى فى هذه القضية.

الفصل الثالث

المتابعة

ترك كتاب "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" للشيخ أثرا مدويا فى محيط الثقافة الإسلامية وتباينت ردود الأفعال تجاهه بين مؤيد ومعارض، وإن كانت المعارضة أكثر وصوتها أعلى.

وقد قدمنا فى الفصل الثانى تلخيصا لهذا الكتاب واتضح من هذا التلخيص أن الشيخ لم يقصد إلى رد الأحاديث أو إبطالها، وإنما كان يعلق على كل حديث مستندا إلى تعليق سبقه من كثير من العلماء على هذا الحديث، ولم يرفض حديثا رفضا قاطعا إلا حديث الترمذى الأخير وفيه (أن الله تعالى ظهر للناس فى القيامة على أدنى صورة له). وقد حاول الإمام القاضى عياض أن يلتمس مخرجا للحديث فقال إن الذى ظهر هو أحد الملائكة ولم يقتنع الشيخ بهذا التأويل، لأن تنزيه الله تعالى عنده فوق كل شى وقبل كل شئ .

ومن العجيب أن الفريق المعارض قد اتهم الشيخ بمعاداة السنة، وقد

قدمن فى الفصل الأول (عاشق السنة) وبينا أن الشيخ انفرد بقدر كبير من

الحب والتوقير للسنة ولصاحب السنة عليه الصلاة والسلام ربما- فيما نعلم. لم يصل إليه أحد من علماء المسلمين قبل الشيخ.

وقد كانت للشيخ وجهة نظر تدور حول هذه الفكرة: إن العلماء اتفقوا على رد حديث الثقة بحديث من هو أوثق منه، وعلى هذا ترد الأحاديث التى تعارض القرآن الكريم، أو يرد معناها فقط وتحمل على معنى آخر ينسجم مع معانى القرآن الكريم، وكان يمكن لهذه الفكرة أن تتحول إلى منهاج للعمل والدراسة يقوم عليه علماء الحديث أنفسهم، ولولا سبق بعض الألفاظ من الشيخ فى حق علماء الحديث. واستعداد البعض للهجوم على الشيخ لأسباب عديدة من بينها الدفاع عن السنة الشريفة.

وسوف نعرض لبعض الدراسات التى ألفت حول آراء الشيخ فسى السنة الشريفة وموقفه منها، سواء الدراسات التى تمت فى مصر أو فى بعض بلاد العالم الاسلامى. وهى در اسات فى مجملها أشبه بالمعارضات اللفظية، والتى لاتقوم على قاعدة منطقية أو مناهج دراسية لها قواعد حاكمة، وأصول مرعية .

المعاوضة الأولى:

فى سلسلة دفاع عن السنة قدم الكاتب أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم بحثا فى 536 خمسمائة وست وثلاثين صفحة من القطع المتوسط تحت عنوان (جناية الشيخ محمد الغزالى على الحديث وأهله). وقوم لهذا وراجعه و علق عليه الدكتور/ ربيع بن هادى عمير المدخلى رئيس شعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقامت بطبع الكتاب ونشره مكتبة الامام البخارى.

أ- منهج الشيخ:

بدأ الباحث ببيان منهج الشيخ فى معارضته لبعض الأحاديث فقال:

وقد استقى الغزالى هذه المجازفة الخطيرة- تقديم القرآن على السنة عند البحث عن الدليل- من أصحاب المدرسة العقلية وموقف أصحاب هذه المدرسة يشابه إلى حد كبير موقف سلفهم المعتزلة من السنة وردهم ما يخالف ما ذهبوا إليه من آراء فى التفسير وما هدتهم إليه عقولهم... وقد كان من أسس أصحاب هذه المدرسة أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع فمنهم من أراد بذلك الرجوع إلى القرآن الكريم والأخذ بما يوافقه من السنة ونبذ ما التبس عليه وعسر على ذهنه- القاصر- فهمه ومنهم من أراد بذلك الرجوع إلى القرآن الكريم فى كل قضية ليلتمس فيه الحكم. فإن وجده لم يحتج معه لمأخذ آخر. مع أن الصحيح فى ذلك أن ينظر فى الكتاب والسنة معا لأن السنة مبينة لكتاب الله فيجب اعتبارها مع الكتاب مصدرا واحدا لا فصل بينهما.

يقول الغزالى فى كتابه مستقبل الإسلام (فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع ومن تدبره يعرف الإطار العام للهدايات الإسلامية)، ثم يبين لنا بوضوح تام ما يعنى بذلك فى كتابه السنة النبوية ص (١٨/١٧) من اجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامى يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولا... ثم يقرر بعد ذلك قراره الاعتزالى الخطير بأنه ينبغى (محاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم) وهذه الدعوة الخطيرة دعا لها من قبل الزنادقة.[1]

بعد أن قدم المؤلف لمنهاج الشيخ بدأ يناقش الأحاديث التى ناقشها الشيخ والتمس لها الشيخ والتمس لها تأويلا مناسبا، ولكن المؤلف يحاول أن يخطئ مفاهيم الشيخ فى الأحاديث وعرضها كما يلى :

1 – لما ذكر للسيدة عائشة حديث عمر عن النبى صلى الله عليه سلم: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه). فقال يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله ﷺ (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)، ولكن قال: (إن الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه) ثم قالت حسبكم القرآن (ولا تزر وازرة وزر أخرى).[2]

يؤيد الشيخ الغزالى فهم السيدة عائشة لهذا الحديث ولكن الشيخ أشرف (المؤلف) يعترض على فهم الشيخ وفهم السيدة عائشة من أجل إحراج الشيخ يحاول تقديم

---

[1] أشرف عبد الرحيم جناية الشيخ محمد الغزالى على الحديث وأهله ص 19 وما بعدها ط مكتبة الامام البخارى ١٩٨٩ م.

[2] سورة الانعام : ١٩ و الحديث رواه البخارى " ١٢٨٨ " ومسلم " ٩٢٨"

اعتراضات واهية على فهم السيدة عائشة للقضية وهذا ما يوضح ما يجلبه الانفعال والهوى على البحث العلمسى وهذه نماذج من أعتراضاته.

يقول: إن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها استشكلت الحديث لسببين: الأول: لاعتقادها بطلان معناه، وقد ساعدها على هذا أن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما أقرا الحديث على مقتضاه وحملا على ظاهره فأوهمها ذلك أن الحديث من باب عقوبة الإنسان بذنب غيره، وهذا يخالف بعض أصول الشريعة وقواعدها المقررة. يخطئ المؤلف فى حق السيدة عائشة حين يقول: فأوهمها ذلك ولاأدرى لماذا؟ فهو يخطئ السيدة عائشة من أجل أن يخطئ الشيخ الغزالى.

وعن السبب يقول المؤلف: اعتقادها غلط الناقل:

ما استشكلت هذا الحديث بناء على أن الرجل قد يخطئ السمع وقد يهم. . ففهى الحديث أنها لما ذكر لها حديث عمر عن النبى ﷺ: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه). فقالت يرحم الله عمر لا والله ما حدث رسول الله ﷺ ولكن قال: (إن الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه ...)

وفى رواية قالت: (أما والله ما تحدثون هذا الحديث عسن كاذبين مكذبين، ولكن السمع يخطى وإن لكم فى القرآن لما يشفيكم...)[1]

وبعد أن يستعرض المؤلف هذين السببين: يبدأ فى معارضة رأى السيدة عائشة بقوله: فى حديثها الذى اعترضت به على رواية عمر وابنه قالت ولكن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه).

فيلزم من هذا الكلام أن الميت (الكافر) يعذب بذنب غيره، وهو عين ما نفته فى رواية عمر وابنه ولذلك يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله (والمعارضة التى ظنتها أم المؤمنين رضى الله عنها بين روايتهم وبين قوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى). غير لازمة أصلاً. ولو كانت لازمة لزم فى روايتها أيضا. " أن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عليه). فإن الله سبحانه لا يعذب أحدا بذنب غيره الذى لا تسبب له فيه . فما تجيب به أم المؤمنين عن الحديث الذى استدركته عليهم.[2]

وبهذه الفقرة التى نقلها المؤلف عن ابن القيم يكون قد وضح رأيه فى رواية السيدة عائشة وبرغم استنتاج ابن القيم إلا أن الحق غير ذلك لهذه

---

[1] الحديث مسلم (٩٢٩) و آخرجه البخارى فى كتاب الجائز ج ٣ ص ١٨١ ط دار الفكر

[2] ابن القيم تهذيب السنة ج- ؛ ص ٢٩٠ ، ٢٩١.

أ- أن السيدة عائشة حينما اعترضت على رواية سيدنا عمر استبدلتها بالرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ : (إن الله ليزيد الكافر ببكاء أهله عليه). وهذا الحديث صحيح فمعارضة المؤلف وابن القيم معارضة لحديث رسول الله ﷺ وليست معارضة لرأى خاص للسيدة عائشة.

ب – إن الكافر رحلته إلى الآخرة رحلة عذاب من أولها إلى آخرها وبكاء أهله وإن كان بباعث الرحمة منهم فانه ينقلب عليه وبالا بباعث الغضب من الله تعالى.

ومن هذا يتضح أن محاولة رفض فكر الشيخ محمد الغزالى فى السنة النبوية جرت معها رفض ما ذهبت إليه السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها، والأكثر من ذلك أن احتجاج المؤلف ومعه ابن القيم على رأى السيدة عائشة صاحبه وتزامن معه احتجاج على حديث رسول الله ﷺ ووقعا فى لبس كبير لأنهما يؤيدان حديث سيدنا عمر وابنه عبدالله رضى الله تعالى عنهما لأنه حديث صحيح وينكران أو يعترضان على حديث السيدة عائشة فى عذاب الكافر وهو أيضا حديث صحيح.

وربما يعترض المؤلف بكلام ابن تيمية: (والأحاديث الصحيحة الصريحة التى يرويها مثل عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وأبى موسى الأشعرى وغيرهم لاترد بمثل هذا، وعائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها لها مثل هذا نظائر ترد الحديث بنوع من التأويل لاعتقادها بطلان معناه ولا يكون الأمر كذلك..)[1]

وهذا الكلام لا ينهض بقضية المؤلف لأن السيدة عائشة كما أسلفنا لا تعترض على المعنى فقط كنوع من التأويل بل تاتى بحديث صحيح (عذاب الكافر) فعلى أى شى تقع معارضة الإمام ابن تيمية؟

2- حديث أبى طلحة : (أن النبى ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفه الركى فجعل بينادى هم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يافلان ابن فلان، ويافلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ... قال فقال عمر: يا رسول الله. ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟

[1] ابن تيمية مجموع الفتاوى ج 24 ص 385.

فقال رسول الله ﷺ: "والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم". قال قتاده أحياهم الله حتى أسمعهم قوله: توبيخا وتصغيرا أو نقمة، وحسرة وندما".[1]

أنكرت السيدة عائشة عبارة : "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم". مستدلة بالآية الشريفة: "وما أنت بمسمع من فى القبور"[2] وصححت الرواية: "ما أنتم بأعلم لما أقول منهم" هكذا يقول الشيخ.

ويعترض المؤلف "أشرف" على السيدة عائشة وعلى الشيخ الغزالى بقوله: اعلم رحمنى الله وإياك أن الحديث صحيح لاريب فيه البتة ولا مطعن ولا مغمز ولا إشكال فيه بحمد الله للأمور التالية:

اولا: خطا أم المومنين عائشة رضى الله غنها فى توهيمها للراوى لا فى استدلالها بالآية. هكذا يصحح الشيخ أشرف ومن على شاكلته على تخطئة السيدة عائشة وهم فى طريقهم إلى تخطئة الشيخ.

ثانيا: ابن عمر لم ينفرد بالرواية بل تابعه عليها جمع من الصحابة.

ثالثا: حادثة القليب خرق عادة للنبى ﷺ.

رابعا: فى الجمع بين روايتى عائشة وابن عمر:

وينقل الشيخ أشرف عن ابن جرير الطبرى قوله: والصواب من القول فى ذلك أن لكلتا الراويتين اللتين عن رسول الله ﷺ فى ذلك صحيحة عدول نقلتها فالواجب على ما انتهت إليه ، وقامت عليه خير الواحد العدل، الإيمان بها والإقرار بأن الله يسمع من شاء من خلقه من بعد مماته ماشاء من كلام خلقه من بنى آدم وغيرهم على ما شاء. ويفهم من شاء منهم ما شاء ، وينعم من أحب منهم، بما أحب، ويعذب فى قبره الكافر ومن استحق منهم العذاب كيف أراد على ما جاءت به عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم الآثار وصحت به الأخبار[3])

فى الفقرة السابقة التى نقلها الشيخ أشرف عن ابن جرير الطبرى ما يدل على صحة رواية السيد عائشة ورواية ابن عمر معا، ولا وجه للقول بخطأ السيدة عائشة على الإطلاق.

---

[1] آخرجه الشيخان البخارى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر جـ ٣ ص 274 وأحمد فى مسنده جـ ٢ ص ١٣١ بط دارالفكر .

[2] سورة فاطر ٢٢ .

[3] تهذيب الاثار ج ٢ صى 518 مسند عمر بن الخطاب .

هذه نماذج من المعارضة الأولى للمؤلف أشرف عبد المقصود وهى معارضة غير متوازنة. تتسم بالتسرع فى الحكم خاصة ما يتعلق بروايات السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها، ومناقشته لها بغير دليل أو أساس من علم ، وقد اتضح منهج المؤلف من الفقرات التى نقلناها من كتابه.

المعاوضة الثانية:

المعارضة الثانية للدكتور/ ربيع المدخلى وهو الذى قدم للكتاب الذى سبق تقديمه فى المعارضة الأولى، وقد تم تأليف الكتابين فى عام واحد 1410 هـ ١٩٨٩ م و منهج الكتابين واحد فى الهجوم على الشيخ ونعته بأوصاف لايجب أن تقال على رجل أفنى حياته فى خدمة الدعوة الإسلامية.

يقول الدكتور/ ربيع المدخلى: اشتدت وطأة المستشرقين على السنة النبوية، وساندهم قوم ممن يلبسون ثياب الإسلام ويحملون قلوب الذئاب على الإسلام والسنة المطهرة ... ويؤسفنا أن الشيخ محمد الغزالى قد حشر نفسه- فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها السنة وأهلها- فى خصوم السنة، بل صار حامل لواء الحرب عليها، وأصبحت كتبه وأقواله تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام والسنة النبوية المطهرة.

إن الغزالى فى كثير من كتبه وتصريحاته يتململ من السنة ولاسيما أخبار الأحاد على حد زعمه تململ السليم... ولقد ضمن مؤلفاته الأخيرة حملات شعواء وقذائف خطيرة على كثير من أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة. وحملات شديدة على من يريد التمسك بها... ولعل سائلا يسأل عن السبب الذى دفع الغزالى إلى هذا الموقف من السنة وأهلها؟... فاعتقد أن مرد ذلك إلى قصور إدراكه لمعانيها فيخيل لـه هذا القصور فى كثير من الأحاديث أنها تعارض القرآن أو تصادم العقل وقد يكون هذا العقل جهميا أو معتزليا أو مستشرقا أو أوربيا. ثم لاتسمح له نفسه بمراجعة أقوال أهل الاختصاص من أئمة الحديث وجهابذة النقاد ...[1]

هكذا يرى المؤلف أن الشيخ يشن حملات شعواء على السنة ويوجه إليها قذائف خطيرة وأنه لايفهمها ويحتاج إلى جهابذة النقاد لتوضيح السنة.... ويستمر المؤلف فى كتابه على هذا النمط من الاتهام... ولذلك سنضرب صفحا عن هذا

---

[1] د. ربيع بن هادى المدخلى كشف موقف الغزالى من السنة وأهلها صـ٧ وما بعدها ط مكتبة بن القيم المدينة المنورة 0 1 4 1 هـ .

وندخل إلى لب الموضوع وهو معالجة الأحاديث التى ذكرها الشيخ فى كتاباته عن السنة:

1- يقول الغزالى: وحديث الأحاد يفقد صحته بالشذوذ والعلة القادحة وإن صح سنده فأبو حنيفة يرى أن من قاتلنا من أفراد الكفار قاتلناه، فإن قتل فإلى حيث ألقت، أما من له عهد وذمة: فقاتله يقتص منه، ومن ثم رفض حديث: "لايقتل مسلم فى كافر" مع صحة سنده لأن المتن معلول بمخالفته للنص القرآنى: "النفس بالنفس"[1] وقوله تعالى بعد ذلك "فاحكم بينهم بما أنزل الله"[2] وقوله: "أفحكم الجاهلية يبغون"[3]. وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفى أدنى إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان، وإلى احترام النفس البشرية، دون النظر إلى البياض والسواد، أو الحرية والعبودية، أو الكفر والإيمان، ولو قتل فيلسوف كانس طريق قتل فيه "فالنفس بالنفس" قاعدة للتعامل.

وبعد استعراض هذه الفقرة من كلمات الشيخ يعلق المؤلف بقوله: وعلى هذا الكلام مأخذ أذكرها:

المأخذ الأول: ان الغزالى لايفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول، ويغلب على الظن من تصرفاته انه لايعرف ذلك ولا يستطيع تطبيقه على منهج علماء الحديث والفقهاء.

المأخذ الثانى: على احتجاجه بقول الله تعالى: "وأن أحكم بينهم بما أنزل الله. لا أدرى ما يريد به، ايريد أن الحكم بين أهل الكتاب لايجوز أن يكون إلا بالقرآن، ولا يجوز أن يكون بالسنة لأنها ليس مما أنزل الله؟. فإن كان يريد ذلك- وهو الظاهر- فإنها الكارثة.

المأخذ الثالث: على احتجاجه بقوله تعالى: "أفحكم الجاهلية يبغون". فهل يرى أن مضمون هذا الحديث من أحكام الجاهلية أو يشبهها؟ فإن كان يريد ذلك فانه لأمر عظيم وخطب جسيم .

المأخذ الرابع: على قوله!" وعن التأول نرى أن الفقه الحنفى أقرب إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان. فهل من العدل أن يساوى بين الكفر والإيمان؟ وبين المؤمنين والكافرين؟

---

[1] سورة المائدة 5 4 .

[2] سورة المائدة 48 .

[3] سورة المائدة 0 ه.

المأخذ الخامس: على قوله: "وأقرب إلى احترام النفس البشرية دون النظر إلى البياض والسواد أو الحرية والعبودية أو الكفر والإيمان".

ويرد المؤلف على الغزالى فى المأخذين الرابع والخامس بقوله: أن الكافر لا حرمة له. ويكتسب الذمى والمعاهد حرمة محدودة بسبب دخوله تحت ذمة المسلمين الذين فرض عليهم الإسلام احترام العهود والمواثيق،

ولكن ليس معنى حرمة نفسه أن يكون مثل المسلم سواء بسواء ، فإذا مات الذمى فلا نصلى عليه، ولا تدفنه فى مقابر المسلمين ولا نستغفر له .[1]

فى الفقرات السابقة يرد د. المدخلى على خطأ الشيخ وهو فى تصوره كما يلى: إذا تكلم الشيخ عن المذهب الحنفى يقوم الموقف بالرد على الشيخ وليس على المذهب الحنفى نفسه، ثم يلجأ فى الرد على قاعدة النفس بالنفس إلى المميزات والفوارق بين المسلم والكافر وهذه المميزات معترف بها ومعلومة من الدين بالضرورة إلا قاعدة "النفس بالنفس" لا علاقة بهذا ولا يمكن إبطالها- إذا أردنا ذلك ـ من هذا الطريق، لأنه استدلال عاطفى لا يغنى عن الحق شيئا، ولا يمكن إبطال هذه القاعدة إلا بالرجوع إلى السنة العملية لسيدنا رسول الله ﷺ وإلى تطبيقات تلك السنة عند الخلفاء الرشداين ومن تبعهم بإحسان ونهج نهجهم القويم.

٢- قضية "ثم دنا فتدلى"[2]:

يقول عنها الشيخ الغزالى: (القوى الذى علمه الوحى، ونزل به من- السماء الدني، وحلق به فى جو الأرض، ثم اقترب به من الرسول العربى، هو جبريل بداهة، ولا يحتمل السياق إلا هذا، ومع ذلك فقد جاءت فى الأحاديث المنقولة بطريق الأحاد راوية مستغربة: أن الذى دنا فتدلى هو الله!! والرواية تخالف المقطوع به من الكتاب والسنة ومن هنا لم يكترث بها المحققون، بل جمدت فى مكانها حتى جاء ضعفاء الفقه فاستحيوها دون وعى ... وقد جاء الإمام مسلم- رحمه الله- فعلق على رواية إمامه البخارى- رحمه الله- فبين ما بها من عطب، وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذى ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وآخر.

---

[1] د . ربيع المدخلى كشف موقف الغزالى ص ١٠٨ ، ١٠٩ ط مكتبة ابن القيم المدينة المنورة1410 م .

[2] سورة النجم ٨ .

ان مسلما مضمى على منهج المحدثين، فناقش عمل شريل الراوى عن انس، ثم رفض المتن وحسنا فعل.

إن الخطأ فى تفسير آية النجم- والزعم بأن المعنى- دنا الجبار رب العزة فتدلى كان مثار استنكار السيدة عائشة- رضى الله عنها- فلما سألها مسروق يا أماه هل رأى محمد ربه؟ قالت لقد وقف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهم فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"[1]...

إلخ ثم علقت السيدة عائشة : ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين .

ثم يعلق د. المدخلى على كلام الشيخ بقوله: إن المقصود بهذا الطعن والتشويه هو الإمام البخارى الفقيه البصير والحافظ الناقد الكبير. مع أن المنصف لايرى فى كلام الشيخ اى تعريض بإمام ائمة الحديث البخارى- يرحمه الله تعالى- ولكن هذه هى طريقة د . المدخلى، وطريقة معظم الذين عارضوا الشيخ، فهم لأول وهله، يحاولون اصطناع تصادم بين الشيخ وبين الرموز الكبيرة للأمة من أجل استعداء القارئ على الشيخ وتسجيل مواقف هلامية يظنها أصحابها مواقف علمية راسخة.

يقول د . المدخلى للشيخ: أسألك هل تعتقد أن أهل الحديث يخالفون فى هذه القضية- قضية نزول أمين الوحى جبريل على النبى- ﷺ – التى تواتر بها القرآن والسنة جميعا وأجمع عليها المسلمون؟.

ثم يسوق د. المدخلى أدلة كثيرة جدا على أن الذى دنا فتدلى هو رب العزة... ونسأله كما سأل ما رأيك فى رفض الإمام مسلم للحديث، وفيما روى عن السيدة عائشة واتهامها للقائل بهذا بالكذب واستشهادها بالقرآن الكريم. هذه هى القضية الجديرة بالمناقشة وليست آراء الشيخ فى هذا الحديث.

ولقد حاول د. المدخلى التحايل على رواية السيدة عائشة ولكنه سلم بها فى النهاية فقال: إن أهل الحديث يعتقدون أن المراد يقول الله تعالى: "ثم دنا فتدلى" هو جبريل عليه السلام أخذا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى روته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود- رضى الله عنهم.

فى الفقرة السابقة يسلم د . المدخلى بما ذهب إليه الشيخ من أن المقصود جبريل عليه السلام ويسوق إجماع أهل الحديث على ذلك والسؤال الآن إذا كان كذلك فعلام النقد والتجريح لآراء الشيخ. تلك قضية تحتاج إلى مراجعة.

---

[1] سورة الأنعام 103

المعارضة الثالثة:

يقول المؤلف: سلمان بن فهد العودة: كثير من القراء الذين أتيح لهم الإطلاع على ما كتبه الشيخ الغزالى أو بعضها يتساءلون: إلى أى مدرسة ينتمى الشيخ الغزالى؟ ما هى المنطلقات والأسس الفكرية التى ينطلق منها؟

بهذا الاستهلال بدأ المؤلف كتابه[1] فى معارضة الشيخ الغزالى، وقد ظل المؤلف فى معظم كتابه يحاول البحث عن المدرسة الفكرية التى ينتمى إليها الشيخ الغزالى.

يقول المؤلف: إن من الواضح أنه يحاول ألا يحشر نفسه فى إطار معين ويحاول أن ينتقى من الأراء ما يعتقد أو يرى أنه أحرى بالقبول، إما لقوة الدليل، أو لملائمة الواقع، أو لأى سبب آخر. ومع ذلك فإن من الممكن- من خلال استعراضى ومعايشتى لمعظم ما كتبه الشيخ من كتاب- رسم الإطار العام الذى يتحرك فيه.

وبعد أن أعطى المؤلف لنفسه حق رسم الإطار العام الذى يتحرك فيه الشيخ أو فكر الشيخ شرع فى بيان ذلك فقال: كثيرون من الناس يعتبرون الغزالى من أتباع المدرسة العقلية.

وبدأ المؤلف فى تعريف المدرسة العقلية فقال: إن المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكرى الذى يسعى الى التوفيق بين نصوص الشرع، وبين الحضارة الغربية، والفكر الغربى المعاصر... وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين..

وتعريف المؤلف للمدرسة العقلية غير دقيق لأن المدرسة العقلية موجودة فى الفكر الإسلامى قبل أن تكون للغرب حضارة، والمفكرون يعتبرون المعتزلة هم أئمة هذه المدرسة، وبعضهم يضيف إليها الفقه الحنفى فى بعض توجهاته، لكن لا أحد يعلم هذا التعريف للمدرسة العقلية قبل المؤلف وكتابه الحوار الهادئ.

ثم يحدد المؤلف سمات المدرسة العقلية كما يلى :-

1 – رد السنة النبوية كليا أو جزئيا.

٢- التوسع فى تفسير القرآن الكريم على ضوء العلميسم الحديث بكافة جوانبه.

---

[1] سلمان بن فهد العودة حوار هادى مع محمد الغزالى طر مكتبة نورالاسلام 1413هـ ص9

٢- التهوين من شأن الإجماع إما برفضه كليا كما نجد عند أحمد خان الهندى ... و منهم من يقيد الاجماع كما نرى عند محمد عبده وغيره.

4 – الحرية الواسعة فى الاجتهاد مع غض النظر أيضا عن الأطر العامة التى يجب أن تضبط هذا الاجتهاد .

5- الميل إلى تضييق نطاق الغيبيات ما أمكن وذلك تأثرا بالتيار المبادى الذى يسود الحضارة المعاصرة .

1- تناول الأحكام الشرعية العملية تناولا يستجيب لضغوط الواقع ومتطلباته وذلك كقضايا الربا.

ويعتبر المؤلف معالجة قضايا المرأة سمة مضافة لهذه المدرسة فيقول نجد- مثلا- قضايا المرأة فى فكر "قاسم أمين" الذى يقال إن "محمد عبده" كان وراء ما كتب حول تحرير المرأة.

وبعد هذا الاستعراض يقول المؤلف: يبرز بعد ذلك السؤال المهم،

هل يمكن احتساب الشيخ الغزالى ضمن هذه المدرسة كما يقول البعض، أم أن الأمر ليس كذلك؟

وبعد أن يعرض المؤلف لمعظم كتب الشيخ الغزالى ولنقاط تلاقيه

واختلافه مع المدرسة العقلية ، يعددها فى نقاط كما يلى :

أولا : نقاط الاختلاف .

1- العقل: العقد عند الشيخ الغزالى له مجال يعمل فيه، وهو المجال الكونى والأمور الدنيوية البحتة من زراعة وصناعة وطب ونحوها، أما مجال العلاقات الإنسانية التى تحكم الجنس البشرى فى حياته على الأرض فإن الكلمة فيها لشرائع السماء وحدها... هذا هو الإطار العام الذى يتحرك فيه العقل عند الغزالى.

2- التأويل: نظرا لهذا الموقع الذى يحتله العقل عند الشيخ وهو- إجمالا- أقل من موقع العقل عند أصحاب المدرسة العقلية- فيما يبدو- فإن الشيخ يظهر غالبا وكأنه أقل إسرافا فى التأويل من بقية العقلانيين.

3- الأحكام الشرعية العملية: أما فى مجال الأحكام الشرعية العملية، فان الشيخ الغزالى أبرز أهمية النصى وضرورة الوقوف عنده...

ثانيا: نقاط التلاقى مع المدرسة العقلية .

1-أحاديث الأحاد: رده الحديث الأحاد إذا خالف إيماءات القرآن الكريم. وكذلك عدم إثباته العقائد بحديث الأحاد... وهنا يظلم المؤلف الشيخ لأن عدم إثبات

العقائد بحديث الأحاد رأى كثيرين ممن سبقوا الشيخ وليس رأى الشيخ استقلالا.
2- الإجماع: شارك الغزالى المدرسة العقلية فى تقييد الإجماع وتحديد النطاق الذى يعمل فيه على نحو ما رأه الشيخ "محمد عبده" فهو يرى أن الإجماع: (هو اتفاق أهل الحل والعقد وهم العلماء والأمراء والسلاطين والقواد فى منزلتهم على أمر من الأمور المتعلقة بالمصالح العامة، وهى التى لأولى الأمر سلطة فيها ووقوف عليها).

3- الغيبيات : تذكر أن الشيخ يضيق ببعض القضايا الغيبية ويسارع لإنكارها تجاوبا مع ما يسمى فى العصر الماضى بالعلم التجريبى ولذلك يقول فى كتاب "هموم داعية ص 4": وفى عالم يتبع التجربة ويحترم البرهان، تصور الدين كغيبيات مستوردة من عالم الجن وتهاويل مبتوتة الصلة بعالم الشهادة). وفى هذا النص تبرم وضيق مع التوسع فى الغيبيات فى مجال الجن وغيرها. ونقول للمؤلف: الشيخ لا ينكر عالم الجن ولكنه ينكر ابتزاز أموال الناس والشعوذة باسم عالم الجن وهذا موجود فى معظم مؤلفاته..

4- الأحكام العملية التفصيلية: فيما يتعلق بالأحكام العملية التفصيلية...

فقد اعتنق الشيخ عددا غير قليل من الأراء الضعيفة والمرجوحة والشاذة، وآراء أخرى لم يقل بها أحد من قبل. ومن ذلك :

أ- محاربة الحجاب- أعنى تغطية الوجه- وقد شن الشيخ عليه حملة ضارية مستغربة فى أكثر من سبعين موضعا، فى كتبه حتى إن قضية الحجاب وتغطية الوجه من القضايا التى تقلق الشيخ وتقض مضجعه فهو يحشرها بمناسبة وبغير مناسبة.

ب- ومن الأراء الغريبة التى اعتنقها أن للمرأة حقا فى تولى سائر المناصب بما فى ذلك المناصب العليا بما فى ذلك رئاسة الدولة والوزرات والقضاع.

جـ- وحين يتحدث عن شهادة المرأة يؤكد أن شهادتها فى الحدود والقصاص مقبولة.

د- وفى هذا الإطار يأتى إصرار الشيخ على ضرورة إخراج المرأة إلى المسجد، وأن هذا هو السنة إذ كيف يجوز أن نفتى بغير ذلك فى عصر تمكنت فيه المرأة من غزو الفضاء ؟ وصارت تنال الدرجات العليا والجوائز الضخمة .
ثم يعلق المؤلف على هذه الفقرة بقوله : إنها الهزيمة النفسية أمام ضغوط الحضارة الغربية المنتصرة... والحقيقة أن المؤلف هنا يظلم الشيخ كثيرا ولا يفرق بين النقاب والحجاب- مما يعطي صورة سيئة للقارى عن الشيخ، ثم يعلق على مطالبة الشيخ بخروج المرأة للمسجد بأن هذا من ضغط الحضارة الغربية

المنتصرة، ونقول للمؤلف: إن ضغط الحضارة الغربية هو أن تجلس المرأة فى المنزل أمام التلفاز تعبث بجهاز التحكم للبحث عن اللهو الغير برى- أما أن تخرج للمسجد فهذا هو ضغط الحضارة الإسلامية التى

انتصرت والمرأة فى المسجد وليست خارجه.

5- المسلك الاعتقادى أقول (المؤلف) هنا لقاع جزئى مسع العقلانيين،

مذهب السلف بأنه التفويض فيقول: لقد درسنا فى الأزهر ونحن طلاب مذهبى السلف والخلف فى آيات الصفات، آعنى التفويض والتأويل. فاعتبر الشيخ أن التفويض هو مذهب السلف ويقصد بالتفويض أنه لايتدخل فى تأويل الأسماء والصفات لكنه يجزم بأن ظاهرها غير مراد. ولا شك أن هذا ليس مذهب السلف، بل مذهب السلف إثباتها على حقيقتها دون تأويل، مع القطع بأن ظاهرها لا يلاحظ القارى أن المؤلف يثبت للشيخ آراء لم يقلها فى تعريف مذهب السلف، ثم يبنى بعد ذلك أحكاما عليها وهذا بعيد عن منهج البحث العلمى.

لأن عبارة الغزالى التى نسبها إليه المؤلف تقول: يجزم بأن ظاهرها غير مراد. و عبارة المؤلف: مع القطع بأن ظاهرها لا يعنى التشبيه. العبارتان متوازيتان تماما. أين القضية إذن.

6- الوحدة الوطنية: من اطروحات العقلانيين ما يسمى بالوحدة الوطنية، والتقارب بين الأديان السماوية ولذلك فإن "محمد عبده" أسس جمعية سياسية سرية فى بيروت هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة (الإسلام واليهودية والنصرانية). وقد انتسب إليها بعض المسلمين وبعض الانجليز وبعض اليهود وينسب المؤلف الشيخ إلى هذا التيار فينقل عن الشيخ قوله: إن اختلاف العرب من مسلمين ومضارى لا يمنع تجمعهم على إعزار الأمة العربية ورد العدوان عنها مهما كانت ديانة المهاجم. ولا أدرى لماذا يعترض المؤلف على هذا الكلام الذى يجمع أفراد الأمة فى منظومة واحدة للدفاع عنها ولم نسمع للمؤلف صوتا أثناء حرب الخليج الثانية ودخول القوات من ملل عديدة البلاد الإسلامية للقضاء على حاضرها ومستقبلها بحجة القضاء على جيش العراق العربى المسلم، لا أدرى لماذا لم يعترض المؤلف على هذا .

وبعد أن يعدد المؤلف نقاط التلاقى بين الغزالى والمدرسة العقلية يجد فى نفسه الجرأة لتقييم فكر الغزالى ككل. فيقول: و مما يدركه القارئ العادى لكتب الغزالى: أن الرجل يملك أسلوبا خطابيا عاطفيا أكثر مما يملك فكرا علميا وفقهيا مؤهلا متماسكا، ولعل هذا أثر من آثار عمله الطويل فى الوعظ. ولذلك برز التناقض فى آرائه ومواقفه بشكل ملفت يجعل من الصعب على القارئ أن يحدد

ملامح فكر الشيخ بدقة وكأن الذى يبحث عن منهج واضح الشيخ يبحث عن شئ غير موجود[1] .

وعن موقف الشيخ من السنة النبوية يقول المؤلف: الشيخ الغزالى يؤمن بالسنة النبوية، ووجوب الأخذ بها، ويرد على منكريها، لذلك عقد فى كتاب (مستقبل الإسلام) فصلا عنوانه (أهل القرآن وأهل الحديث) رد فيه على من يسمون أنفسهم بالقرآنيين، وهم أولئك الذين يرفضون السنة، ويوجدون فى عدد من البلاد، ومن أشهر البلاد التى توجد فيها هذه الطائفة- الهند- فهم لايؤمنون إلا بالقرآن وما ورد فيه... ويبين الشيخ الغزالى أنه لاغنى لكل مسلم عن السنة النبوية- هكذا يقول المؤلف- ويستحيل أن يقوم الإنسان حتى بشعائر الإسلام العظام كالصلاة والصيام والحج والزكاة إلا بعد الإيمان بالسنة النبوية لأن القرآن لم يأت بتفاصيل هذه الأشياء.

هذا ما كتبه المؤلف عن علاقة الشيخ محمد الغزالى بالسنة النبوية المطهرة ثم شرع بعد ذلك فى معارضة كتاب- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- وسوف نختار مواقف معينة من معارضته حتى لا يحدث تكرار بينه وبين المعارضين الأخرين.

يقول المؤلف عن حديث نعى الموتى: يقول الشيخ: ومما يحتاج إلى

الفقه السليم تحريم نعى الموتى، وقد جاءنى بعض الطلاب يقولون انهم قرأوا أحاديث تفيد ذلك، ومن ثم فهم يستنكرون الأذان بأخبار الموتى، قلت إن النعى المكروه ما كان استعراضا للمآثر والمفاخر، وتنويها بالأفراد والأسر، أما ماعدا ذلك فلا شائبة فيه، بل لابد منه، قالوا ما رواه الترمذى وابن ماجة غير ما تقول فعن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال عندما احتضو:

(إذا أنامت فلا يؤذن على أحد، فإنى أخاف أن يكون نعيا وإنى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعى).[2]

يقول المؤلف: وهناك أحاديث تجعل النصر جائزا منها: عن أبى هريرة (أن النبى ﷺ نعى النجاشى إلى أصحابه فى اليوم الذى مات فيه فخرج بهم إلى المصلى وكبر عليه أربعا)[3] ... وهذا صريح فى جواز النعى لان النبى صلى الله عليه وسلم فعله، ولا مانع من حمل كل نوع من الأحاديث على حال. والمؤلف

---

[1] سلمان بن فهد العودة حوار هادى مع محمد الغزالى صى ١١ وما بعدها

[2] الحديث آخرجه الترمذى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى كراهية النقض جـ ٢ .

[3] الحديث متفق عليه .

هنا يلتقى مع الشيخ تماما لأن الشيخ يرى الجواز فى حالة عدم المفاخرة ويرى المنع لهذه العلة ذاتها ولكن المؤلف يقول: بعدم جواز رد الحديث طالما أن له محملا، ويعترض على الشيخ فى هذه النقطة بالذات . وعنده حق فى ذلك .

الحديث الثاني: إجبار البكر

يقول المؤلف: قال الغزالى، اتفق المحدثون على أن رسول الله ﷺ قال: (لاتنكح الأيام حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن)[1]، ومع هذا فإن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج بمن تكره... ولا نرى وجهة النظر هذه إلا إنسياقا مع تقاليد إهانة المرأة وتحقير شخصيتها.

ويقول المؤلف: الصحيح فى مسألة البكر ما قرره ابن القيم وما قرره الشيخ- يقصد الغزالى- هنا أنه لايجوز ولا يحق أن تزوج البكر بغير رضاها، يقول ابن القيم: (وهذا هو القول الذى ندين الله به ولا نعتقد سواه وهو الموافق لحكم رسول الله ﷺ وأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته

وبعد أن ينتصر المؤلفا لرأى الشيخ يقول عن رأى الشافعى: أمسا قول الشافعى- الذى نسبه إليه الشيخ- فصحيح فى الأم " أن للأب أن يزوج ابنته بغير رضاها. وأطال فى ذلك، وهو اجتهاد يخطى ويصيب على كل حل.

إذن فالمؤلف يتفق مع الشيخ فيما ذهب إليه بل ياتى بالأدلة التى تؤيد ذلك، ففيم الاعتراض، ربما من أجل الاعتراض.

الحديث الثالث: "أيما امرأة أنكحت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل"[2] يعترض الشيخ على هذا الحديث لأن القرآن الكريم أسند عقد الزواج إلى المرأة فقال: (حتى تنكح زوجا غيره) [3]فعقدها المباشر صحيح. وهذا هو رأى الأحناف والشيخ ينقل رأى الأحناف وعدم أخذهم بالحديث ولكن المؤلف يصر على أن الشيخ يرد الحديث ويبدأ فى المناقشة كما يلى:

١- معنى النكاح فى الاية التى استدلوا بهافى قوله تعالى: (حتى تنكح زوجا غيره)، ما المقصود بالنكاح هنا، هل هو العقد أو الجماع.

المقصود الجماع، بدليل قوله ﷺ: (أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة؟ حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك). فباء قوله[1] حتى تنكح اى حتى يجامعها زوج آخر

---

[1] الحديث : متفق عليه وأخرجه البخارى فى كتاب النكاح باب لا ينكح الأب .

[2] الإمام الشافعى الأم جـ 5 صـ 18

[3] الحديث آخرجه الترمذى و قال حديث حسن . كتاب النكاح ج 6 ص166.

[1] سورة البقرة ٢٣٠

فليست فى مجال العقد فلاحجة فيها، ولذلك لو عقد عليها رجل ثم طلقها قبل أن يجامعها لم تحل للأول.

٢- أن أبا حنيفة فعلا يجيز عقد النكاح بدون ولى، ولكن خالفه فى ذلك بعض تلاميذه كأبى يوسف ومحمد وغيرهما. فلهم فى ذلك أقوال أخرى مختلفة .

ينقل المؤلف هنا عدم إجماع الأحناف على جواز تزويج المرأة نفسها. والحق أن الأحناف يجمعون على هذا ومن أقوالهم: وأما الاستدلال فهو أنها لما بلغت عن عقل وحرية فقد صارت ولية نفسها فى النكاح فلا تبقى موليا عليها كالصبى.

ومنه أيضا: وأما ولاية الحتم والإيجاب والاستبداد فشرط ثبوتها على

أصل أصحابنا كون المولى عليه صغيرا أو صغيرة أو مجنونا كبيرا أو مجنونا

كبيرة، سواء كانت الصغيرة بكرا أو ثيبا. فلا تثبت هذه الولاية على البالغ العاقل[1].

مما تقدم تثبت صحة رأى الشيخ فيما ذهب إليه من إجماع الأحناف على جواز تزويج المرأة البالغة العاقلة نفسها. . وقد جانب الصواب المؤلف فيما ذهب إليه من عدم وجود إجماع على ذلك بين الأحناف. وبذلك يكون الشيخ قد نقل رأى الأحناف. أى أنه رجح رأيا فى مسألة فقهية وهذا متاح للجميع وليس موقوفا على الشيخ. المهم أنه لم يبتدع رأيا فى هذه المسألة.

الحديث الرابع: حديث أم حميد لفظه (صلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك... إلخ)[2] يقول الشيخ عن هذا الحديث: ثم شاع حديث آخر يأبى على النساء حضور الجماعات كلها، بل طلب من المرأة إذا أرادت الصلاة فى بيتها أن أن تختار المكان الموحش المعزول فصلاتها فى السرداب أفضل من صلاتها فى الغرفة، وصلاتها فى الظلمة أفضل من صلاتها فى الضوء، وراوى هذا الحديث يطوح وراء ظهره بالسنة العملية المتواترة عن صاحب الرسالة.

ويتفق المؤلف مع الشيخ فيقول: الواقع أن ما رجحه الشيخ: من أن خروج النساء إلى العيد مستحب ومشروع فى رأيى أنه هو الراجح لأن الحديث صريح فى

---

[1] آبو بكر الكاسانى بدائع الصنائع جـ ٢ ص ٣٦١ طر دارالفكر ١٩٩٦ م .

[2] أخرجه ابن خزيمة. وأخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب التشديد فسبى ذلك (خروج النساء إلى المساجد) جـ 1 صـ 3ه 1 ط دار الريان للتراث.

ذلك، لكن أن تخرج المرأة بعيدة عن التجميل والتطيب والإثارة فهذا أمر لابد منه والأحاديث صريحة فى ذلك.

والقيود التى يضعها المؤلف على خروج المرأة طلبها الشيخ نفسه وقد قدمنا ذلك فى باب المرأة. ولكن المؤلف يتفق مع الشيخ تماما وهذا هو المهم. وإن كان قد حاول الدفاع عن ابن خزيمة وقال: إنه لم يطوح بالسنة العملية. والدفاع عن كل العلماء وإجلالهم أمر مطلوب ومرغوب.

الحديث الخامس: حديث خباب فى البناء ينقل المؤلف عن الشيخ قوله: استغربت مما رواه الشيخان عن خباب بن الأرت قال: (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا لم تنقصهم الدنيا وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا آلتراب). ثم يقول خباب : "ان المسلم يؤجر فى كل شى اين فقه الافى شئ يجعله فى هذا التراب". يقول الشيخ وكلام خباب رضى الله عنه مسحة تشاؤم غلبت عليه لمرضه الذى اكتوى منه ولايجوز أن نعد البناء رذيلة فقد يكون فريضة.

ولم ينكر المؤلف على الشيخ فهمه لهذا الحديث ولكنه اعترض على قوله عن مرض خباب رضى الله عنه: أن هذا القول عليه مساحة تشاؤم لمرضه الذى اكتوى منه... ويقول المؤلف يتطلب الأدب مع هذا الجيل س. جيل الصحابة – ان لايرمى مثل خباب بمثل هذا.[1]

والمؤلف يبنى موقفه هذا على ظن منه أن الشيخ يسخر من خباب بن الأرث وحاشاه أن يفعل ذلك، ولو قصد ذلك لكان مخطئا لا محالة، والذى يبرى ساحة الشيخ هو رواية الحديث بتمامه: (عن قيس بن أبى حازم قال : دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال رضى الله عنه: (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا . مضوا ولم تنقصهم الدنيا وإنا أصبنا مالا نجد له موضعا إلا التراب ولولا أن النبى ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به)[2] يتضح من هذا الحديث تصريح الراوى بمرض خباب رضى الله تعالى عنه ويتضح كذلك الحالة النفسية لمريض هم أن يدعو على نفسه بالموت لقسوة المرض ولكنه امتنع تلبية لأمر حبيبه ﷺ. اذن فالشيخ كان يحكى واقعا يبرز به معنى معينا من غير أن بيتشافى أو يسخر كما ظن المؤلف وإن كان المؤلف سليم القصد فى ظنه فهى غيرة

---

[1] حوار هادئ صـ 106 و ما بعد ها.

[2] الحديث آخرجه الترمذى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى النهى عن التمنى للموت جـ ٢ صـ ٢٩٠ قال أبو عيسى حديث خباب حسن صحيح.

محمودة على سيرة أعلام الهدى من الصحابة الكرام الأطهار. حتى لو كان الشيخ بريئا فى الوقت نفسه وهذا ما نعتقده ولا تسمح معانى الكلمات إلا به.

المعارضة الرابعة:

المعارضة الرابعة جاءت تحت عنوان- القول الكريم الغالى فى الدفاع عن الداعية الغزالى- ومن يقرأ العنوان يتصور أنها موافقة وليست معارضة إلا أن من يقرأ الكتاب يشعر أنها معارضة ولكنها تميل إلى التهذيب فى العرض والتناول أكثر من المعارضات السابقة، وربما تأثر صاحبها ببركية المكان الذى يعمل فيه فهو مدرس واعظ بالمسجد النبوى الشريف ولذلك يبدأ كتابه بقوله عن الشيخ: إنه أحد دعاة الإسلام فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين خاطب وحاضر وحاور وكتب وألف وراسل دعوة إلى الإسلام ونصرة له ولأهله، ما أصبح به علما من أعلام الإسلام، فى ديار الإسلام وخارجها، إنه المصرى مولدا ومنشأ وتعلما وتخرجا ، جاب أقطار العالم شرقا وغربا أقام ردحا من الزمن بغرب جزيرة العرب وبشرقها. وبالجزائر ردحا آخر وأحسبه الآن بديار أهله، ومربع صباه، ومسرح دعوته ودعواه أحسن عاقبته وعاقبتى معه- آمين.[1]

ثم يقول المؤلف أن ما أخذ على الداعية الغزالى مما جاء فى كتابسه الأخير (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث). كان معذورا فيه، ولذا رفعت القلم لأدافع عنه ما هو معذور فيه. لايؤاخذ بين أهل العلم به.

نسيده السلفيون اليوم إلى الجبر وهم براء منه براءته هو منسيه أو أشد .

وبعد أن يتحدث المؤلف عن الجبر، معناه ويدلل بالقران الكريم والسنة الشريفة يبدأ فى تناول موضوعات كتاب (السنة النبوية بين اهل الفقه وأهل الحديث) موضوعا موضوعا، وسنعرض هنا لبعض الموضوعات خشية التكرار مع

---

[1] هو الشيخ جابر أبو بكر الجزائري . ولد بالجزائر عام 1 2 19 م في أسرة صالحة. نشأ يتيما في بيئة صحراوية يغلب عليها الجد ثم أقبل على طلب العلم وله من المؤلفات : منهاج المسلم، والدولة في الإسلام، وعقيدة المؤمن، ونصيحتي إلى كل أخ شيعي وغيرها كثير. انظر ترجمته في: رجال ومفكرون للشيخ محمد المجذوب ص 27 ط دار الاعتصام . (6) أبو بكر الجزائرى الدفاع عن الداعية الغزالى خمس ٢ط مكتبة أم القرى 1410هـ

المعارضات السابقة ولكنه سيتضح أسلوب المؤلف ومنهاجه من خلال هذا العرض بإذن الله تعالى.

1- تلبس الجنى بالأنسى:

يقول المؤلف: لقد أنكر الشيخ الغزالى تلبس الجنى الجنسى بالإنسى تحت عنوان (المس الشيطانى حقيقته وعلاجه). وهو معذور فى إنكاره إلا أن ما استشهد به على إنكاره يتعلق بالشيطان الرجيم الذى هو إبليس وذريته إن إبليس وذريته لاسلطان لهم على الإنسان بحيث يلزمونه بارتكاب المعاصى قهرا أو جبرا، دون إرادته واختياره.

وخلاصة القول أن الشيخ الغزالى لم يذكر شاهدا واحدا على عدم دخول الجنى فى جسم الآدمى، وإنما تكلم على عدم تأثير الشيطان على الإنسان لانعدام سلطانه على الإنسان وهو حق إذ لا يملك الشيطان إلا التزيين للقبائح، والوسوسة لحمل الإنسان باختياره عليها... هذا ولكى تتضح الحقيقة ويعلم المسلمون خطأ من ينكر تلبس الجنى بالأنسى نذكر مبينين: أن العوالم أربعة، وهى عالم الملائكة عليهم السلام، وعالم الشياطين وهم إبليس وذريته، وعالم الجن وعالم الإنس...

ويحكم آن الانسى لايرى الجنى، فان الانسى لايوذى الجنى الا بطريق الخطأ كان يبول عليه ماء حارا، أو يرمى عليه نجاسة، أو يجلس عليه، أواستدل المؤلف على قوله هذا بأن الإنسى لا يرى الجنى بقوله تعالى: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم)[1]. وهذه الآية لاتعنى الجن بمفهوم المؤلف، بل تعنى إبليس وذريته. ويقول المؤلف... أو يصب عليه مساء حارا والماء الحار لايضر الجنى لأنه مخلوق من نار أصلا.

والمؤلف يفرق بين إبليس وذريته وبين الجان وهو محق فى ذلك إلا أنه يرى أن الشياطين مخلوقة من مادة إبليس وهى كمادة مستقلة تشكل عالما قبل المعصية أو أصبحت كذلك بعد المعصية وهو رأى غريب لم أقف له على سابقة.

ويصل المؤلف إلى نتيجة وهى أن الشياطين توسوس وأن الجان- خاصة العصاة منهم- يؤذون الإنسان ويقول: إن من المكابرة أو العناد أن تقول بخلاف ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة بعد ثبوت ذلك بالسنة الصحيحة ومشاهدة وإقرار أئمة الأمة وصلحائها وأفاضلها فى كل زمان ومكان من عهد نزول الوحى إلى

---

[1] سورة الأعراف 27

اليوم... ومن قرأ سورتهم فى القرآن (سورة الجن) فإنه لايتردد فى أنهم يؤذون ويظلمون شأنهم شأن الإنس.

يقول المؤلف: هل أنكر الغزالى مس الجنى للإنسى؟ نعم أنكره فى رسائله ومنها كتابه الأخير "السنة النبوية" وهو معذور فى إنكاره، وهذا بيان عذره:

1 – وجود مشعوذين ودجالين يدعون أنهم يخرجون الجن ويتحكمون فيهم و هم لايقدرون على شئ.

2- اختلاط الشيخ بالعلمانيين وهم يرفضون ذلك.

إن إنكار الشيخ الأمر مجمع عليه... لا يصح الالتفات إليه بحال من الأحوال والغزالى معذور وقد قدمنا بيان عذر.[1]

وقد وصل المؤلف إلى هذه النتيجة بعد أن ساق كثيرا من الأدلة الصحيحة وأنا متفق معه فى أن الجنى- الفاسق- يؤذى الإنسى وهذا ثابت بالسنة، أما مسألة خلق الشياطين من مادة إبليس وخلق الجن من النار فلا أتفق معه فيها، والأقرب إلى الصواب أن إبليس (كان من الجن ففسق عن أمر وأصبح هو وذريته عصاه يوسوسون للإنسان بالشر والمعصية. وأما باقى أفراد الجن فهم على طبيعتهم التى خلقوا عليها- بعيدا عن إبليس وذريته- منهم المطيع ومنهم العاصى، منهم المسلم ومنهم الفاسق.

المعارضة الخامسة:

تنهج المعارضة الخامسة نهج النقد لكتاب "السنة النبوية" للشيخ إلا أن أسلوبها يتسم بالهجوم من أول سطر، وليست كالمعارضة السابقة التى كتبها الشيخ أبوبكر الجزائرى، ولذلك سأقتصر منها على جانب فنى يتعلق بخبر الأحاد يقول المؤلف عن الشيخ: نصب الشباك وجميع الجند، وأغار على علماء المسلمين باسم الدفاع عن الدين، وكل ذلك لاستقصاء خبر الأحاد من دين رب العالمين... والعجيب أنه خالفه فى كتابه فى عشرات المواضع... ورده لمحض الهوى، وليوافق عادات وتقاليد أهل الكفر والعصيان شرقا وغربا.

هل نعمل بخبر الأحاد أم لا؟

قال تعالى: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين)[2] فى هذه الأية قبل موسى خبر الناصح ، وزكى الله هذا العمل من موسى عليه السلام ، فلو لم يكن خبر الواحد

---

[1] المرجع السابق صى ٢١ وما بعدها

[2] سورة القصص 20

يجوز العمل به ما زكى الله هذا العمل. قال تعالى: (فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.....)[1] فى هذه الأية قبل موسى عليه السلام خبر المرأة.

وهناك من السنة المطهرة أدلة لا يحصيها إلا البارى عز وجل: عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: (بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم أت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة)[2]. وهنا صحابة رسول الله ﷺ قبلوا خبرا عظيما من واحد، واستداروا إلى الكعبة ما قالوا له: لابد أن تأتينا بكافة حتى نصدقك. كلا بل قالوا بلسان الحال: سمعنا وأطعنا.

أرسل رسول الله ﷺ معاذا إلى الجند وجهات مسن اليمن وأبا موسى إلى زبيد ، وأبا بكر على الموسم، وأبا عبيدة إلى

نجران ، وعليا إلى اليمن ... وما قال أهل هذه البلدان أذهبوا فسأتوا بكافة لنصدقكم فيما تنقلونه عن الرسول ﷺ.[3]

وبهذا تنتهى مناقشة المؤلف لخبر الواحد، أو دفاعه عن حديث الأحاد فى مواجهة الشيخ.

غاب عن المؤلف أو تعمد ذلك، أن يذكر للقارى أن العلماء فى الماضى والحاضر اختلفوا فى حديث الأحاد- خاصة- إذا تعلق بالعقائد فمنهم من يرى أنه لا يعمل به فى مجال العقيدة، ومن يرى وجوب العمل به، والمسألة خلافية، وإذا انحاز الشيخ لرأى بعض العلماء فليس معنى ذلك أنه يناصب السنة المطهرة العداء، وقد قدمنا فى الفصل الأول من هذا الباب أنه- أى الشيخ- عاشق للسنة الشريفة وظل فى خدمتها والدفاع عنها حتى لقى ربه سبحانه وتعالى .

المعارضة السادسة:

تأتى المعارضة السادسة مركزة على نقطة واحدة فى موضوع عام وهو تحريم الالات الطرب، وصاحب هذه المعارضة هو العلامة محمد ناصر الدين الألبانى وقد كان صديقا للشيخ الغزالى، وخرج له أحاديث كتاب فقه السيرة ولم ير فى منهجه خطأ يجعله يعتذر عن تخريج هذه الأحاديث فى هذا الكتاب إلا أنه

---

[1] سورة القصص 25

[2] الحديث متفق عليه .

[3] مصطفى سلامة براعة أهل الفقه وأهل الحديث من أوهام من الغزالى ص. 1 ه ، ٢ه ط مكتبة ابن حجر ه 1410 هـ.

كغيره- بعد صدور كتاب السنة النبوية- هب للهجوم على الشيخ. وزعم أنه لا يحترم علماء الحديث، وقال فى كتابه تحريم الات الطرب: داعية اسلامى لايدرى ما الحديث وما الفقه ، ولايدرى اصولهما ولا المصادر التى يجب الرجوع إليها، أو يدرى ولا يتمكن من ذلك لسبب أو الأخر كما قيل:

وإذا لم تر القمر بازغا فسلم لأناس رؤه بالأبصار

فلا أنت منهم ولا أنت سلمت لهم، بل نصبت نفسك للرد عليهم مع الاستهزاء بأقوالهم، والسخرية منهم، كأنك لم تعلم، أوعلمت ولم تؤمن بمثل قوله ﷺ (الكبر بطر الحق وغماطي الناس)[1]. فأخشى ما أخشى عليه رسول الله ﷺ وإلا كنت من الهالكين ... هذه نصيحة أوجهها لك- والدين النصيحة- وأنت على حافة قبرك مثلى.[2]

من كلمات العلامة الألبانى يتضح أن مشكلة الشيخ الحقيقة هى مشكلة نقد علماء الحديث وتوجيه اللوم لهم. أما مشكلة الأحاديث التى نقدها الشيخ فقد سبقه غيرها إليها. غير أن نقده لعلماء الحديث وتهكمه عليهم هو الذى أغضبهم عليه، لدرجة أن صديقا كريما له مثل الشيخ الألبانى- والذى تعاون معه فى تخريج أحاديث كتاب (فقه السيرة) ناصبه العداء وحاول أن ينتقم للجميع منه، لأنه شعر أن الشيخ قد أهان علماء الحديث جميعا، واتهمه بتضعيف بعض الأحاديث لعلل فى متنها أو سندها، وهذا أمر مسلم به لدى علماء الحديث والشيخ الألبانى نفسه ضعف أحاديث كثيرة وكون من ذلك سلسلة كبيرة سماها "الضعيفة"، وصحح بعض الأحاديث وجمعها فى سلسلة سماها "الصحيحة" ولم يقل أحد أنه- أى الألبانى- ضد السنة، أو أنه يعمل على هدم الدين، بل احتفظ له الجميع

بالتقدير الواجب، والحب الزائد. لكن مشكلة الشيخ أنه تناول علماء الحديث بما لا يليق بهم فالبهم عليه فكرهوه، وتواصوا به، وجعل بعضهم من قذفه وسبه علما ومنهجا، ولو كان- يرحمه الله تعالى- قد رضا أفكاره فى الحديث مجردة عن الهجوم على علماء الحديث لمكان فى ذلك خيرا له ولتراثه الدعوى فى آن واحد.

فى الفصل الاول فى كتاب الشيخ الالبانى- فى ذكر الاحاديث الصحيحة فى تحريم الغناء والات الطرب- يقول: أعلم- أخى المسلم أن الأحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا، فقد جاوز عددها العشرة، عند ابن حزم وابن القيم، فهى من

---

[1] الالبانى الصحيحة 134، 1626 ط مكتبه المعارف الرياضى .

[2] الالبانى تحريم آلات الطرب ص. ٣١ ط مكتبة الدليل ١٩٩٧ ط٢ .

الكثرة أن مجموعها يدل الواقف عليها على أن مضمونها الذى اتفقت عليه متونها- وهو التحريم- ثابت عنه ﷺ يقينا، حتى ولو فرض أن إسناد كل فرد منها معلول كما زعم ابن حزم، وذلك بحكم القاعدة المتفق عليها عند المحدثين والعلماء: أن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق، كما هو مفصل فى علم مصطلح الحديث... وإذا نظر المنصف إلى مجموع هذه الطرق علم أن للحديث أصلا، وأنه ليس مما يطرح، وقد حسنوا أحاديث كثيرة باعتبار طرق لها دون هذه[1] .

فى هذه الفقرة يعترف الشيخ الألبانى بصحة ما ذهب إليه ابن حزم، ومتابعة الشيخ الغزالى له فى ضعف الأحاديث الدالة على تحريم الغناء، يقول الشيخ الألبانى: حتى لو فرض أن إسناد كل فرد منها معلول كما زعم ابن حزم- وهو يسلم ضمنا بعلة إفراد هذه الأحاديث، ثم بعد ذلك يطرح تصورا: أن كثرة الطرق تقوى الحديث الضعيف، ونحن لا نستطيع الاعتراض على ذلك، لأن الألبانى من علماء الحديث الثقات، ولكن بوسعنا أن نسأل سؤالا: إذا كانت كثرة الطرق تقوى الحديث الضعيف، فهل تجعله صحيحا؟ إذا كانت الإجابة عند أهل علم الحديث بنعم يكون ابن حزم والغزالى مخطئين، وإذا كانت الإجابة: أنها تحسنه فقط فعندها يعذر ابن حزم ومن تبعه على رأيه فى إباحة الغناء، والأمر متروك لعلماء الحديث لحسم هذا الأمر.

فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب (تحريم الات الطرب) .يحرم المؤلف الغناء والطرب، ثم يعود فى الفصل السابع من الكتاب نفسه فيقول: ما حكم الغناء بدون الة؟ الجواب عليه أقول: لا يصح إطلاقا القول بتحريمه، لأنه لا دليل على هذا الاطلاق، كما لا يصح إطلاقا القول باباحته، كما يفعل بعض الصوفيين وغيرهم من أهل الأهواء قديما وحديثا، لأن الغناء يكون عادة بالشعر، وليس هو بالمحرم إطلاقا كيف، والنبى ﷺ يقول: "إن من الشعر لحكمة"[2]. بل إنه كان يتثمل شيئا منه أحيانا كمثل شحر عبد الله بن رواحه رضى الله عنه: (ويأتيك بالأخبار من لم تزود). والشعر تلام:" حسنه حسن وقبيحه قبيح"[3] .

---

[1] تحريم آلات الطرب ص: 36

الحديث رواه البخارى فى كتاب الادب مايجوز من الشعر ط ١٠ ص ٣ ٥ ٥ .

[2]

[3] تحريم آلات الطرب ص ١٢٧ .

هذا هو رأى الإمام الألبانى فى الغناء مع ابن حسيزم وابن القيم، والشيخ محمد الغزالى، ولا أدرى لماذا أخذ منهم هذا الموقف الشديد فى بداية الكتاب، ووصفهم بأوصاف لا يستحقونها، ولا تليق به هو، وفى النهاية يتفق معهم تماما فى إباحة الغناء، وعدم تحريمه، وكان شرطه الوحيد أن يكون الغناء بدون الات، وهم أيضا لا يشترطون أن يكون الغناء بالات، بل خيم تكلموا عن الغناء كغناء يدور حكمه بين الحل والحرمة.

المعارضة السابعة :

والمعارضة السابعة أقرب إلى الموافقة. ولكن هناك بعض النقد لبعض كلمات الشيخ ولذلك أثبتها ضمن المعارضات، وهى لعالم جليل عم علمه أقطار العالم الإسلامى وهو الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى وجاءت المعارضة فى كتابه: "الشيخ الغزالى كما عرفته".

فى المبحث السابع وتحت عنوان "الغزالى والسنة النبوية" يقول المؤلف: القرآن الكريم هو المصدر الأول لفكر الشيخ الغزالى الدعوى والإصلاحى، والسنة هى المصدر الثانى، فهو يعتبر السنة ضرورة لفسهم القرآن، فهى الشرح النظرى، والتطبيق العملى له، وهو يحتفل احتفالا خاصة بالسيرة، باعتبارها الجانب العملى من السنة....

ولهذا وجدنا فى كتبه حشدا كبيرا من الأحاديث الشريفة يسوقها مع آيات القرآن العزيز لتكون نورا على نور، فيبين بها حقائق الإسلام، ويسرد بها على أباطيل خصومه، ويصور بها عدله ورحمته..

ومن تأمل فى كتابه " فقه السيرة " ووقفاته العميقة مع الأحداث

النبوية طوال الدعوة والمصابرة ، ومرحلة الجهاد والمواجهة ... وجد فيه

عقل الباحث المدقق ، يتعانق مع قلب المؤمن المحب ، وروح الداعية المحلق الذى يحيا فى السيرة بل تحيا فيه السيرة ..

أما كتابة الأخر "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" الذى

أهاج عليه خصومات الكثيرين واستثار أقلاما عدة لترد عليه بقسوة وحدة، فمنطلق فيه الدفاع عن السنة أمام فريق "العقلانيين". ولو أدى ذلك إلى رد بعض الأحاديث الثابتة فى الصحاح، إذا ناقضت منطق العقل، أو منطق العلم، أو منطق الدين نفسه حسبما يراه، وهذا المبدأ فقرر لدى علماء

الحديث أنفسهم، ولكن الخلاف فى التطبيق، وربما أسرف الشيخ فى رد بعض الأحاديث الثابتة، وكان يمكن تأويلها، وحملها على معنى مقبول. وربما قسا كذلك على بعض الفئات، ووصفهم ببعض العبارات الخشنة والمثير. وربما

استعجل الحكم فى بعض مسائل كانت تحتاج إلى بحث أدق وإلى تحقيق أوفى .. ولكن الكتاب ليس كما تصوره الحملة عليه، كأنه كتاب ضد السنة، ولا كما تصور مؤلفه وكأنه ينكر السنة المشرف، وهاجم خصومها بعنف.

وإنكار حديث أو حديثين أو ثلاثة، وإن ثبتت فى الصحاح، لايعنى بحال إنكار السنة بوصفها أصلا ثابتا، ومصدرا تاليا للقرآن، ولو صح ذلك لأخرجنا أئمة كبارا مثل أبى حنيفة ومالك من زمرة أهل السنة، لردهما أحاديث صحاحا فى العبارات أو المعاملات لم تثبت عندهما، بل لو صح ذلك لا تهمنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لأنها ردت على بعض الصحابة أحاديث رووها وسمعوها بأذانهم من رسول الله ﷺ لأنها- فى رأيها- مخالفة لما جاء فى القرآن فاتهمتهم بأنهم لم يحسنوا أن يسمعوا، أو يحسنوا أن يحفظوا. وقد نخالف الصديقة بنت الصديق فى فهمها، وفى موقفها من تلك الأحاديث كما نخالف مالكا وأبا حنيفة فى موقفهما كذلك، وقد نسرد بالحجة على ماذهبوا إليه.. ولكن مسلما ذا مسكة من عقل ودين، لا يستطيع أن يتهم عائشة، ولا أن يتهم أبا حنيفة أو ملكا بأنه ضد السنة أو مسارق من الدين . .

و هذا هو موقفنا من الغزالى، قد تخالفه فى بعض آرائه فى الكتاب، ما قل منها أو كثر، وقد تخطئه فيها، فليس هو بمعصوم، ولكننا لا نتهمه

فى دينه، ولا فى علمه، ولا نهيل التراب على تاريخه الحافل، وكفاحه المتواصل فى نصرة الإسلام.

وعن السبب الذي أدى إلى هذه الخصومات بقول المؤلف: الواقع أن مثبوت فى مختلف كتبه، ضم شتاته فى هذا الكتاب، مع بعض أفكار جديدة

وكلمات شديدة، ولهذا أثار ما أثار من ضجيج[1].

فى الفقرات السابقة أثبت المؤلف حب الشيخ للسنة وعشقه لها، وبين أن منهجه فى تناول الأحاديث قد سبقه إليه أئمة كبار، وأن أفكار الشيخ نفسها قد سبق وسبق وسجلها فى كتبه، ثم بين بعد ذلك أن سبب الثورة على الشيخ كانت بسبب الكلمات الشديدة التى وجهها لطماع الحديث، وهو ما أشرت إليه من قبل، حين قلت: إن هذه الخصومة مع الشيخ ليست بسبب أفكار الشيخ فى الأحاديث لأنه مسبوق فى معظمها وإنما بسبب هجومه على أهل الحديث الشريف. وعن المشكل الثانية الت آثارها خصوم الشيخ بالنسبة للسنة النبوية

وهى مشكلة "حديث الأحاد" يقول المؤلف: وإذا تعرضنا لما أخذ على الشيخ

---

[1] د. يوسف القرضاوى الشيخ الغزالى كما عرفته صى ١٢٢، ١٢٣ ط دار الوفاء1997م

فى جانب السنة نجده يتلخص فى أمرين أساسيين أولهما[1]: أنه لا يعتمد أحاديث الأحاد فى إثبات العقائد .

و هذا كمابيناه فى بعضى كتبينا[2] مؤسس على آمرين :

1-أن العقائد لابد أن تبنى على اليقين لا على الظن .

وأن أحاديث الأحاد- وإن صحت- لا تفيد اليقين بل لا يفيد اليقين الا المتواتر.

وأقوال جمهور علماء الأصول: أصول الدين وأصول الفقه، وعلماء الحديث انفسهم توليد ذلله، واستثنوا ما احتفت به القرئن كان يكون فى الصحيحين وتلقته الأمه بالقبول، وسلم من المعارض، ونازع فى ذلك بعض المحدثين والحنابلة.

وهذا التوجه فى التعامل مع أحاديث الأحاد فى العقائد هو الشائع لدى المدارس والجامعات الدينية الشهيرة فى العالم الإسلامى، التى تتبع منهج الأشاعرة والماتريدية فى أصول الدين، مثل الأزهر والزيتونة والقرويين و ديوبند و ما تفرع منها ...

والقول بأن حديث الأحاد يفيد اليقين- كما يفيد المتواتر- ضرب من المجازفة المرفوضة عقلا ونقلا ..

وتحت عنوان محققو الحنابلة فى صف الغزالى يقول المؤلف: وقد وجدت الحنابلة مختلفين فى هذه القضية، نظرا لما روى عن الإمام أحمد بشأنها، وتبين لى أن معظم الأصوليين المحققين فى المذهب يميلون إلى أن حديث الأحاد أو خبر الواحد لا يفيد اليقين، وبتعبير آخر، لا يقتضى العلم ذكر ذلك القاضي أبو يعلى فى (العدة) وأبو الخطاب فى التمهيد، وابن قدامة فى الروضة" وابن تيمية فى (المسودة)[3]

وقد برأ المؤلف ساحة الشيخ من اتهامه بتعمد رفض أحاديث الأحاد،

وبين أنها مقبولة عند الشيخ فى غير العقائد وهذا هو مذهب جمهور عريض من العلماء، ومدارس وجامعات إسلامية عريقة مثل الأزهر والزيتونة القرويين وغيرهم وما تفرع عنهم.

---

[1] الأمر الثانى هو رد بعض "الأحاديث الصحيحة وقد سبقت الإشارة إليه .

[2] مثل كتاب المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة نشر مكتبة وهبة .

[3] الشيخ الغزالى كما عرفته صى ١٢٣ وما بعدها .

- تعقيب أول :

تبين لنا من استعراض موقف الشيخ من السنة الشريفة، أن الشيخ محب وناصر للسنة الشريفة، بعكس ما يعتقد البعض، حتى فى الأحاديث التى ردها، كان يفعل ذلك ليقول لأعداء السنة: إنكم تعترضون على حديثين أو ثلاثة، وهى أحاديث ضعيفة السند، أو فى متنها علة قادحة، وعشرات الآلاف من الأحاديث صحيحة ومباركة ومعبرة عن صاحب السنة عليه الصلاة والسلام، وعن الخط العام للاسلام.

وكما يقول د . يوسف القرضاوى: وإنكار حديث أو حديثين أو ثلاثة- وإن ثبتت فى الصحاح- لا يعنى بحال إنكار السنة بوصفها أصلا ثانيا، ومصدرا تاليا للقرآن، ولو صح ذلك لأخرجنا أئمة كبارا مثل أبى حنيفة ومالك من زمرة أهل السنة، لردهما أحاديث صحاحا فسى العبادات أو المعاملات لم تثبت عندهما، بل لو صح ذلك لاتهمنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، لأنها ردت على بعض الصحابة أحاديث رووها وسمعوها بأذانهم من النبى ﷺ لأنها- فى رأيها- مخالفة لما جاء فى القرآن فاتهمتهم بأنهم لم يحسنوا أن يسمعوا أو يحسنوا أن يحفظوا... ولكن مسلما ذا مسكة من عقل أو دين لا يستطيع أن يتهم عائشة، ولا أن يتهم أبا حنيفة أو مالكا بأنه ضد السنة أو مارق من الدين[1].

ورد بعض الأحاديث الثابتة فى الصحاح إذا ناقضت منطق العقل أو منطق العلم، أو منطق الدين نفسه... مبدأ مقرر لدى علماء الحديث أنفسهم

ولكن الخلاف فى التطبيق هكذا يقول د. القرضاوى، ولى بعض الملاحظات على منهج الشيخ الغزالى فى كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث :

الملاحظة الأولي :

إن الشيخ لم يرد أحاديث كثيرة منفردا بذلك، بل فعل ذلك تبعا للصحابة والعلماء والأئمة الفقه، وإن كنت أتمنى أن يلجأ الشيخ إلى تأويل الحديث والتعرف فى معناه ولا يرده مادام قد ثبت فى الصحاح، لأن تأويل الحديث من الأمور التى جرى عليها العرف بين العلماء، وهو يعطى بذلك المعنى المطلوب إثباته، أو المطلوب نفيه عن الحديث، لأن كلمات الرسول ﷺ جامعة وهى تحمل على أوجه عديدة وخير مثال على ذلك ما فعله ابن حجر والنووى وغيرهم من شراح الحديث الشريف. وهم يذكرون فى شرحهم مفاهيم عديدة واختلافات كثيرة ثم

---

[1] دز يوسف القرضاوى الشيخ الغزالى كما عرفته صى ١٢٣ .

يختارون ما تطمئن إليه نفوسهم. وكان الشيخ يستطيع أن يفعل ذلك، ولا يرد أى حديث طالما أنه ثبت فى كتب الصحاح .

الملاحظة الثانية

إننى أرى رأيا خاصا أطالب به كل الدعاة وهو عدم رد الأحاديث الصحيحة، وتأول ما تعسر فهمه منها، لأن رد الأحاديث الصحيحة يحدث بلبلة وتخبطا فى فكر متوسطى الثقافة الإسلامية، ويترك أثرا سيئا فى نفوس الجماهير التى لا تعلم شيئا عن العلة القادحة فى متن الحديث، وقد تلقت الأمة بالقبول صحيحى البخارى ومسلم، فلا داعى لإثارة المشاكل حول هذين الصحيحين، والأحاديث الواردة

فيهما، وعموما فالوقت ليس وقت خلاف، بل وقت تجمع ومعاضدة، لأن الأمة كلها تمر بظروف صعبة، يتربص بها أعداء يملكون القسوة فى شتى مناحى الحياة ولم يبق للأمة إلا دينها وأخلاقها، وعسى أن يكونا سبيلا- مع العمل العمرانى المتقن- إلى التفوق مرة أخوى فى الحياة ، والوقت لا يسمح بالخلاف قليلا كان أو كثيرا.

الملاحظة الثالثة:

أن الشيخ أسرف فى لوم علماء الحديث، واتهمهم بالحفظ فقط وتناول ذلك بعبارات شديدة، أثارت عليه عددا غير قليل منهم، وحاول البعض الرد على الشيخ ، وجاء الرد عبارة عن رد فعسل متجاوز - لم يلتزم بالمنهج العلمى- لفعل شديد. وفى الحقيقة فاتهام علماء الحديث بالحفظ ليس منقصة فى حقهم لأن حفظ حديث رسول الله ﷺ شرف وسعادة، والذين يحفظون الحديث يستضيئون بنو ما حفظوه، وهم مباركون أينما حلوا أو ارتحلوا، وهم لا يحفظون فقط- حتى لو تعمدوا ذلك- بل ينساح نور الحديث الشويف على إفهامهم فينورها ويجليها، ولو تغاضى الشيخ عن الهجوم على علماء الحديث، لمر كتابه بسلام، ولأصبح مرضياً عنه من الجميع. ولو افترضنا أن بعض علماء الحديث يحفظونه ولا يجيدون فهمه، فإن حكم هذا البعض لا يندرج على الكل ، لأن هناك من علماء الحديث من هم بحور علم، أثروا بعلمهم، بعلمهم ، وبفهمهم لحديث رسول الله ﷺ، فى سير حركة الأمة وهى تنساح فى أيامها الخالدة .

الملاحظة الرابعة:

إن كبار علماء الحديث- باستثناء الشيخ الألبانى- لم يسردوا على الشيخ وحسنا فعلوا، لأنهم يعرفون أن الذى كتبه الشيخ قد سبقه إليه غيره، ولأنهم لايريدون تعميق الخلاف داخل الصف الإسلامى فى هذه الظروف.

تعقيب ثان:

برغم المعارضة التى حدثت للشيخ بسبب كتاب (السنة النبوية) إلا أن ذلك لا ينقص من قدره، ولا يجعلنا نغض الطرف عن جهاده فسى سبيل الدعوة لأكثر من خمسين عاما، حمل فيها- بحق- لواء الدعوة والثقافة الإسلامية، كتب ونشر، وحاضر وخطب، فى ظروف قاسية، لا يستطيع أن يفعل ذلك أحد الذين عارضوه.

لقد كتب عن مقاومة الاستعمار، والاستعمار جاثم على أرض الوطن، وتعرض لكثير من المشاكل، بسبب آرائه، حتى دخل السجن، وعذب فيه عذابا شديدا وخرج من السجن أقوى مما كان، وعاد يناضل ويجاهد فى سبيل الله تعالى.

ولما رأى الاستعمارى غير طريقته من الاستعمار العسكرى الى الاستعمار الفكرى جرد سيفه- قلمه- وبدأ يشرح للناس ألاعيب الاستعمار وخطر الانسياق وراء عباراته الخادعة المراوغة وألف فى ذلك كثيرا.

ولما أدرك الشيخ- وكان ذلك من بداياته- أن الدين لكى ينتشر نورا بين الأمم، لابد له من قو تحميه وترعاه، ولابد له من رجال مخلصين يقومون يأمره، كتب الشيخ ونوه عن ذلك فى معظم كتبه، وهو الذى جعل العمل فى الحق، وفى المصنع وفى الجيش، وفى كل مهنة نافعة عبادة كالصلاة وسائر عبادات الإسلام، وبين للناس أن المسلم القوى هو الذى ينجح فى دنياه وفى أخراه على السواء. ولابد من القيام بالعبادات على أحسن ما يكون، وإتقان العمل العمرانى كذلك حتى تتكون هوية للأمة الإسلامية عمادها القوة المادية والأخلاق الربانية.

وسواء اتفقنا مع الشيخ الغزالى أو عارضناه فسيبقى إمام الدعاة المخلصين، ونبراساً يضيى طريقهم فى كل مكان من أرض الإسلام.

لقد عبر الشيخ- بحق- عن الفكر الإسلامى الصحيح المسأخوذ من القرآن والسنة الشريفة، فوجد قبولاً لفكره فى كل بقاع العالم الإسلامى، وسيبقى كذلك حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

إن الذين عارضوا الشيخ الغزالى والذين وافقوه وأحبوه مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل مجموعة من الرجال صعدوا جبلا عاليا شاهقا، فمنهم من أحب الجب لعلوه ورسوه، ومنهم من خانته عافيته فكره الجبل الأشم لعلوه ولصعوبة الوصول إلى قمته ، ومكثوا- المحب والكاره- فترة ثم انصرفوا وبقى الجبل الأشم مناطحا قمم السحاب، منافحاً كل عيب، هاديا لكل مسافر- يبحث عن الحقيقة- فى ظلمات الليل وفى وسط المحيطات والبحار، بين شديد الرياح وعتو الأمواج.

ويصدق على المحبين للشيخ والمعترضين عليه قول الشاعر:

و كم من جبال قد علا شرفاتها رجال فبادوا والجبال جبال

هذا: ويكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

أقيم المراجع

- القرآن الكريم .
- الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري- صحيح مسلم).
[1] أثر الاحتلال البريطاني- د / جرجس سلام- ط مكتبة الأنجلو سنة 1966 م [2] إحياء علوم الدين- الإمام الغزالي- ط دار الشعب 1970 م .

[3] إخراج الأمة الإسلامية وعوامل صحتها وضعفها- د / ماجد عرسان الكيلانى- ط آخبار اليوم ١٩٩١ م .
[4] أزمة العرب و مستقبلهم- محمد حسنين هيكل- دار الشروق ١٩٩٩ م .
[5] أسد الغابة .
[6] الاتجاهات الوطنية- د/ محمد محمد حسين- ط دار الفكر العربي .
[7] الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية- د / زكريا سليمان بيومي ط مكتبة وهبة.
[8] الاستعمار أحقاد وأطماع- محمد الغزالي- ط دار الكتب الاسلامية ١٩٨٣م.
[9] الأسرة- د / أحمد حمد- ط دار الكتب الجامعية ١٩٨٦م .
[10] الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية – الشيخ محمد الغزالي ط مكتبة و هبة.
[11] الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة- د / محمد البهاى - ط مكتبة وهبة ١٩٧٨م .
[12] الإسلام في وجه الزحف الأحمر- الشيخ الغزالي- ط مكتبة وهبة٩٩٠ م .
[13] الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية- محمد البهي- ط دار الكتاب العربى 1951م.
[14]الإسلام والإستيراد السياسى- الشيخ محمد الغزالى- ط دار الكتب الإسلامية 1984م.
[15] الإسلام والأوضاع الاقتصادية- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الصنحوة ١٩٨٧ م .
[16] الإسلام والطاقات المعطلة- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الكتب الإسلامية 1987م.
[17] الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة – يوسف كمال – ط دار الوفاع ا"١٩٨ م .
[18] الإسلام والمناهج الإشتراكية- الشيخ محمد الغزالى- ط دار الكتاب العربى بمصر
[19] الاشتراكية العربية والاشتراكية العالمية – محمد طلعت عيسى - ط مكتبة القاهرة الحديثة 5 ١٩٦ م .
[20]الإمام السرهندي حياته وأعماله- أبو الحسن الندوي- ط دار القلم ١٩٨٣ م.

[21] البداية والنهاية – الإمام ابن كثير – ط دار المعرفة بيروت 1998م.
[22] التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث- د/ علي محمد حسن- ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٩٩٨ م.
[23] التاريخ الإسلامي – الشيخ محمود شاكر - ط المكتب الإسلامي
[24] التبشير والاستشراق - المستشار محمد عزدب اسماعيل الطهطاوي – ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1977م.
[25] التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمين- أ. عثمان رسلان.
[26] التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام – محمد الغزالي – ط دار نهضبة مصر ١٩٩٧م .
[27] التوراة العبرانية "سفر التكوين"- ط دار الكتاب المقدس.
[28] الجامع الصحيح للامام مسلم.
[29]الجامع لأحكام القرآن- الإمام القرطبي- ط دار إحياء التراث العربى ١٩٦٤م .
[30] الجانب العاطفي من الإسلام – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الدعوة ، ١٩٩٥ م .
[31] الحركة السياسية في مصر - أ. طارق البشري ط دار الشروق
[32] الحق المر – الشيخ محمد الغزالي – ط دار نهضبة مصر 1996م.
[33] الحل الإسلامي فريضة وضرورة- د/ يوسف القرضاوي- ط دار الصحوة الإسلامية .
[34] الحلول المستوردة وكيف جنست على أمتنا . د / يوسف القرضاوى 1988م.
[35] الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر – الشيخ محمد الغزالى
[36] الدعوة والداعية- أ.د/ عبد الرحمن العدوي- الإمام محمد الغزالى- ط نهضبة مصر ١٩٩٧ م .
[37] الدفاع عن الداعية- الغزالي- أبو بكر الجزائري- ط مكتبة ام القريب ١٤١٠ هـ
[38] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- محمد الغزالي- ط دار الشروقى ١٩٨٩.
[39] الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي – أنور الجندي .

[40] الشيخ الغزالي كما عرفته – د/ يوسف القرضاوي – ط دار الوفاع ١٩٩٧م .
[41] الشيخان للبلاذري .
[42] سلسلة الأحاديث الصحيحة- الألباني- مكتبة المعارف- الرياض
[43] الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية- أبو الحسن الندوى- ط دارالقلم - الكويت ١٩٨٥م .
[44] الطريق من هنا- الشيخ محمد الغزالي- ط دار البشير 1985م.
[45] العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر- د/ مصطفى محمد رمضان- ط مكتبة الجامعة ١٩٨٣م .
[46] الغارة على العالم الإسلامي – محب الدين الخطيب – ط المطبعة السلفية 1398 هـ .
[47] الغزو الثقافي يمتد في فراغنا- محمد الغزالي- ط دار الشروق ١٩٨٥ م .
[48] الفقه على المذاهب الأربعة- عبد الرحمن الجزيري- ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
[49] الفقه على المذاهب الأربعة- عبد الوهاب خلاف- ط دار الشعب.
[50] الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى- د/ محمد البهي – ط مكتبة وهبة 1975م.
[51] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني .
[52] الكشاف للزمخشري .
[53] اللمع- السراج الطوسى- ط دار الكتب الحديثة 1960م.
[54]المحاور الخمسة للقرآن الكريم- محمد القواس- ط دار الصحوة ١٩٨٩ م .
[55] المسلمون والأقباط- أ. طارق البشري – ط دار الشروق 1988
[56] المعجم الوسيط- ط دار المعارف.
[57] المغني – ابن قدامة المقدسي – ط عالم الكتب .
[58] الوزير " أوزمس غو " في رسالة لرئيس الحكومة البريطانية في 1938/1/19.
[59] إمتاع الأسماع- المقريزي.
[٦٠] اوراق فى الله من حضارتنا - د/ عبدالحليم عويسى- ط دار الوفاء .

-

[61] بحوث و فتاوى- الشيخ جاد الحق على جاد الحق- ط دار التعاون 1992م.

[62] بدائع الصنائع- الكاساني الحنفي- ط دار الفكر ١٩٩٩م .

[٦٣] بداية المجتهد و نهاية المقتصد - ابن رشد - ط الحلبى ١٩٨١ م

[64] براءة أهل الفقه وأهل الحديث من أوهام محمد الغزالي – مصطفى سلامة – ط مكتبة ابن حجر 1410هـ

[65] تاريخ المسألة المصرية- مستر بلنت- ترجمة العبارى و بدران .

[66] تأملات في الدين والحياة- محمد الغزالي- ط دار الدعوة 1990م.

[٦٧] تحريم آلات الطراب- الالبانى- ط مكتبة الدليل ١٩٩٧ م .

[68] تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل- محمد الغزالي- ط دار الشروقى ١٩٩٢ م .

[69] تحذير من دعاة التنصير- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الصحوة ١٩٩١ .

[70] تطور الحركة الوطنية في مصر - د. عبد العظيم رمضان ط دار الوطن العربي. بيروت .

[71] تفسير ابن جرير الطبري - ط دارالفكر 1995م.

[٧٢] تفسير ابن كثير .

[73] تفسير آبى السعود .

[74] تفسير القرآن العظيم- الإمام ابن كثير- ط دار المعرفة بيروت 1969م.

[75] تهذيب الأثار- مسند عمر بن الخطاب

[76] تهذيب السنة – ابن القيم

[77] ثورة ١٩١٩ - عبد الرحمن الرافعى - ط دار المعارف.

[78] جناية الشيخ محمد الشيخ على الحديث وأهله – أشرف عبد الرحيم - ط مكتبة الإمام البخاري 1989م

[79] جهاد الدعوة- محمد الغزالى- ط دار الصنحوة ١٩٨٧م.

[80] حصاد الغرور- محمد الغزالى- ط مكتبة وهبة ١٩٨٧م .

[81] حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة – محمد الغزالي - دار الدعوة 1993م.

[82] حوار هادى مع محمد الغزالي- سلمان بن فهد العودة- ط نور الإسلام 1413هـ
[83] خطب الشيخ محمد الغزالي- محمد الغزالى- ط دار الاعتصام1985م.
[84] خطب في شئون الدين والحياء- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الاعتصام ١٩٨٨م .
[85] خلق المسلم- الشيخ الغزالي- ط دار الكتاب العربي 1953م.
[86] دراسة عن العمل العمراني في القرآن الكريم- د محمد أبو زيد
[87] دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية- د عبد الحليم عويس- ط دار الصحوة 1990م.
[88] دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين- محمد الغزالي- ط دار الشروق ١٩٩٧م.
[89] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطامع المستشرقين- محمد الغزالي- ط دار الكتب الإسلامية 1988م.
[90] دور القصر في الحياة السياسية في مصر – سامي أبو النور – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م .
[91] سر تأخر العرب والمسلمين- الشيخ محمد الغزالي- ط دارالريان ١٩٨٧ م
[92] سيرة ابن هشام – ط دار التوفيق.
[93] صليبيين للأبد- عبد الفتاح عبد المقصود- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م
[94] صيحة تحذير من دعاة التقصير- محمد الغزالى- ط دار ثابت 1984م.
[95] ظلال القرآن - ط دار الشروقى.
[96] عرس الشهداء- علي الطنطاوي- ط دار المنارة الأولى.
[97] علل وأدوية- محمد الغزالى- ط دار الدعوة ١٩٩١م .
[98] غرائب القرآن- النيسابورى- ط دار الصفوة ١٩٩٥م .
[99] فتاوى معاصرة- د . يوسف القرضاوي- ط دار القلم- الكويت 1996م .
[100] فتح البارى- ابن حجر العسقلاني- ط دار الريان للتراث 1407هـ.
[101] فقه السيرة- محمد الغزالى- ط دار الريان 1987م
[١٠٢] فى ظلال القرآن - آ. سيد قطب - ط دار الشروقى ١٩٨٧

[١٠٣] فى مواكب الدعوة – الشيخ محمد الغزالي- ط دار الكتب الحديثة 1965م .
[104] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة – محمد الغزالي – ط دار الشروق 1990م.
[105] كبار ملاك الأراضي- عاصم الدسوقي- ط دار الثقافة الجديدة 1975م
[106] كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها – د. ربيع بن هادي المدخلي – ط مكتبة ابن القيم 1410 هـ .
[107]كفاح دين- الشيخ محمد الغزالى- ط دار الكتب الإسلامية 1982م.
[108] كيف تتعامل مع القرآن – محمد الغزالي – ط دار الوفاء 1992م.
[109] كتاب الأنبياء .
[110] كيف نفهم الإسلام- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الدعوة ١٩٩١ م .
[111] ملفات السويس- د. محمد حسين هيكل- ط مؤسسة الأهرام 1986م.
[112] من الذكر والدعاء - الشيخ الغزالى - ط دار الاعتصام ١٩٨٠ م
[113] من هنا نعلم- محمد الغزالي- ط دار الكتب الحديثة.
[114] موسوعة التاريخ الإسلامي – د. أحمد شلبي – ط النهضة المصرية .
[115]موسوعة التاريخ الإسلامى- د.أحمد شلبى- ط النهضة المصرية.
[116] موسوعة تاريخ مصر – أحمد حسين – ط دار الشعب.
[117] نظرات في القرآن – محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية1985م.
[118]نظرة على واقعنا الإسلامى- د. أحمد شلبى- ط دار النهضة المصرية.
[119] هذا ديننا - الشيخ الغزالى - ط دار الشروقى ١٩٨٧ م .
[120] هموم داعية – محمد الغزالي – ط دار الاعتصام ١٩٨٣ م .
[121] واقعنا المعاصر - آ . محمد قطب - ط دار الشروقى ١٩٨٨ م .
[121] ليس من الإسلام – محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية، 1983م.
[122] مائة سؤال عن الإسلام – الغزالي – ط دار ثابت 1984م .
[123] ماهية الحروب الصليبية – د. قاسم عبده قاسم - ط المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت، 1990م .
[124] مجموعة الرسائل – الشهيد حسن البنا – ط دار الدعوة .

[125] محاضرات في إصلاح الفرد والمجتمع- قطلب عبد الحميد قطب- ط دار البشير ١٩٨٩ م .
[126] مذكرات في السياسة المصرية- محمد حسين هيكل- ط مكتبة النهضبة المصرية ١٩٥١ م .
[127] مستقبل الإسلام خارج أرضه- محمد الغزالي- ط دار الشروق 1997م.
[128] مشكلات في طريق الحياة الإسلامية – الغزالي - ط دار البشير 1989م.
[129] مصر والسودان- للر افعى- ط دار المعارف.
[130] معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث- محمد الغزالي .
[131] معركة المصحف في العالم الإسلامي : الغزالي – ط دار الكتب الحديثة ١٩٧١ م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
الباب الأول : قضية الاستعمار في بلاد المسلمين	1
الفصل الأول : ماهية الاستعمار	3
طبيعة الغدر و الفتك	5
الطبيعة الوحشية الداخلية	6
الهجوم على الإسلام	8
الأهداف الحاقدة اليهودية تستفيد من عداء الصليبية والمادية للاسلام	9
الصليبية والإسلام في العصدر الحاضر	9
مصادر الحقد على الإسلام	11
تنوع أدوات الحرب ضد الإسلام	13
تنوع عناوين الحروب ضد الإسلام	14
حرب الإبادة	15
علاقة التدين بمقاومة الاستعمار	16
الشر المتربص	17
الحقد والقتل	18
الصليبية خطر على الروحانية في العالم	19
الصليبية تتربص بالإسلام	20
لا قانون لعلاقات الصليبية بالعالم	21
تحذير من اليهود	23
متابعة	38-23
الفصل الثاني : التبشير والاستشراق	51-38
متابعة : 1 – مستقبل الإسلام في	52
٢- استغلال حاجة المسلمين الفقراء في الكوارث والنكبات	55
3- خطط الاستعمار في إفساد الحياة الإسلامية	57

الموضوع	الصفحة
4- خطة تمويت الإسلام	61
المودة وبعدها النهاية	63
6- المشروعات التبشيرية واستقطاب الشخصيات العامة	65
التنبيه إلى نجاح المبشرين	69
الباب الثاني : قضية الاقتصاد في العالم الإسلامي	71
الفصل الأول : أشكال الاقتصاد المختلفة	71
متابعة	89
1- الاستعمار وإنشاء المجتمع الطبقى فى بلاد المسلمين	90
2- الجو الطبقي يقضي على المهارات الفردية	93
3- الاقتصاد السيى يخلق الرذائل	94
4- تبذير الحكام وضياع أموال المسلمين	98
5- تقييد الملكيات الخاصة	102
6- محاربة الناجحين	107
الفصل الثاني : الفكر الاقتصادي	109
1 موقف الدين من العجز في شئون الحياة	111
٢- العوامل التي أفسدت الفكر الاقتصادي عند المسلمين	115
الإسلام لا يحدب القعود	129
متابعة	167-142
3- الدعوة للفقر والزهد بين الفقراء توطيد للظلم	
الباب الثالث : قضية المرأة	174
الفصل الأول : الوضع العام	174
حق المرأة في التعليم	182
حق المرأة فى العمل	191
الموضوع	**الصفحة**
حق المرأة في الخروج من البيت للعبادة	198

عمل الزوجة خارج المنزل	211
الإجماع على خروج النساء للمساجد	212
الفصل الثاني : حق المرأة في المساواة بالرجل	215
شهادة المرأة	227
تقليل ضعف شهادة المرأة	230
أهمية تولي المرأة القضاء إذا كان ذلك في صالح الإسلام	232
قضاء المرأة	236
صوت المرأة	237
وجه المرأة	243
النقاب : ستر الوجه	245
المرأة في الإسلام	260
وظائف المرأة في الإسلام	261
مصادر الشيخ في كشف الوجه	265
الفصل الثالث : المتابعة	268
أولا : آراء بعض المفسرين	268
ثانياً : الآراء الفقهية	272
ثالثا : الأحاديث النبوية الشريفة	285
الباب الرابع : قضية السنة النبوية الشريفة	291
الفصل الأول : عاشق السنة	291
الفصل الثاني : رحلته مع السنة النبوية الشريفة	312
مفهوم الشيخ للسنة التي يجب أن تسود بين المسلمين	319
منهج الشيخ	349
أحاديث الفتن	352

الموضوع	**الصفحة**
الفصل الثالث : المتابعة	**357**